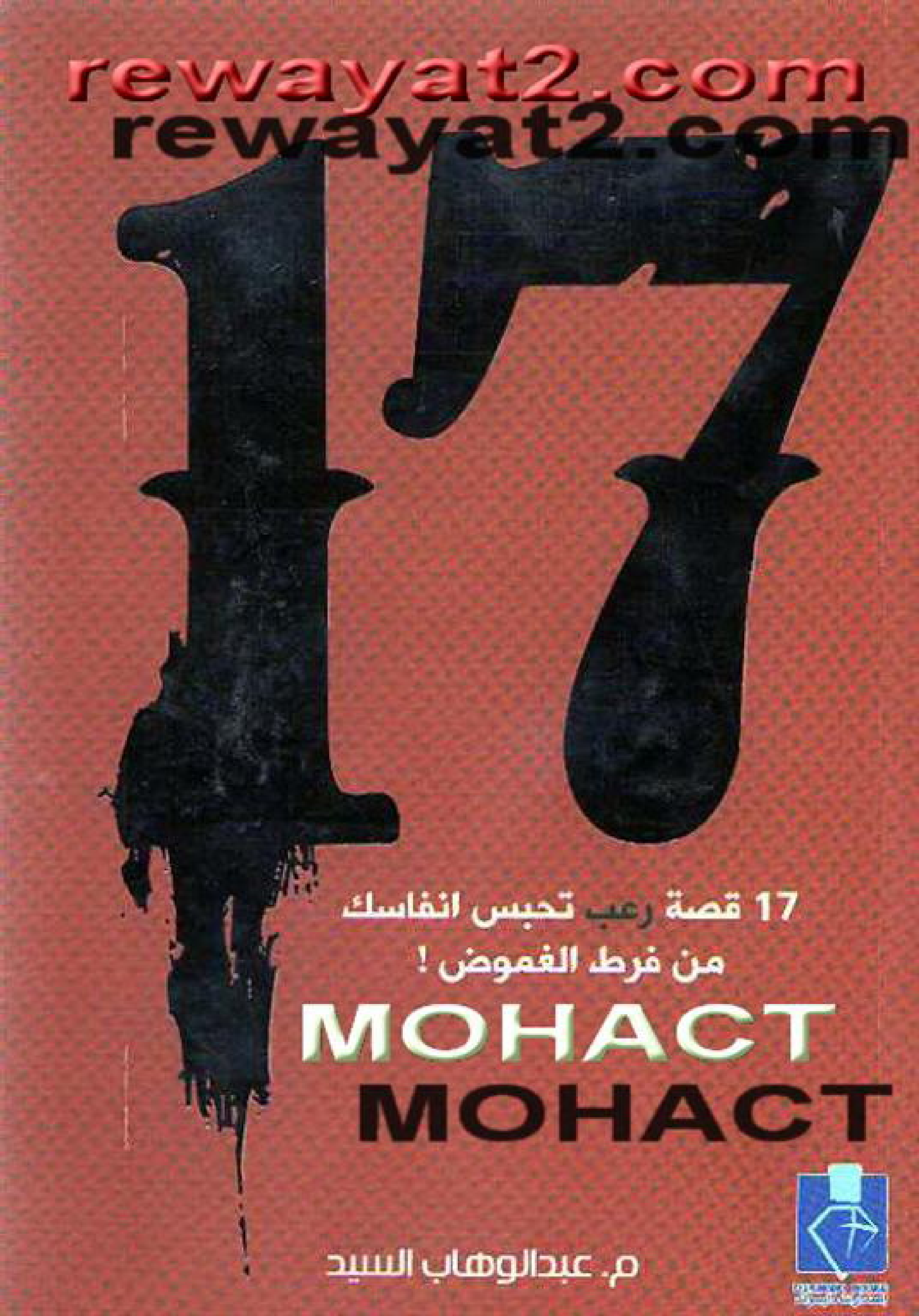


rewayat2.com
rewayat2.com
17
17 قصة رعب تحبس انفاسك
من فرط الغموض !
MOHACT
MOHACT
م. عبدالوهاب السيد

إشراف عام:

م. سند راشد

جاسم أشكناني

تصميم الغلاف:

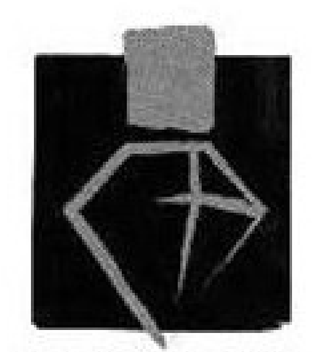
محمد العنزي

إخراج داخلي:

حسن ناصر الدين

بقلم:

م. عبدالوهاب السيد



DIAMOND BOOKS
إصدارات دايموند
www.diamond-book.com

مقدمة

عزيزي القارىء.. لقد كان كتاب (حكايات من العالم الآخر) أول تجاربي في عالم القصص القصيرة.. فحاولت أن أقدم لقرائي الأعزاء مزيجا من الرعب والتشويق والغموض والخيال العلمي.. وحتى الرومانسية!!.. لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق.. فبعد النجاح الكبير الذي حققته مؤلفاتي السابقة.. كان لابد أن أحسب لتلك الخطوة الجديدة ألف حساب.

وعندما صدر الكتاب.. كنت أشعر بقلق شديد منتظرا ردود فعل قرائي الأعزاء الذين يتواصلون معي دائما عبر البريد الإلكتروني.. ولكن.. بفضل الله سبحانه وتعالى.. فوجئت بالكتاب وقد أصبح (رسميا) واحدا من أكثر الكتب مبيعا في معرض الكتاب الدولي.. فشعرت بفرحة ما بعدها فرحة.. وأنني حققت إنجازا جديدا في مسيرتي الأدبية المتواضعة.

و.. ها أنا أعيد التجربة في إصداري الجديد الذي يحمل اسم (17) والذي أتمنى أن يحوز على رضاكم.. ستجدون في هذا الكتاب مزيجا متنوعا من القصص.. شبيه بالذي ظهر عليه كتاب (حكايات من العالم الآخر).. ولا ننسى بالطبع النهايات المفاجئة التي تنتهي عليها معظم القصص تقريبا.. وهذا أمر تفاعل معه القراء بشكل إيجابي أثلج صدري.. فأصبحت النهايات المفاجئة علامة مسجلة في

جميع إصداراتي المتواضعة تقريبا.. حيث ذكرت كثيرا وفي العديد من المناسبات عشقي الكبير واحترامي الذي لاحد له وتأثري بالمخرج العبقري (م. نايت شيامالان) (M. Night Shyamalan) الذي عرف واشتهر بتلك النوعية من القصص والأفلام التي تنتهي بنهاية مفاجأة أو (Twist Ending) كما يقولون.

لقد أطلقت على إصداري الجديد اسم قد يراه البعض غريبا وهو (17).. لأنني ـ وكما هو مذكور في الغلاف الخلفي ـ شعرت أنه رغم اختلاف أفكار القصص وتنوعها.. إلا أنها تشكل كيانا واحدا.. وهو ما لم أشعر به عندما قمت بتأليف كتاب (حكايات من العالم الآخر).. ربما لهذا حمل اسم إصداري الجديد عدد تلك القصص.. ربما لهذا حمل اسم (17).

جريمة مزدوجة

من النادر جدا أن تصف إنسان بأنه كامل.. ولكن.. أقولها لكم بصدق بأنني لم أرى عيبا واحدا في زوجتي الحبيبة!!!.. فمنذ اليوم الأول لزواجنا.. أدركت كم أنا محظوظ باختيار تلك الفتاة الرقيقة لتكون زوجتي.. فهي فتاة رائعة الجمال.. ممشوقة القوام.. مثقفة إلى درجة تثير انبهاري في كل مرة أتجاذب معها أطراف الحديث!!.. وكانت أيضا مرحة جدا.. فلا يمكنك أن تمنع نفسك من الضحك عندما تستمع إلى تعليقاتها الساخرة التي لا تخلو من الرقة في مزيج غريب لم أعرفه في أي فتاة!!.

كان زواجنا مثالا للزواج الناجح.. بل أن أكثر أقاربي وأصدقائي كانوا يحسدونني على زوجتي بالفعل وعلى زواجنا الذي استمر سنتين تقريبا لم أترك فيها زوجتي إطلاقا سوى في ساعات العمل.

كنا نسكن في شقة صغيرة بالدور الأرضي في منطقة (السرة).. تذهب زوجتي إلى العمل صباحا وتعود إلى الشقة في فترة الظهيرة كحال معظم الموظفين.. بينما أعود أنا في السادسة والنصف مساء تقريبا كوني أعمل في القطاع الخاص.

كنت أعود منهكا في أغلب الأحيان.. لكنني أنسى كل شيء حين أرى حبيبتي بابتسامتها الجميلة وقد أعدت لي الغداء ـ أو فلنقل العشاء ـ الذي نتناوله معا في أجواء هادئة ساحرة.. ثم نقضي بقية اليوم في الشقة.. فنشاهد قنوات الأفلام معا..

أو نتحدث عن كل شيء تقريبا.. فأستمع إلى آرائها وأنبهر بعقلها وأحمد الله على تلك النعمة.

هكذا كانت حياتنا اليومية.. جميلة كوجه زوجتي.. هادئة كمشاعرها الرقيقة.. لقد شعرت أن خيوط الحب تنسج عش الزوجية بهدوء جميل جعلنا نغرق في عشقنا لبعضنا حتى النخاع!!.. و.. أنتم تعرفون بالطبع تلك النوعية من القصص.. كل شيء جميل نظيف طاهر.. قبل أن تحدث كارثة تقلب الأمور رأسا على عقب!!!.. أشعر أحيانا أن هذا هو قانون الكون.. لابد وأن تحدث مصيبة ما للفرد عندما تكون حياته هادئة جميلة كحياتي!!.

الغريب أن القصة لم تبدأ في بيتنا ـ أو شقتنا إن أردنا الدقة ـ بل في شقة جيراننا التي انتقل إليها قبل بضعة شهور زوجين حديثي الزواج!!.. إذ كنا نسمع شجارهما طوال الوقت!!.. أنتم تعرفون تلك اللحظات التي تسمعون فيها صراخا في شقة الجيران دون أن تتمكنوا من تمييز الكلام الذي يقال مما يوحي أن هناك شجارا عنيفا يجري!!.. كان هذا الأمر الوحيد الذي يقلق زواجنا!!.. فمن الصعب أن تعيش حياة مستقرة حين تستمع بشكل شبه يومي إلى ذلك الشجار في الشقة المجاورة بين جارنا وزوجته.. كان شجارهما يمتد أحيانا كثيرة إلى الضرب رغم أنهما حديثي الزواج كما ذكرت.. فكنا نسمع صوت أشياء تتكسر!!.. ثم تأوهات الزوجة مما يوحي أن زوجها قد آذاها بشدة!!..

والواقع أنه لم يحالفني الحظ للقاء هذين الزوجين سوى في أوقات قليلة جدا أثناء الخروج من الشقة.. أو الدخول إليها!!.. ولم نكن نفعل سوى إلقاء تحية باردة على بعضنا البعض.. كانت معرفتنا لا تتجاوز علاقة (هز الرأس) كما يقول الانجليز!!.. فظروف عملي لم تكن تسمح لعلاقات اجتماعية من أي نوع.. كما أننا لم نكن متحمسين لبناء أي علاقة مع زوجين يتشاجران طوال الوقت!!.

وبالطبع كان لزوجتي النصيب الأكبر في الاستماع إلى شجار الزوجين كونها تقضي وقتا أطول في الشقة.. فكانت تخبرني أحيانا كثيرة عن استياءها وقلقها من الصراخ الذي يصل صوته إلى شقتنا.. خاصة مع الصوت الذي يوحي بعنف شديد من قبل الزوج!!.. وهذا جعلني أشعر برغبة شديدة أحيانا في التدخل لمنع جارنا من ضرب زوجته.. لكني أمتنع في اللحظات الأخيرة مؤمنا أن هذه خصوصيات يجب ألا نتدخل فيها!!.. لماذا لم أبلغ الشرطة؟!.. ربما لأنني لم أتوقع أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه!!.. كيف؟!.. لقد حدث كل شيء في ذلك اليوم المشئوم عندما تكرر اتصال زوجتي عدة مرات على هاتفي النقال أثناء وجودي في غرفة الاجتماعات في مكان عملي.. كنت أنوي الاتصال بها بعد الاجتماع.. ولكن.. هذا الإلحاح وهذه الاتصالات المتكررة أشعرتني بقلق شديد!!.. فاستأذنت الحضور وخرجت من غرفة الاجتماعات لأتصل بزوجتي بسرعة.. و:

- حبيبي!!.. جيراننا!!.. لقد حدث!!!.. لا أعتقد أن الخلاف!!!!.. حدث شيء!!!..

لم أفهم حرفا مما تقول.. كانت تتحدث بذعر وبصوت متحشرج وأنفاس متقطعة.. فقاطعتها بقلق:

- حبيبتي.. مهلا.. مهلا!!.. أرجوك التقطي أنفاسك.. هل أنت بخير؟!.. أجيبيني.. هل أنت بخير؟؟!!!..

تنهدت بقوة مفرغة كل انفعالاتها قبل أن تسكت قليلا لتلتقط أنفاسها وتقول بصوت مرتجف:

- أنا بخير يا حبيبي.. ولكن.. هناك أمر خطير.. لقد تشاجر جارنا مع زوجته مرة أخرى!!!..

قاطعتها مستغربا:

- ولم القلق يا حبيبتي؟!.. هذا يحدث كثيرا!!!..

ردت بصوت باك:

- الأمر يختلف هذه المرة.. أعتقد أن شيئا ما قد حدث بينهما.. لقد علا صراخهما كثيرا كالعادة.. ثم فجأة!!.. سمعت صوتا غريبا!!.. ليهدأ كل شيء بعدها بشكل مريب!!.. لا يمكن أن ينتهي أي شجار بهذا الصمت المفاجيء.. أعتقد أن شيئا ما قد حدث.. أعتقد أن أحدا منهما أصيب بالأذى!!.. أرجوك أن تفعل شيئا.. لقد أردت الاتصال بالشرطة.. لكني فضلت الاتصال بك أولا!!.

شعرت ببعض القلق لما أخبرتني به زوجتي.. فقلت لها محاولا تهدئتها:

- حبيبتي.. لا تفعلي شيئا حتى أعود.. سأعود إلى شقتنا حالا..

وضعت كلامي قيد التنفيذ.. واستأذنت المدير لأخرج عائدا إلى الشقة.. نصف ساعة فقط.. قبل أن أصل.. وأهرع إلى زوجتي التي كانت تبكي بخوف واضح وتنتفض بشدة!!.. فانفجر بركان الحب في أعماقي.. واحتضنتها بقوة!!.. ورغم الموقف.. إلا أن خاطرا طريفا مر بذهني.. إن زوجتي تبدو رائعة الجمال عندما تبكي!!.. طوال حياتي كنت أرى أن لحظات بكاء الأنثى تجعل من أعنف الرجال أطفالا يلهثون لمسح دموعها.. و.. قطعت زوجتي حبل أفكاري.. وهي تقول بصوت باك:

- لابد أن نفعل شيئا يا حبيبي!!.. لابد أن نتصل بالشرطة.. شيئا ما قد حدث لأحد الزوجين.. إنني لم أسمع أي صوت يخرج من شقتهما منذ اتصلت بك!!.

حككت رأسي مفكرا.. وقلت بشيء من التوتر:

- ربما.. ربما يجدر بنا أن نطرق الباب أولا ونسأل عنهما.. أعتقد أن منظرنا سيكون سخيفا يا حبيبتي لو اتصلنا بالشرطة واتضح أنه مجرد خلاف عادي بين زوجين!!.

مسحت زوجتي دموعها وقد شعرت أنها اطمأنت كثيرا لوجودي قبل أن تقول باقتناع:

- افعل ما تراه صوابا..

هززت رأسي موافقا.. وخرجت برفقة زوجتي من شقتنا إلى الشقة المجاورة.. طرقت الباب بحذر.. وانتظرت لحظات قليلة قبل أن أسمع صوت الزوجة تسألني بتوتر:

- من؟!..

تنحنحت وقلت بشيء من الخجل:

- سيدتي.. أنا جاركم.. هل كل شيء على ما يرام؟!..

قالت باقتضاب:

- نعم.. كل شيء على ما يرام..

لم أرتح كثيرا لإجابتها.. فسألت مرة أخرى:

- هل.. هل زوجك بخير؟!.. هل أستطيع التحدث إليه؟!.

كان واضحا أن سؤالي هذا قد أربكها تماما!!.. وقد شعرت بذلك من صوتها المضطرب.. عندما قالت:

- لـ.. لـ.. لقد خرج!!.

لم أجد ما أضيفه.. فودعتها بكلمات مبهمة وعدت مع زوجتي إلى شقتنا.. و.. ما أن أغلقت الباب حتى قالت زوجتي بحزم يشوبه توتر واضح:

- إنها تكذب!!.

رددت مستغربا:

- لماذا تظنين هذا؟؟!.

ردت بتوتر:

- لأن زوجها لم يخرج من الشقة!!!.. أنا واثقة من ذلك.. بل أن سيارته لا تزال في الخارج.

حقا.. كلامها صحيح تماما!!!.. كيف لم ألاحظ هذا؟!.. سيارة زوجها كانت موجودة بالفعل عندما وصلت إلى شقتي!!.. نظرت إلى زوجتي طويلا.. ثم حسمت أمري.. وقلت بحزم:

- سأتصل بالشرطة.. أعتقد أن هذا أنسب الحلول!!!.

قلت هذا وأخرجت هاتفي النقال من جيبي.. وبأصابع واثقة ضغطت على رقم 7 ثلاث مرات.. و.. أخبرت الشرطة بكل شيء!!.

لم يتأخروا كثيرا.. ففي ظرف نصف ساعة رأيت من شباك شقتنا دورية شرطة تتوقف عند العمارة السكنية.. ليخرج منها شرطيين.. لم أنتظر قدومهما.. بل ذهبت إلى الخارج لاستقبالهما وأخذهما إلى شقتي.. وهناك.. أخبرتهما بكل شيء.. كل ما حدث في الشقة المجاورة.. كما استمعا إلى كلام زوجتي كونها سمعت كل شيء بنفسها.. وبدا أن الشرطيين مقتنعين بالفعل أن هناك شيئا غير عادي قد حدث في تلك الشقة!!.. وأن الزوجة ـ ربما ـ قد آذت زوجها.. فسألت أحد الشرطيين بشيء من التوتر:

- ماذا سيحدث الآن؟!..

رد بثبات:

ـ سنطلب من الزوجة أن تسمح لنا بتفتيش شقتها.. ربما لن تأذن لنا بذلك كوننا لا نملك تصريح من النيابة.. لكننا سنحاول أن نطلب هذا بشكل ودي لعلها توافق.

قال هذا وخرجا بصورة آلية متوجهين إلى الشقة المجاورة.. بينما ظللت أنا وزوجتي متوقفين عند عتبة باب شقتنا كي نتابع ما سيحدث.. طرقات قليلة قبل أن يأمر أحد الشرطيين الزوجة أن تفتح الباب.. لحظات قبل أن تفتح لهما الباب بيد مرتجفة وبوجه بدا عليه التوتر الواضح!!.. عندما رأيت وجهها كدت أن أقسم أنها فعلت شيئا بزوجها بالفعل!!.. تنحنح أحد الشرطيين ليسألها بهدوء مهيب:

ـ سيدتي.. أين زوجك؟!..

نظرت إليه الزوجة.. ونظرت إلينا بحقد بالغ.. فصرخت بزوجتي:

ـ أيتها الحقيرة.. أنت طلبت من زوجك أن يتصل بالشرطة.. أنت أخبرته بشجاري مع زوجي!!..

لم نرد على كلامها.. خاصة وأن الشرطي أخرسها بإشارة من يده.. ليقول بصرامة:

ـ لا داعي للصراخ.. لقد فعل جيرانك ما كان يجب فعله.. والآن أنا أسألك.. أين زوجك؟؟!.

قالت بتوتر واقتضاب:

ـ خرج..

رد عليها الشرطي بما أخبرناه:

ـ سيارته لا زالت في الخارج.. ولا يوجد أي دليل على أنه قد خرج من الشقة.. أعتقد أنه في الداخل.. هل تأذنين لنا بالدخول؟!..

قالت الزوجة ما يقوله أي متهم في العالم:

ـ لن أسمح لكما.. لا يوجد لديك إذن بالتفتيش..

قال الشرطي بصرامة لا تخلو من القسوة:

ـ أستطيع الحصول على إذن من النيابة باتصال هاتفي في هذه اللحظة.. لن يتأخر الأمر أكثر من نصف ساعة.. هل تسمحين لنا بالدخول الآن أم ستنتظرين الإذن؟؟!.

تخاذلت الزوجة كثيرا أمام هذا الكلام.. فأفسحت المجال للشرطيين باستسلام واضح للدخول.. قبل أن تجهش فجأة ببكاء حار!!.. الأمر واضح.. هناك جريمة ما.. هل.. هل قتلت زوجها؟!.. يا إلهي.. هذا رهيب.. رهيب.. احتضنت زوجتي بقوة لا شعوريا وكأنني أحميها من أهوال هذا العالم!!.

و.. تماما كما توقعنا!!.. دقائق قليلة.. قبل أن يخرج الشرطي من الشقة ممسكا بذراع الزوجة بقوة.. وهو يتحدث عبر جهاز اللاسلكي:

- جريمة قتل.. جريمة قتل في منطقة (السرة).. شارع (...).. منزل (...) أرسلوا الأدلة الجنائية حالا!!.

ثم وجه حديثه للزوجة وهو يقول بقسوة:

- لقد قتلتي زوجك.. ووضعت جثته في ذلك الصندوق!!.. ماذا كنت تنوين؟!.. إخراجه بعد منتصف الليل دون أن يراك أحد؟؟!.. ستأتين معنا الآن إلى المخفر.. هيا بنا!!.

رحت أنظر مع زوجتي إلى ما يحدث بذهول شديد.. فهذه أول مرة أشهد فيها جريمة قتل!!.. هذه الأمور تحدث في الأفلام والقصص فقط!!.. لا أصدق أنني أرى شيئا كهذا بنفسي!!.. كنت أحتضن زوجتي بشدة وهي تجهش في بكاء حار من هول الموقف!!.. ورغم ذهولي مما حدث.. إلا أنني حمدت الله كثيرا أن لا دور لنا في هذه القصة سوى شهادة زوجتي لرجال الشرطة.. بالطبع كان هذا قبل أن تنفجر قنبلة!!!!!.. لا.. ليست قنبلة بالصورة التي تتوقعونها!!.. بل كانت قنبلة من نوع آخر!!.. كانت شيئا لا يصدق!!!!.. عندما أخرجت الزوجة من جيبها شيئا ما ورمته في وجهي!!.. أمسكت بذلك الشيء وإذا بها.. وإذا بها.. وإذا بها صورة .. صورة لزوجها الذي قتلته.. في وضع حميم جدا.. مع.. مع زوجتي!!!!!!.. صعقت.. صعقت.. صعقت من هول ما رأيت!!!!.. وقبل أن أنطق بحرف.. صرخت الزوجة باكية:

- نعم أيها الأحمق.. لقد كانت تلك الحقيرة تخونك.. مع زوجي!!!!!.. لقد اكتشفت خيانتهما اليوم فقط.. عندما وجدت

صورتها معه في الحقيبة التي يضع فيها أوراق عمله.. لم أتمالك نفسي.. تشاجرنا.. وتشاجرنا و.. طعنته بسكين المطبخ بكل قوتي.. لم أحتمل خيانته!!.. لم أحتمل خيانة هذا الحقير.. كنا نتشاجر كثيرا.. لكن لم أتوقع أن تصل الأمور يوما إلى الخيانة.. و..

كانت تتحدث.. وتتحدث.. بينما شعرت للحظة أنني فقدت حاسة السمع ولم أعد أسمع إلا صوت دقات قلبي!!!!!.. نظرت إلى زوجتي مذهولا لأرى دموعها.. ارتباكها.. بكاؤها.. كلها أمور تؤكد خيانتها بالفعل!!.. ولا يوجد تأكيد أكبر من الصورة نفسها على كل حال!!!.. شعرت بأنني غرقت في دوامة لا قرار لها.. شعرت بأنني أحمق.. شعرت بأنني.. بأنني.. لا أعرف كيف أصف مشاعري المتضاربة.. فقدت الإحساس بكل شيء وأنا أرمق بذهول الشرطي وهو ممسكا بذراع السيدة.. لم أسمع كلمات الشرطي الآخر وهو يقول شيئا ما.. أعتقد أنه الكلام المعتاد:

- سنحتاجكما في التحقيق.. إنكما جزء من هذه القضية الآن!!..

كنت فقط مشدوها.. مصدوما.. حتى أن الصورة سقطت من يدي دون أن أنتبه.. أنا الذي ظننت أنني تزوجت أجمل وأروع الفتيات.. أنا الذي كنت أحسد نفسي على زوجتي.. أنا الذي كان يحسدني الجميع على زواجي الناجح وعلى حسن اختياري!!.. أفكر بكل هذا وأنا أحدق بزوجتي التي شعرت

بأنها تتضاءل.. تتضاءل أمامي وهي تنظر إلي بذعر واضح بعد أن انكشف أمرها.. انكشفت خيانتها.. وأدركت أن ما حدث هو بالفعل جريمة.. جريمة مزدوجة.. جريمة قتل تلك المرأة لزوجها.. وجريمة خيانة زوجتي لي!!!.

الحلم الفضائي

منذ طفولتي.. وقصص الخيال العلمي تخلب لبي وتفجر خيالي!!.. كنت أحلم طوال الوقت بالسفر إلى الفضاء.. ورؤية عوالم أخرى بعيدة تماما عن كوكب الأرض!!.. لم أكن أملك سوى الأحلام.. وقراءة القصص ومشاهدة أفلام الخيال العلمي.

فرغم ثرائي الفاحش.. إلا أن تلك الثروة لم تكن كافية لتحقيق حلمي.. فالعلم لم يتوصل بعد إلى وسيلة للسفر إلى الفضاء الخارجي.. وأفضل ما فعله العلماء هو الوصول إلى القمر فحسب!!.. ويقال أن هناك خطة أخرى تتمثل في الوصول إلى الكوكب الأحمر (المريخ) في عام 2025*.. وهذا لا يرضيني إطلاقا بكل الأحوال.. فقد كنت أحلم بالسفر إلى الفضاء البعيد.. إلى مكان لم يصل إليه بشر.. إلى كواكب لم يرصدها راصد!!.

ورغم وصولي لمرحلة الشيخوخة وتجاوزي السبعون عاما.. إلى أن أحلام المراهقة تلك قد استمرت وظلت تسيطر تماما على عقلي وقلبي!!.. ورغم احترام الناس الظاهر لي كوني رجل أعمال مرموق في (الكويت).. إلا أنني كنت واثقا أنهم في أعماقهم يسخرون مني ومن أفكاري التي يرونها طفولية بطبيعة الحال!!.. لكني لم أكترث.. ولم أهتم إطلاقا لنظراتهم التحتية وهمساتهم عندما يرونني!!.. إنها أحلامي ولا حق لأحد أن يناقشني فيها.

---

* حقيقة.

ولاشك أنكم تعلمون أنني لن أكتب قصتي تلك إلا إذا تحول هذا الحلم إلى واقع!!.. أليس كذلك؟!.. نعم.. هو تماما ما تظنوه!!.. فقد تغير كل شيء فجأة.. وأصبح هناك أملا كبيرا في تحقيق حلمي هذا!!..

بدأ كل شيء في ذلك اليوم عندما أخبرتني السكرتيرة أن هناك زائرا يرغب بلقائي!!.. لم أبدي أي حماس في استقباله في بداية الأمر.. فالعشرات من الفقراء والمعسرين يطلبون لقائي كل يوم للحصول على مساعدات مالية كوني رجلا ثريا..

لكنها قالت أن ذلك الشاب يطلب لقائي للضرورة القصوى لأمر سيهمني كثيرا كما يدعي.. وقد أقسم لها أن الأمر لا يتعلق بالمال بتاتا!!.

أثار الأمر فضولي بعض الشيء!!.. فطلبت من السكرتيرة أن تسمح له بالدخول.. لحظات قليلة قبل أن يدخل إلى مكتبي رجل في أواخر الثلاثينات من العمر.. كان نحيلا قصير القامة نسبيا.. يرتدي بذلة أنيقة توحي بأنه استعد جيدا للقائي وأنه مستعد جيدا أيضا لمحاولة إقناعي.. إقناعي بماذا؟!.. بشيء يصعب الاقتناع به بالطبع!!.

ورغم تأنقه الشديد.. إلا أنه كان يحمل نظرات متوترة قلقة بدت واضحة على ملامحه.. طلبت منه الجلوس.. فشكرني كثيرا وكأنني أسديت له خدمة العمر!!.. سألته بعدها بلا مبالاة:

ـ كيف أستطيع أن أخدمك؟!..

ازدرد لعابه بصعوبة.. قبل أن يقول:

ـ سيدي.. ما سأقوله لك ليس جنونا.. بل هو واقع.. وإنني أحمل كل الدلائل على ذلك!!..

لم أهتم لهذه المقدمة التي تشي بخطورة ما سيقوله.. لأنني معتاد على تلك الأمور.. كل شخص يزورني في مكتبي يظن أن قضيته هي قضية الساعة وأنه محور هذا الكون!!.. لذا فقد هززت رأسي بمعنى أن ما قاله جميل لكنه لا يعنيني بشيء!!.. قبل أن يعزف هذا الشاب على أكثر أوتاري حساسية عندما قال:

ـ أعرف جيدا عن أحلامك في السفر إلى الفضاء يا سيدي!!.. وإنني مستعد لتحويل حلمك هذا إلى واقع ملموس!!.

أثار كلامه اهتمامي بشدة.. فالتفت إليه كالملسوع.. وسألته بصرامة:

ـ كيف عرفت هذا الأمر عني؟!..

انكمش الشاب في مقعده.. وقال بخوف واضح:

ـ سيدي.. قصص الخيال العلمي تملأ مكتبك.. كل من زار مكتبك انتبه إلى هذا.. العديد من الناس يرونك في السينما في القاعات التي تعرض أفلام الخيال العلمي.. إنك شخصية من شخصيات المجتمع.. ومن السهل أن يعرف الناس تلك الأمور عنك!!.. كما أنك تتحدث أحيانا عن أحلامك تلك في بعض اللقاءات الصحفية أو التلفزيونية التي تجرى معك!!.

أومأت برأسي متفهما.. قبل أن أسأله بارتياح:

ـ حسنا.. ماذا تريد الآن؟!..

رد بتوتر:

ـ لقد أخبرتك يا سيدي.. إنني على استعداد لتحويل حلمك هذا إلى حقيقة!!..

لم أكترث كثيرا لكلامه.. لاشك إنها عملية نصب للحصول على المال!!.. لذا فقد سألته باستهتار:

ـ وكيف ستحقق حلمي هذا؟!.. هل ستصنع لي مركبة فضائية؟؟..

قال بجدية واضحة:

ـ نعم يا سيدي!!..

وقبل أن أرد.. نهض من مكانه واتجه ناحيتي وهو يمسك قرص مدمج (CD).. ثم قال برجاء:

ـ أرجوك أن تقوم بتشغيل هذا القرص المدمج.. وسأثبت لك أنني محقا في كل ما قلت!!.

مططت شفتي مستغربا وأنا ألعن غبائي الذي جعلني أوافق على لقاء هذا المعتوه.. لكني رغم ذلك أخذت منه القرص وأدخلته باستسلام في المكان المخصص في جهاز الكمبيوتر.. و.. صعقت.. صعقت تماما وأنا أرى هذا المجهود الجبار!!.. لا يمكن أن يفعل هذا شخص عادي!!.. مجسم رائع ودقيق جدا

لمركبة فضائية بحجم غرفة نوم صغيرة.. مع أرقام وحسابات كثيرة ومعقدة أعجز عن فهمها.. وأمام نظراتي المذهولة.. قال الشاب ببعض الثقة بعد أن لاحظ دهشتي:

ـ هو ما قلته لك.. إنني عبقري يا سيدي.. عبقري.. هذه حقيقة لا علاقة لها بالغرور إطلاقا.. فمنذ عشر سنوات وأنا أدرس كل ما يتعلق بصنع السفن الفضائية والعوائق التي تحول دون ذلك!!.. لقد درست الفيزياء في (الولايات المتحدة الأمريكية).. مع تخصصات فرعية كالهندسة الميكانيكية وغيرها.. ووضعت تصورا كاملا في ذهني لصنع مركبة فضاء قادرة على الوصول إلى نقاط لا يمكن تصورها من هذا الكون!!.. بالطبع لم يكن لدراستي الفضل الأول في وضع تصور كهذا.. وإلا لفعلها كل علماء الأرض.. ولكن نبوغي كان له أثرا مباشرا دون شك!!.. إنني أؤكد لك ذلك!!.

نظرت إليه طويلا دون أن أرد.. قبل أن أقول بهدوء شديد محاولا أن أخفي لهفتي وانفعالي الشديدين:

ـ أرى من خلال البرنامج الموجود في القرص المدمج أنك قمت بجهد جبار بالفعل رغم أنني لم أفهم منه شيئا.. فأنا لست عالما.. ولكن.. ما هو المطلوب الآن؟؟!!..

قال بحزم:

ـ سيدي.. أستطيع أن أحقق حلمك.. وحلمي أيضا!!.. فأنا أيضا أحلم بالسفر إلى الفضاء البعيد منذ طفولتي!!.. وأستطيع الآن أن أحقق هذا الحلم!!.. صدقني.. سنتمكن من

السفر معا إلى ما لم يبلغه إنسان من قبل.. إن المركبة التي سأصنعها تسير بسرعة تقترب كثيرا من سرعة الضوء*!!.. وهذا يعني أنها أسرع مركبة فضاء في تاريخ البشرية!!.

سألته بشيء من الشك:

ـ لماذا جئت إلي؟!.. تستطيع أن تصبح ثريا بفكرتك هذه.. لماذا لم تذهب لوكالات أبحاث الفضاء في الدول المتقدمة؟؟!!.. تستطيع أن تجني الملايين هناك!!.

قال بصدق:

ـ لا أريد المال يا سيدي.. أريد أن يتحقق حلمي فحسب.. هذا كل ما أريد!!.. فالوكالات التي تتحدث عنها في أمريكا أو أوروبا لن تمنحني الفرصة لقيادة المركبة على الأرجح.. بل سيختارون شخص آخر متدربا على ارتياد الفضاء.. ولا يمكن أن أتنازل عن حلمي هذا لأحد.. حتى لو دفعوا لي الملايين!!.

نظرت إليه طويلا.. ثم سألته وقد بدأ الاهتمام يسيطر على ملامحي:

ـ كيف أستطيع أن أساعدك لصناعة تلك السفينة؟!..

رد باهتمام شديد:

ـ سيدي.. كل ما أطلبه هو أن توفر لي مكانا مناسبا للعمل كي أعمل بعيدا عن أعين الفضوليين.. أستطيع أن أعمل في بيتك إن أردت.. فقط كي أثبت لك أنني صادقا في ما أقول.. كما

* سرعة الضوء هي 300000 كيلومتر/ الثانية (186000 ميل/ ثانية).

أحتاج إلى الإمكانيات المادية بالطبع.. صناعة مركبة فضائية كتلك تتطلب عشرة ملايين دينار!!.

انتفضت بقوة عند سماعي لهذا المبلغ.. ثم سألته غاضبا:

ـ هل جننت؟!..

قال بحزم شديد:

ـ سيدي.. ماذا تتوقع؟!.. سنصنع مركبة فضائية نسافر بها إلى أعماق الفضاء.. وهو ما لم يفعله إنسان من قبل.. كيف برأيك سنفعل هذا؟!.. سيتطلب الأمر شراء كميات هائلة من المعدات.. مع تكنولوجيا متطورة جدا!!.. وهذه كلها أمور مكلفة ماديا بطبيعة الحال.

حككت رأسي مفكرا.. ثم تنهدت.. قبل أن أقول:

ـ سأتبعك إلى النهاية.. لا يوجد لدي ما أخسره.. لم يتبقى من عمري بقدر ما مضى منه!!.. إنني في السبعين من العمر.. وقد تكون هذه فرصة لن تتكرر.

ثم.. سكت طويلا محاولا أن أزن الأمر في عقلي.. قبل أن أقول بحسم:

ـ حسنا إذا.. سأقدم لك كل الدعم الذي تريده.. وسأعطيك أحد المخازن التابعة لشركاتي كي تعمل هناك بهدوء بعيدا عن الناس.. ولكن.. ما هو الضمان أنك لن تهرب بالأموال وتترك البلد مثلا؟!..

رد بسرعة وقد انفرجت أساريره:

- تستطيع أن تشتري أنت كل المعدات المطلوبة.. وسأقوم أنا بالعمل فحسب.. سيتطلب الأمر ثلاث سنوات لصنع المركبة.. ثلاث سنوات من العمل المتواصل دون توقف!!!.

قلت له بحنق:

- لكنها فترة طويلة جدا!!.. كيف لي أن أنتظر طوال تلك المدة؟!..

- سيدي.. لا توجد وسيلة أخرى مع الأسف.. لا يمكن أن أصنع لك معجزة في فترة شهر أو اثنين إن كان هذا ما تتوقعه!!.

نظرت إليه طويلا.. وشرد ذهني تماما.. رحت أفكر فيما يقول.. أفكر.. وأفكر.. نعم.. ماذا سأخسر؟!.. على الأرجح لا شيء.. آه تذكرت شيئا:

- كيف ستسير تلك المركبة بالضبط؟!.. بأي طاقة؟!..

- لن أعتمد على طاقة محددة في بداية الانطلاق.. فما سأفعله هو التحكم في الجاذبية فحسب.. ستحاط المركبة بمادة صنعتها بنفسي لتعزلها عن قوة الجاذبية الأرضية.. لترتفع بعدها عن الأرض بهدوء وتذهب إلى خارج الغلاف الجوي.. وبعدها ستسير المركبة بالطاقة الشمسية التي سأقوم بتخزين كل ما نحتاجه منها في جهاز سأقوم بصنعه خصيصا لهذا الغرض.. إذ لا يوجد مصدر للطاقة على كوكب الأرض أكبر من الطاقة الشمسية.. فلو حرقت كل كميات النفط

والفحم والأخشاب الموجودة في كوكب الأرض فإن معدل الطاقة الذي ستحصل عليه لن يتجاوز معدل الطاقة المنبعثة من الشمس في يومين فحسب*.

أومأت برأسي متفهما.. بصراحة هذا الفتى يعرف ما يتحدث عنه!!.. وربما سيكون هو من يتمكن من تحقيق حلمي.. و.. بعد كل هذا.. لم أجد مجالا للرفض.. نعم.. وافقت أخيرا!!!.. وافقت على طلبه وأمرت شركاتي بتوفير كل المعدات التي طلبها.. فرغم كل ما قاله.. إلا أنني لا يمكن أن أثق به وأسلمه عشرة ملايين دينار دون أي ضمان.

لم يستغرق الأمر وقتا طويلا.. ففي ظرف ثلاث شهور فقط.. تم استيراد جميع الآلات والأجهزة التي طلبها الشاب.. والذي أخبرني أن اسمه (سلطان)..

كان (سلطان) يعمل دون أجر.. وكان كل ما يطلبه هو طعامه فقط!!.. فأمرت أحد الموظفين أن يجلب له وجباته الثلاث يوميا في مكان عمله!!.. فقد كان يعمل حوالي 15 ساعة في اليوم.. وبحماس بالغ أثار إعجابي كثيرا!!!!.. كنت أتصل به كل يوم عبر هاتفه المحمول فأجده في المخزن يعمل على صنع تلك المركبة.. أزوره أحيانا على نحو مفاجيء.. أجده أيضا يعمل بكل إخلاص!!.. لم يكن يترك المخزن إلا ليذهب إلى منزله للنوم!!..

- هذا الفتى يعرف ما يريد عمله بالفعل!!.

* حقيقة.

هكذا كنت أردد بيني وبين نفسي.. و.. يوما بعد يوم.. بدأت أرى ملامح المركبة الفضائية الصغيرة تتشكل وتتبلور شيئا فشيئا!!.. قبل أن تصبح أخيرا جاهزة للانطلاق بعد ثلاث سنوات من العمل المتواصل دون توقف!!.. نعم.. حانت أخيرا لحظة تحقيق الحلم.. أو.. نهاية الركض وراء سراب؟؟!!.. لا أعلم.. لكني لم أجد ما أخسره.. فهذه العشرة ملايين لا تعني شيئا بالنسبة لي وأملك أضعافها.. لذا فالمال هو آخر ما أفكر به!!.. الأمر يستحق المغامرة دون شك!!.

و.. حان اليوم الموعود أخيرا.. يوم السفر إلى الفضاء.. يوم تحقيق حلم حياتي!!!.. كنت قد أخبرت مدراء شركاتي أنني سأسافر في إجازة إلى جهة لم أفصح لهم عنها بالطبع.. وأخبرتهم كذلك أنني سأتغيب لفترة طويلة قد تصل إلى بضعة شهور!!.. لحسن الحظ لا توجد لدي عائلة.. لدي فقط أشقائي وشقيقاتي وكل منهم لديه حياته المستقلة الخاصة ولن يهتموا كثيرا لأمري!!.

هرعت أخيرا إلى المخزن حيث (سلطان) بانتظاري مع المركبة الفضائية الصغيرة.. كان قد أعد كل شيء لتلك الرحلة.. بل وملأ المركبة بمؤن كافية لفترة طويلة جدا تحسبا لأي ظرف.. مع بعض الثياب التي ستكفينا أيضا لفترة طويلة.. وقد أكد (سلطان) أن انطلاقنا من على الأرض سيعتمد تماما على تحدي الجاذبية كما أخبرنا في البداية.. أي أن المركبة لن تصدر أي صوت أثناء انطلاقها ولن تلفت انتباه أحد.. هذا أمر رائع دون شك!!.

بعد منتصف الليل بقليل حانت لحظة تحقيق الحلم أخيرا!!!.. فدخلت مع (سلطان) المركبة.. توقفت داخلها للحظات.. قبل أن أتوجه إلى الكرسي الخاص بي.. وجسدي كله يرتجف!!!!.. بسبب كبر سني.. والتوتر.. وهول الموقف.. و.. كل شيء تقريبا.. في حين أغلق (سلطان) باب المركبة وذهب ليجلس على الكرسي الآخر بثبات.. ثم أخذ نفسا عميقا وضغط على مجموعة من الأزرار.. ليقول بحزم:

ـ سيدي.. هل أنت مستعد؟!..

أومأت برأسي إيجابا وأخذت نفسا عميقا.. قبل أن.. قبل أن أشعر بحركة خفيفة سرعان ما تزايدت!!.. شعرت بعدها بأننا نرتفع عن الأرض.. فسألت (سلطان) بقلق واضح:

ـ ماذا يحدث؟!..

رد بثقة وارتياح:

ـ نحن ننطلق يا سيدي.. تماما كما أخبرتك.. إن سفينتنا ترتفع بسبب الأجهزة الخاصة بتحدي الجاذبية.. إنها تعمل بهدوء دون أي محركات.. قد يبدو لك الأمر مريبا حين ترتفع المركبة دون أن تصدر آلاتها أي صوت.. ولكن لا تقلق.. كل شيء يسير بصورة طبيعية تماما.

أومأت برأسي متفهما.. ورحت أنظر حولي عبر القبة الزجاجية الصغيرة للمركبة والتي تحيط بنا من كل جانب بطبيعة الحال.. إننا نرتفع حقا.. نرتفع شيئا فشيئا!!!.. لقد

خرجنا من المخزن.. فالمخزن مكشوف وغير مغطى بسقف.. لقد اخترته عن عمد لهذا السبب!!.

لحظات قليلة قبل أن أجد الأرض بعيدة عنا بمسافة تصل إلى مائة متر!!.. أمر رائع أن ترتفع عن الجميع في هذا الوقت المتأخر من الليل وتشعر بأنك تسمو عن العالم بأكمله!!.. المركبة تصعد وتصعد بهدوء دون أن ينتبه إليها أحد.. أصبحنا بعيدين عن الأرض بثلاثمائة متر على الأقل كما تشير الأجهزة.. و.. لم تمض ثلاث ساعات تقريبا حتى خرجنا من المجال الجوي لكوكب الأرض!!.. و.. بدأ (سلطان) بتشغيل المحركات!!.. ليتنهد بعدها بارتياح شديد.. وكأن حملا ثقيلا انزاح عنه.. ولا أخفي أن شعوره بالارتياح قد أراحني أيضا.. فهذا يعني أن كل شيء يسير على ما يرام.. نهضت من على مقعدي.. وأمعنت النظر عبر القبة الزجاجية المحيطة بنا.. يا لهذا المنظر الرائع .. يا لهذا الكون البديع؟!.. دمعت عيناي لا شعوريا وأنا أرى حلمي يتحقق.. الفضاء يبدو رائعا.. رائعا.. رائعا.. لم أكن أعلم أبدا أن الكون بهذه الروعة.. وهذا الجمال!!.. إننا نبتعد عن الأرض.. نسير بسرعة عالية جدا قريبة من سرعة الضوء كما أخبرني (سلطان).. حتى غابت الأرض عن الأنظار شيئا فشيئا!!!.

ساعات طويلة مضت دون أن أشعر وأنا أشاهد الكون بانبهار شديد قبل أن أسأل (سلطان) دون أن أنظر إليه:

ـ إلى أي مدى سنذهب؟!..

شعرت أن الحزن اكتسى صوته فجأة.. ليقول:

ـ سيدي.. الرحلة ستستغرق سنتين.. أما من ناحية العودة.. فلن نعود أبدا إلى الأرض!!..

ـ ماذا؟؟؟؟؟!!!!

قلتها كالملسوع.. والتفت بسرعة لأنظر إليه وعيناي متسعتان على الآخر.. ثم قلت بذهول:

ـ ماذا تعني بأننا لن نعود إلى الأرض؟!.. هل جننت؟!..

التفت إلي بأسى وهو يقول:

ـ أستطيع الآن أن أخبرك بكل شيء.. فلا مجال للعودة إلى الأرض بعد الآن!!.. ما سأقوله لك قد يبدو جنونا.. لكنها الحقيقة.. إنني.. إنني لست من سكان كوكبك يا سيدي!!.. هل تعرف قصة تلك المركبة الفضائية التي هبطت في (الكويت) بالقرب من محطة (أم العيش) عام 1970؟؟!!!.. إنها حادثة شهيرة تحدثت عنها الصحف في حينها*.. نعم يا سيدي.. والدي ووالدتي كانا على متن تلك المركبة!!..

* حقيقة .. إذ يجهل عدد كبير من الناس حادثة ظهور طبق طائر في (الكويت) عام 1970 عندما شاهده سبعة فنيين ـ بينهم خبير أمريكي ـ قابعا بهدوء مهيب بالقرب من محطة (أم العيش) حيث تسبب بعطل كامل في المحطة!! .. ولم يجرؤ أحد من الفنيين أن يقترب من ذلك الطبق الطائر الذي كان يبعد عنهم بمسافة مائة وخمسين مترا فقط!! .. وبعد ما يقارب العشر دقائق بدأ بالاهتزاز ومن ثم الارتفاع عن الأرض بنفس الهدوء ودون أي ضجة، والغريب أنه بعد ابتعاد الطبق الطائر واختفائه عن الأنظار، عادت الآلات تعمل في المحطة وكأن شيئا لم يكن!! .. وقد نشرت الصحف الكويتية القصة كاملة وقتها، وأثيرت ضجة حول تلك الحادثة الغريبة، إلا أن الأمر قد أصبح في طي النسيان مع مرور الأيام .. وقد تحدث المهندس (سند راشد دخيل) عن تلك الظاهرة بشيء من التفصيل في كتابه (حدث في الكويت).

قاطعته بذهول وأنا أتحدث بصعوبة من هول الصدمة:

ـ عم تتحدث أيها الأحمق؟!.. ماذا تقول؟؟!..

قال بأسى:

ـ أرجوك أعطني الفرصة لأكمل.. لقد انهارت حضارة كوكبي بعد كارثة طبيعية هائلة قتلت الغالبية العظمى من قومي.. وبدأ الناس بعدها يتساقطون واحدا تلو الآخر بسبب نقص الغذاء وانتشار الأمراض وانعدام الأمن.. كنت مختبئا مع والدي ووالدتي في قبو سري بعد أن نجونا بأعجوبة من تلك الكارثة الطبيعية.. حيث عكف والدي على صنع مركبة فضائية صغيرة للهرب من كوكبنا إلى أي كوكب مأهول يصلح للحياة.. فقد كان والدي من أعظم علماء كوكبي وله اختراعات وإنجازات علمية كثيرة.. لقد بذل كل ما يستطيع ليهرب بي وبوالدتي.. و.. نجحنا بالفعل في الهجرة من كوكبنا لنتجه إلى كوكب الأرض بعد أن تبين لوالدي من خلال أجهزة الرصد أنه كوكب يصلح تماما للحياة..

بل أن سكانه يشبهوننا تماما في الهيئة الخارجية.. وهكذا توجهنا إلى كوكب الأرض ووصلنا إليه عام 1970 في زمنكم الأرضي حيث هبطنا بالقرب من محطة (أم العيش) في بلدك (الكويت)!!!.

سكت قليلا ليلتقط أنفاسه.. في حين توقفت أنفاسي تماما وأنا أنظر إليه مشدوها.. قبل أن يكمل بأسى:

ـ لم يكن هناك مجال لإبقاء السفينة الفضائية التي جئنا

بها إلى الأرض.. فلم نكن نريد أن يعلم بشأننا أحد.. كي نتمكن من الاندماج في مجتمعكم بعيدا عن المشاكل.. فأرسل والدي المركبة التي جئنا بها إلى الفضاء البعيد بواسطة التحكم الآلي.. وبقينا في الأرض طوال تلك السنوات دون أن يعرف أحد أي شيء عن هويتنا الحقيقية.. لقد عشنا بعزلة دائمة عن العالم كي لا يكشف أحد أمرنا.. إلى أن توفي والدي قبل سنوات قليلة!!.. لتلحق به والدتي بعدها بسنتين فقط!!.. ولكن قبل رحيلهما.. عرفنا من خلال أجهزة الرصد المتطورة التي صنعها والدي بنفسه أن عجلة الحياة بدأت تدور في كوكبنا بعد كل هذه السنوات.. وأن سكان كوكبي الناجين بدءوا ببناء حضارتنا مرة أخرى.. فقررنا جميعا العودة أخيرا والبدء بحياة جديدة في كوكبنا الأم.. ولكن وفاة والدي ووالدتي حال دون عودتهما بطبيعة الحال.. فقررت أن أعود وحدي إلى كوكبي.. أما طريقة صناعة المركبة فتعلمتها من والدي بالطبع.. و.. أنت تعرف الباقي!!.

لم أرد على كلامه.. ولم أقل شيئا.. إنني أكبر من أن أنفعل وأغضب.. لقد.. لقد خدعني هذا الوغد.. خدعني وأوصلني إلى هنا بكامل رضاي دون أن أعلم!!.. ثم.. سألته بقلق والانفعال يكاد يقتلني:

ـ ماذا سيحل بي الآن؟!..

رد (سلطان) ـ إن كان هذا اسمه الحقيقي ـ بهدوء وأسى:

ـ لقد فكرت في البداية أن أتركك وأهرب بالمركبة الفضائية..

لكني كنت أخشى أن يحصل عطل أو خلل يضطرني للعودة إلى سطح الأرض قبل أن نخرج من مجالها الجوي.. مما يعني أنني قد أحتاج إلى مساعدتك مرة أخرى.. فكان لا بد أن آخذك معي تحسبا لهذا.. لا تنسى أنني لم أجرب المركبة من قبل ولم أكن أعرف مدى نجاحي في تصميمها.. فالأمر بأكمله كان يحوي مخاطرة لا بأس بها!!.. أما لماذا لا أعيدك إلى كوكبك الآن.. فالسبب هو أن المركبة غير مؤهلة للهبوط على الأرض كونها محاطة بمادة مقاومة للجاذبية الأرضية.. ولو قمنا بإلغاء عمل هذه المادة عند دخولنا لمجالكم الجوي فستقع المركبة وتصطدم بالأرض مما يعني بالتأكيد هلاكنا نحن الاثنين.. صدقني.. لم يكن لدي حل آخر.. أما ما سيحدث الآن.. فمع كل أسف ستموت يا سيدي!!!.. لا مجال لك للحياة في عالمي.. إن بيئتنا تختلف تماما عن بيئة كوكب الأرض.. ولو لم تختر الموت.. فستفتك بك البكتيريا والفيروسات الموجودة في كوكبي!!!.. إن أجسادكم البشرية غير مؤهلة لقتال الفيروسات والبكتيريا الموجودة في كوكبي والتي هي أقوى من تلك الموجودة على كوكب الأرض بعشرات المرات.. مع الأسف.. من الأفضل لك أن تموت هنا بهدوء وبسرعة.. أفضل من الموت بعد أن تفتك بك الأمراض وتتعذب!!.

ثم أخرج من جيبه مسدسا.. وأطلق رصاصة واحدة على صدري قبل أن أعترض أو أبدي أي رد فعل!!!.. سقطت أرضا.. وهو ينظر إلي بأسى وحزن شديد ويردد:

ـ سامحني.. سامحني.. أرجوك سامحني.. لم يكن يوجد حلا آخر!!!!.

وأمام كلماته.. تطلعت إلى سقف المركبة.. إلى الفضاء.. إلى النجوم والكواكب.. وشعرت بأنني أخبو.. أموت.. شعرت أن النجوم تجذبني إليها.. لكني رغم كل شيء لم أشعر بالحقد أو الكراهية تجاه (سلطان).. بل وعلى العكس تماما!!.. كنت سعيدا.. سعيدا لأنني حققت حلمي!!.. لن يضرني إن مت الآن وأنا في الثالثة والسبعين من عمري.. المهم أنني سأموت بعد أن تحقق حلمي.. الحلم الفضائي.

المسرحية

منذ أسابيع والاستعدادات تتواصل من أجل هذه المسرحية.. إنها مسرحية جديدة من نوعها بأفكارها وأحداثها.. فهي تجمع بين الكوميديا والتشويق والحبكة الدرامية.. كما أنها تحوي نخبة هائلة من ألمع النجوم.. ولحسن الحظ سأكون على رأسهم.. نعم.. سأقوم بدور البطولة.. وهذا انتصار كبير لي دون شك في مشواري الفني الذي بدأته منذ فترة قصيرة نسبيا صعدت من خلالها إلى القمة بفضل جديتي في الأداء وعدم خروجي عن النص كما يفعل الكثيرون من نجوم المسرح.

ظللت أعمل وأعمل طوال الأسابيع الماضية.. أقرأ النص وأتأكد من حفظ كل سطر فيه.. وأتعامل مع بقية زملائي الممثلين بكل احترام وتقدير.. كنت أحاول أن أكون قدوة للجميع في احترامي لمواعيد البروفات والتزامي بتعليمات المخرج.. فالناس لا ترحم النجوم أبدا.. وتحسب عليهم زلاتهم كما نعلم جميعا!!.

وبعد أسابيع طويلة من البروفات المتعبة والمملة.. وبعد جهود جبارة لا توصف بذلتها في حفظ نص حوار المسرحية.. بل وتوجيه الممثلين المبتدئين أحيانا كثيرة.. جاءت تلك الحادثة التي أعتبرها البداية الحقيقية لقصتي!!.

فبعد أن انتهينا من أداء إحدى البروفات النهائية في تلك الليلة.. ذهبت إلى غرفتي لأنال قسطا من الراحة.. ماذا؟!.. تسألونني لماذا لا أذهب إلى البيت؟!.. لأننا نريد أن نعيش أجواء المسرحية وننفصل تماما عن الواقع.. لذا فقد ارتأى

المخرج أن نسكن في غرف الاستراحة التابعة للمسرح طوال فترة الاستعداد!!.. نعم.. كنا نعمل بمنتهى الجدية كما ترون!!.

ماذا كنت أقول؟!.. آه.. ذهبت إلى غرفتي لقضاء قسطا من الراحة استعدادا لبروفة الغد وهي النهائية قبل بدء العرض الأول في الأسبوع القادم.. كنت مستلقيا على سريري دون أن أبدل ثيابي من فرط الإرهاق.. أفكر في تلك المسرحية وما ستضيفه إلى رصيدي الفني.. يجب أن أكون متألقا كعادتي.. يجب أن أثبت للجميع أنني نجم المسرح الأول.. كنت أفكر في كل هذا قبل أن يطرق أحدهم باب غرفتي.. ضربات متوترة قلقة!!!.. نظرة سريعة إلى الساعة.. إنها تقترب من الثانية عشر مساء!!.. مططت شفتي مستغربا.. ونهضت من على السرير.. وقبل أن أسأل عن هوية الطارق.. سمعت صوتا متوترا يقول من خلف الباب:

ـ افتح الباب يا (عبدالعزيز).. افتح الباب أرجوك.. هناك أمر هام يجب أن نتحدث بشأنه!!.

هذا صوت أحد زملائي الممثلين!!.. رفعت حاجبي علامة الاستغراب عن سبب زيارته لي في مثل هذا الوقت المتأخر!!.. وفتحت له الباب.. فدخل الغرفة بسرعة ودون استئذان.. ليجلس على الفراش وعلامات التوتر تسيطر تماما على ملامحه!!.. ثم قال دون مقدمات:

ـ (عبدالعزيز).. هناك أمر خطير.. خطير جدا!!..

قلت له وقد بدأ القلق يتسرب إلى صوتي:

ـ ماذا يحدث؟!.. أخبرني بالله عليك..

رد وهو يلهث من شدة التوتر:

ـ دور البطولة في المسرحية.. سيأخذه منك المخرج ويعطيه لممثل مبتدئ.. لا تسألني لماذا سيفعل هذا.. أنا لا أعرف السبب!!.

صعقت.. صعقت تماما من هذا الكلام!!!.. هذا.. هذا مستحيل .. قلت لزميلي بذهول:

ـ لا يمكن.. كيف؟!.. لا يمكن أن يحدث هذا.. يأخذ مني دور البطولة ويعطيه لممثل مبتدئ؟!.. هذا مستحيل تماما.. ولكن.. كيف.. كيف عرفت؟!..

رد بتوتر:

ـ لقد سمعت المخرج يتحدث مع المنتج.. ويخبره أنه ليس مقتنعا بأدائك في المسرحية.. ويريد استبدالك بذلك الممثل المغمور الذي سيقوم بدور الطباخ.. وإعطاؤك أنت دور الطباخ بالمقابل!!.

هنا صرخت مذهولا:

ـ ماذا تقول؟؟؟!!!.. ما هذا الهراء.. أنا لا أصدق حرفا من هذا.. أنا.. أنا...

لم أجد ما أكمل به عبارتي من قوة المفاجأة!!.. فهززت رأسي بذهول غير مصدق.. وقلت:

ـ لا.. لا أعتقد.. لا يمكن.. هناك أمر لم تفهمه أنت دون شك!!.. لا شك أنك أسأت فهمهم.

هتف قائلا:

ـ أتمنى أن أكون مخطئا.. ولكن هذا ما سمعته بالفعل!!.. وما سمعته لا يمكن أن يفسر بطريقة خاطئة يا (عبدالعزيز).. لقد ذكر المخرج اسمك.. وقال للمنتج أنه سيستبدلك بذلك الممثل المغمور!!.. على كل حال.. انتظر حتى الغد.. وسيخبرك المخرج بنفسه.. ولكن أرجوك.. لا أريده أن يعرف أنني أخبرتك بالأمر.. لا أريد أن أخسر دوري في هذه المسرحية.. إنها حديث الساعة كما تعلم.

وضعت يدي على كتفه مطمئنا وشكرته على كل شيء.. و.. لم يجد بعدها ما يقول.. فتركني في غرفتي والأفكار تتضارب في ذهني حتى أصبحت مشوشا تماما.. هل.. هل ما أخبرني به حقيقي؟!.. لا يمكن.. هناك خطأ دون شك!!.. لا يمكن أن يأخذ مني المخرج دور البطولة قبل موعد العرض الأول بأسبوع!!.. بل ويعطيه لممثل مغمور.. لا.. مستحيل!!.. لا يمكن أن يسكت زملائي الممثلين على تلك المهزلة!!.. هذا لم ولن يحدث أبدا في تاريخ الفن.. ولكن.. شيئا في أعماقي يخبرني أن زميلي مخطيء.. هناك شيء غير مفهوم.. سوء فهم؟!.. لا شك في ذلك!!.. هناك سوء فهم.. هناك سووو..... غبت أخيرا في عالم الأحلام من شدة الارهاق.

عندما ذهبت إلى مكان البروفة في الصباح الباكر.. فوجئت

بالمخرج يستقبلني بهدوء مستفز دون أي سبب!!.. قبل أن يقول بحزم لا يخلو من السخرية:

ـ (عبدالعزيز).. لقد تحدثت مع المنتج في الأمس بعد انتهاء البروفة.. وقررنا أن نأخذ منك دور البطولة.. ونعطيه لذلك الممثل المبتديء الذي كان سيقوم بدور الطباخ!!.. وستلعب أنت بالمقابل دور الطباخ!!!!..

قالها هكذا بكل بساطة.. وبصوت ساخر مستتشف!!.. لماذا.. لماذا يفعل هذا؟!.. نظرت إليه غير مصدق.. ثم نظرت إلى باقي الممثلين.. يبدو أن الجميع على علم بالأمر وقد كنت أنا آخر من يعلم!!!.. ولكن.. كيف.. كيف يقبل جميع زملائي الممثلين بأمر كهذا؟!.. إنهم نخبة من كبار الفنانين.. كيف يسمحون لممثل مغمور أن يأخذ دور البطولة؟!.. سألت المخرج بعصبية بالغة حتى شعرت أن الشرر سيتطاير من عيني:

ـ لماذا تفعل هذا؟؟!.. إنك تثير غضب الجميع.. كيف تضحي بمسرحية بهذا الحجم وتعطي دور البطولة لممثل مغمور لا يعرفه أحد؟!.

سكت وأنا أنظر إلى الجميع.. متوقعا أن حديثي هذا سيحفز زملائي الممثلين ويجعلهم يقفون إلى جانبي بدلا من سكوتهم الغريب!!.. لكن.. بقي الجميع صامتا.. وكأنهم.. وكأنهم سعداء بما يحدث.. أو هذا ما بدا لي!!!.. فحتى الممثل المغمور كان واقفا يرمقني بسخرية!!.. تجاهلت نظراته الوقحة.. وسألت الممثلين بغضب هائل:

-هل يرضيكم ما يفعله هذا المخرج الأحمق؟!.. هل تقبلون أن يقوم بدور البطولة ذلك الممثل المبتديء؟!..

لم يرد أحد.. بل نظر إلي الجميع بسخرية لم أفهمها.. ثم همهم بعضهم بكلمات الاستحسان.. الاستحسان على ما يفعله المخرج!!.. لم أصدق.. لم أصدق أن تكون ردة فعل الجميع بهذه الصورة.. إنها.. إنها مؤامرة إذا.. يريدون تدمير نجوميتي!!.. صرخت بالمخرج بعصبية بالغة:

-لماذا تفعل هذا أيها الوغد؟؟!.. إنك تدمرني تماما بتصرفك الأرعن.. فجميع الناس يترقبون تلك المسرحية.. جميعهم يعرفون أنني سأكون نجمها الأول.. قد لا يكترث هؤلاء الأوغاد بسمعتهم الفنية بسماحهم لهذا الممثل المغمور أن يأخذ دور البطولة.. أما أنا فلن أتركك تفعل ما تريد.. لن أسمح بهذا العبث أن يستمر..

رد علي بابتسامة ساخرة:

-ماذا ستفعل أيها البطل؟؟.. الأمر انتهى ولا مجال للتراجع.. نحن لا نريدك أن تأخذ دور البطولة.. بل أننا مستعدون أن نؤخر موعد افتتاح المسرحية حتى يحفظ ذلك الممثل المغمور دورك ويقوم به على أكمل وجه!!.

اقتربت منه ووجهي محتقن من شدة الغضب.. وصحت به بانفعال شديد والزبد يتراكم على جانبي فمي:

-أيها اللعين.. لن أسمح بذلك وحتى وإن اضطررت لقتلك!!..

قلت الجملة الأخيرة.. و.. و.. لم أحتمل أكثر!!!.. لم أحتمل نظراته الساخرة.. فهجمت عليه.. وأمسكت بعنقه!!.. حاول الإفلات مستنجدا بالممثلين.. خاصة وأنه نحيل الجسد قصير القامة من الممكن أن أسحقه بيد واحدة!!.. سألقن هذا الوغد درسا في احترام عمالقة الفن.

تحول المكان إلى حلبة مصارعة.. مصارعة غير متكافئة إطلاقا بيني وبين المخرج.. فالتف حولنا الممثلين!!.. وتعالت أصواتهم لمحاولة حث المخرج على النهوض ومحاولة قتالي دون أن يتدخل أحد منهم لإنهاء الشجار!!.. هل نحن في إحدى المدارس الثانوية؟؟!.. لماذا يتصرفون جميعا بهذه الصورة؟؟!.. لـااااااااخ.. لقد عض المخرج اللعين يدي!!.. قمت بحقد بالغ بوضع كفي حول عنقه.. وضغطت عليه بكل قوتي!!.. بالطبع أنتم تعرفون ما سيحدث.. هو تماما ما تتوقعونه.. لقد خنقت المخرج.. فتوقفت أنفاسه تماما وهمدت حركته!!!!.

لحظات.. لحظات قليلة جدا قبل أن يقفز علي أحدهم ويكبل حركتي.. ويقول كلاما غريبا لم أفهمه.. فقد كان يقول بصوت مرتفع:

-أيتها الممرضة.. أحضري المعطف ذو الأكمام الطويلة!!.. هذا المريض قتل زميله!!..

ثوان قليلة قبل أن تدخل فتاة من جنسية آسيوية مع بعض الرجال.. فقيدوا حركتي تماما.. ثم شخص آخر يدخل الغرفة.. ويقول بسرعة:

- تأكدوا من أن المريض الثاني قد فارق الحياة.. ربما نستطيع أن نسعفه..

ثم وجه كلامه بغضب لشخص آخر يقف بجانبه:

- ألم أخبرك أن ما يفعله هؤلاء المرضى سيؤدي إلى كارثة؟؟!!.. لقد أخبرتك منذ فترة أن هؤلاء المجانين يظنون أنهم نجوم في عالم الفن وأنهم بصدد عمل مسرحية.. وأن أمورا سيئة قد تحدث بسبب ذلك!!.. خاصة مع هذا المريض المدعو (عبدالعزيز).. لقد أخبرتك أن هذا المريض النفسي يختلف عن زملائه.. فهو خطر عليهم.. لقد حاول قتل أحد المرضى منذ سنتين!!.. وقد طالبت أنا بعزله.. إلا أنك كنت مصرا على أن يختلط بزملائه رغم اعتراضي الشديد.. أنظر ماذا حدث الآن..

رد عليه الآخر بدهشة:

- لم أتوقع أن يحدث ما حدث!!!.. لقد ظننت أن اختلاطه بزملائه المرضى سيكون جزءا من العلاج وسيساعده على الشفاء!!.. لم أتوقع أن يعود إليه جنونه ويقتل زميله!!!.. أعترف لك بأن (عبدالعزيز) هو أغرب نزلاء مستشفى الطب النفسي منذ أن استلمت وظيفتي هنا!!.. فعندما تظن أنه في طريقه إلى الشفاء يرتكب جريمة جديدة!!.. أنا أعتذر لك عن هذا الخطأ!!.

مط الرجل الأول شفتيه وهو يقول بحنق:

- لا فائدة من الاعتذار الآن.. ولكن أرجوك أن تلتزم بنصائحي في المرة القادمة فأنا أكثر منك خبرة.. وأعرف ما أقول.. اتصل بالشرطة الآن حتى نثبت الحالة ضد (عبدالعزيز)!!.. ستكون هناك تحقيقات واسعة بسبب تلك الجريمة.. ولكن لا حرج على المجنون كما تعلم.. لن يتهم أحد (عبدالعزيز) بشيء.

ظللت أستمع إلى هذا الحوار في حين يقوم هؤلاء الرجال بتقييدي.. ثم تذكرت المسرحية مرة أخرى.. فرحت أصرخ وأتوعد:

- إنني من ألمع نجوم الفن.. لا يجوز أن تعاملونني بهذه الطريقة.. لن أسمح لكم أبدا.. سيكون دور البطولة لي وحدي.. أيها الأوغاد.. أيها الـ....

وشتائم عديدة أخرى قبل أن يضعوني على الفراش في إحدى الغرف ويدس أحدهم حقنة في عروقي وهو يصيح:

- هذه الحقنة المهدئة ستجعله ينام.. هذا المريض النفسي يجب أن يعزل عن بقية المرضى.. إنه خطر عليهم!!.. إنه..

لم أستمع إلى باقي الكلام.. لأنني غبت في عالم الأحلام آملا أن أستيقظ لأعرف ملابسات ما يحدث!!.. لأنني لا أفهم شيئا مما يقوله هؤلاء.. لا أفهم إطلاقا!!.

الساعة

لا شك أن عرض العمل الذي حصلت عليه من إحدى الشركات في (دبي) كان نقلة نوعية في حياتي.. خاصة وأن الراتب يوازي راتبي في (الكويت) ثلاث مرات تقريبا بالإضافة إلى شقة وسيارة!!.. عرض مغر بالفعل.. أليس كذلك؟!.

لم أقاوم الإغراء!!.. فمن يرفض الإقامة في (دبي) مع راتب كهذا؟!.. خاصة وأنني أعزب ولن أحتاج إلى إقناع زوجة أو أبناء بهذه النقلة النوعية في حياتي..

ورغم اعتراض والدتي في البداية.. إلا أنني أقنعتها بسهولة كوني ساكون قريبا منها ومن والدي وباستطاعتي زيارتهما مرتين في الشهر على أبعد تقدير!!.

رحلت أخيرا إلى (دبي) بالفعل.. تلك المدينة الخلابة الجميلة التي تجعلك تحلم بحياة أفضل.. ومستقبل باهر.. لكني بكل تأكيد لم أضع في حسابي ذلك الوحش الكاسر الذي لا يرحم والذي شعرت به مع مرور الأيام.. الوحدة!!.. والملل!!.. فقد بدأ الملل يسيطر على حياتي.. إذ كانت ساعات العمل تلتهم حياتي التهاما.. وعندما أعود إلى شقتي.. أكون منهكا لا أقوى على الخروج والاستمتاع بما تبقى من اليوم..

أما خلال عطل نهاية الأسبوع.. فقد فعلت كل ما يفعله أي سائح من زيارة للمجمعات التجارية الهائلة وباقي الأماكن الترفيهية التي تزخر بها (دبي).. ثم شعرت مع مرور الأيام أن كل شيء أصبح مملا لا لون له ولا طعم!!!.. فرحت أمضي معظم الوقت في شقتي.. أعد لنفسي الطعام وأشاهد قنوات الأفلام.. دون أن أنسى زيارة أهلي في (الكويت) بين الحين والآخر.

ظللت أعيش حياة رتيبة في (دبي) إلى أن شاءت الظروف لألتقي بتلك السيدة.. امرأة عجوز بدت لي في السبعين من عمرها تحمل نظرة ذابلة وملامح جمال قديم.. وكان شكلها يبدو غريبا إلى حد ما.. أين وجه الغرابة؟!.. لا أعلم.. فقد بدا وجهها غريبا فحسب!!!.

كان لقاءي الأول بتلك السيدة العجوز في مصعد المجمع السكني الذي نقطنه.. عندما عرضت عليها مساعدتي لحمل مشترياتها من السوبر ماركت القريب.. خاصة بعد أن علمت منها أنها تقطن بالشقة المقابلة لشقتي..

شكرتني كثيرا.. ولم يفتني أن ألحظ اللكنة الغريبة التي تحدثت بها.. لقد كانت لكنة عربية.. لكنها لا تشبه لكنة أي بلد عربي.. سألتها عن وطنها.. فقالت ببساطة:

- إنني من (ليبيا).. لكني عشت حوالي خمسون عاما من عمري خارج موطني أنتقل من بلد لآخر.. وانتقلت أخيرا إلى (دبي).. كي أستقر هنا في السنوات المتبقية من عمري..

سألتها بفضول بدا غريبا على طبيعتي الخجولة:

- وما سبب سفرك الدائم بهذه الصورة طوال حياتك؟!.. عذرا ولكن الأمر أثار اهتمامي..

ردت ببساطة محببة أيضا:

- إنني أهوى دراسة التاريخ وجمع الآثار من مختلف بلدان العالم.. وكانت هذه الهواية تسيطر على تفكيري تماما.. حتى

أنني جمعت مئات التحف والمخطوطات النادرة التي يزيد عمرها عن المائتي عام على أقل تقدير!!.

كان هذا لقاؤنا الأول والذي فتح الباب للقاء ثاني وثالث بطبيعة الحال.. إلا أن علاقتنا ظلت مقتصرة على إلقاء التحية أثناء خروج كل منا أو دخوله إلى شقته.. وقد أثار فضولي نشاطها الملحوظ رغم كبر سنها.. فكانت لا تتواجد في شقتها إلا نادرا. وبالطبع.. ما ذكرته ليس سوى مقدمة لقصتي هذه.. فالبداية الحقيقية هي بكل تأكيد عندما زارتني تلك السيدة في شقتي!!.. لقد سعدت كثيرا بزيارتها ورحبت فيها بحرارة.. خاصة وأن الزيارة كانت مفاجئة بالفعل!!..

دعوتها لتناول العشاء معي.. فالوحدة جعلت مني طباخا لا بأس به على الإطلاق.. إلا أنها اعتذرت بأدب شديد قبل أن تقول بشيء من الخجل:

- الواقع أنني أتيت لزيارتك لأقدم لك عرضا لا يرفض!!..

رفعت حاجبي مستغربا ومتسائلا.. فأردفت ببساطة:

- قبل أن أخبرك بعرضي المفاجيء.. أريدك أن ترى شيئا لأنك لن تصدقني ما لم تراه بنفسك!!.

هززت رأسي كناية على أن كلامها جميل لكني لم أفهم منه شيئا!!!.. ثم.. أخرجت من حقيبتها الصغيرة ساعة يد غريبة جدا لم أرى مثلها في حياتي!!.. قبل أن تضعها حول معصمها وتنهض لتجلس بجانبي حتى كادت أن تلتصق بي!!!.. وضغطت بعدها على أحد أزرار الساعة!!!..

حدث كل هذا وأنا أنظر إليها باستغراب شديد حتى شعرت للحظة أن هذه المرأة ليست طبيعية.. هل هي مجنونة مثلا؟!.. ربما.. و..:

- هل لك أن تنظر عبر النافذة المطلة على الشارع؟!..

نظرت إليها مبتسما وقد فهمت أن هذه السيدة مخبولة تماما.. فقلت بشيء من الحرج:

- ولم تريدينني أن أنظر عبر النافذة؟!..

ردت بحزم:

- لأنك سترى في الشارع شيئا لم ولن ترى مثله في حياتك!!!..

مططت شفتي متذمرا من هذا الجنون!!.. ثم نهضت متثاقلا لألقي نظرة على الشارع من نافذة شقتي.. و.. في البداية لم أنتبه.. ولكن.. بعد لحظات فقط صعقت بما رأيت.. هل هذه صدفة؟!.. لا يمكن.. مستحيل!!!!.. أدرت وجهي نحو السيدة والذهول يملأ ملامحي!!!.. بينما تنظر هي إلي نظرة الحكيم والعليم ببواطن الأمور!!!.. فعندما نظرت إلى الشارع.. لم أرى إنسانا واحدا.. لقد خلت الشوارع فجأة من كل شيء.. كل شيء.. لم أجد أي إنسان أو سيارة في شوارع (دبي) المكتظة عادة!!.. تخيلوا هذا.. لا أثر لأي شكل من أشكال الحياة في مدينة مزدحمة بشكل شبه دائم!!!!.. كيف يحدث هذا؟!.. لا أعلم!!!..

قطعت السيدة حبل ذهولي لتقول بهدوء شديد:

- أعلم أنك مصدوم وتكاد لا تصدق ما تراه!!.. وهو أمر طبيعي جدا.. فالإنسان عادة لا يستطيع أن يستوعب أن هناك قوى تعمل خلف إدراكه!!!.. لكني سأخبرك بالسر.. هل ترى تلك الساعة التي ارتديها؟!.. إنها السبب وراء اختفاء الناس!!.. هذه الساعة الأثرية صنعت في الأزمان الغابرة.. تخيل هذا!!!.. لقد حصلت عليها بالصدفة البحتة أثناء زيارتي لأحد أطلال حضارة (المايا)* القديمة والتي بلغت من العلوم شأنا هائلا يفجر كل علامات الاستفهام.. كنت مبهورة بكيفية تمكن تلك الحضارة العبقرية من اختراع ساعة يد!!.. قبل أن أعرف مع مرور الأيام أنها ليست مجرد ساعة.. بل اختراع رهيب لم نتوصل نحن إليه رغم أننا في القرن الواحد والعشرين!!!..

سكتت قليلا وكأنها تسترجع ذكرى محددة.. ثم استطردت أمام ملامحي المتسائلة:

- لم أعرف ميزة الساعة في البداية.. إلا أن كل شيء اتضح بشكل مفاجيء عندما عبثت بأزرارها للمرة الأولى.. لأرى نفسي فجأة وحيدة تماما في المقهى الذي كنت أجلس فيه!!.. إذ اختفى الجميع بشكل مفاجيء أثار رعبي!!!.. أما الشوارع

* حضارة (المايا) هي واحدة من الحضارات القديمة جدا والتي بلغت من العلوم في عصرها شأنا كبيرا.. فقد رصد أهلها حركات الشمس والقمر والنجوم وأهدوا للعالم الكاكاو والفانيلا والذرة، وتوجد دلائل أثرية تشير إلى أن تلك الحضارة كانت تقدس الحضارة المصرية كثيرا وتعتبرها أحد أعظم حضارات الأرض، وهناك اكتشاف مثير جدا وبالغ الغرابة عثر عليه على جدران أحد المعابد الأثرية التابعة لحضارة (المايا).. فقد عثر العلماء على نقش يعود إلى أكثر من 25 قرنا من الزمان ويمثل صورة من الجو تحدد منطقة أهرامات (الجيزة) بدقة مذهلة!!.. ويؤكد العلماء أن نقشا بهذه الدقة لا يمكن أن يرسم إلا إذا كان من نقشه قد رأى الأهرامات من الجو بالفعل!! وهذا الأمر بالذات يعتبر لغزا شديد التعقيد لم يجد له أحد الجواب!!..

فقد خلت من المارة تماما.. خرجت من المقهى مذهولة!!.. وشيئا فشيئا.. عرفت حقيقة الساعة.. إنها ساعة تجعلك متقدما عن الزمن الحالي لمدة دقيقة!!!!.. أي أنها تجعلك تسبق البشر جميعا بدقيقة واحدة فقط.. لهذا لا ترى أحدا في الشوارع ولا في أي مكان.. العالم كله يعيش قبلك بدقيقة.. إنها شبيهة بآلة زمن.. لكنها ليست آلة زمن.. إذ لا تتيح لك رؤية مستقبل الناس.. بل تجعلك متقدما عنهم بدقيقة فحسب.. فلسفة زمنية صعبة الفهم دون شك.. لكن هذا ما تفعله الساعة بالفعل!!!.. ولا أنسى أن أخبرك أنني جلست ملتصقة بك حتى تتأثر أنت أيضا بمفعول الساعة وتتقدم عن الزمن الحالي بدقيقة.. و....

- مهلا.. مهلا.. مهلا.. مهلا!!..

أخرستها هكذا بكل وقاحة!!!.. فقد كان ما تقوله لي كثير.. كثير جدا.. إنها - وبكل بساطة - تقلب جميع المفاهيم التي عرفتها في حياتي!!!!.. أمورا كتلك لا نسمع عنها إلا في قصص الخيال العلمي التي لا أحبها كثيرا.. لا يمكن أن يكون ما قالته حقيقي!!.. لكني.. لكني رأيت كل شيء بنفسي!!.. و.. و.. بدا ذهولي واضحا حتى صرت عاجزا عن التفكير.. لكني تمالكت نفسي وسألتها بشيء من القلق:

- كيف.. كيف سيعود كل شيء إلى ما كان عليه؟!..

ردت بهدوء:

- بالضغط على زر الساعة مرة أخرى!!..

قالت هذا وضغطت زر الساعة.. فهرعت إلى النافذة لأتأكد.. ثم تنفست الصعداء بعد أن عادت الحياة إلى طبيعتها بالفعل!!.. التفت لأنظر إليها وأسألها بذهول شديد:

- لماذا تخبريني بكل هذا.. ومن أنت بالضبط؟؟!..

- لقد أخبرتك عن نفسي.. أما لماذا أطلعك على سر تلك الساعة.. فهذا يعيدنا إلى العرض الذي أخبرتك به في البداية.. إنني أعرض عليك 60 مليون دولار!!!! .. ستأخذ نصفه مقدم.. والنصف الآخر بعد أن تنفذ ما سأطلبه منك!!..

نظرت إليها غير مصدق!!.. 60 مليون دولار!!!!.. إنه ليس مبلغ.. بل ثروة.. ثروة حقيقية!!.. سألتها وعيناي متسعتين على آخرهما:

- مـ.. مـ... ماذا تريدينني أن أفعل؟؟!..

تنهدت قليلا.. ثم قالت:

- أريدك أن تذهب إلى متحف (دبي).. وتسرق منه بعض التحف الثمينة والمخطوطات النادرة.. سأدلك على التحف والمخطوطات التي أريدك أن تسرقها تحديدا!!.. ستفعل كل هذا دون أن تخشى شيئا على الإطلاق وستملك كل الوقت الذي تحتاجه لأنك ستستخدم الساعة.. إنها جريمة كاملة كما ترى..

بالطبع رفضت.. رفضت تماما في البداية!!.. إنها سرقة.. وأنا لا يمكن أن أسرق!!.. أو هذا ما ظننته على الأقل.. لكنها ظلت في شقتي حتى الصباح تزين لي الأمر وتحاول إغرائي بالمال

وأن تلك السرقة لن تؤذي أحد.. بل هي مجرد آثار لن يهتم لها عامة الناس.. وأن المال الذي سأحصل عليه سيغير حياتي إلى الأبد.. و.. وافقت.. نعم.. وافقت أخيرا!!!.. لم أتوقع يوما أنني سأسرق.. لم أتوقع على الإطلاق.. لكن هذا المبلغ يعني تغيير حياتي تماما.. سأصبح من أثرياء العالم في ليلة وضحاها.. لكني تذكرت شيئا هاما!!.. فنظرت إليها بشك.. و:

ـ لماذا لا تسرقين تلك التحف بنفسك؟!.. بل لماذا لا تسرقين البنوك نفسها؟!..

قالت مبتسمة:

ـ إنني امرأة عجوز.. لا أقوى على حمل اللوحات والتحف الثقيلة.. لذا أحتاج لمساعدتك.. أما عن سرقة البنوك فلم أفكر بها في واقع الأمر.. ربما لأنني ثرية ولا أحتاج إلى نقود.. وربما لأن النقود لا تشتري التحف والآثار التي أعشقها والتي تحويها المتاحف..

سألتها بتحد:

ـ ولماذا أنا بالذات؟!..

ردت ببساطة شديدة:

ـ لأنني لا أعرف سواك في هذا البلد!!..

إنها تملك الإجابة على كل شيء كما هو واضح.. لكني سألتها سؤالا أخيرا:

ـ وكيف ستبيعين تلك التحف؟!..

قالت بحسم:

ـ من قال أنني سأبيعها.. إنني أعشق التحف والآثار وأريد أن أجمع أكبر قدر منها.. الأموال لا تهمني.. فأنا ثرية كما أخبرتك.. وهذه الشقة التي أسكنها مؤقتة إلى أن يتم الانتهاء من فيلتي الجديدة.. هه.. ماذا تقول؟!.. هل ستقبل العرض؟!..

أومأت برأسي موافقا وقد شعرت بأنني مسحور تماما ومفتون بهذا المبلغ الهائل.. فاستأذنتني للذهاب إلى شقتها لجلب المبلغ!!!.. وبالفعل.. دقائق قليلة قبل أن تعود إلى شقتي وهي تسحب حقيبة ثقيلة ذات عجلات.. نعم.. إنها حقيبة تحوي نصف المبلغ.. 30 مليون دولار!!!!.. سألتها بدهشة:

ـ هل.. هل تحتفظين بمبلغ كهذا في شقتك؟؟؟!..

قالت بثقة:

ـ ولم لا؟!.. هناك أمورا كثيرة لا أود أن أفصح عنها.. فأرجوك لا تسألني أي سؤال خارج نطاق الصفقة التي عقدتها معك..

سألتها في حدة:

ـ وكيف لي أن أعرف أن تلك الأموال ليست مزيفة؟!..

قالت بحزم:

ـ تستطيع أن تأخذ أي ورقة تختارها من هذه الأموال وتذهب بها إلى البنك للتأكد من أنها حقيقية!!!.

تخاذلت أمام هذا الكلام.. فالمبلغ الذي رأيته لم أرى مثله في حياتي .. و.. وافقت على القيام بالمهمة الآن!!!.. نعم.. طلبت منها أن أقوم بالمهمة الآن!!!.. ذلك المبلغ يجب أن يكون بحوزتي في أسرع وقت.. هذا ما قلته لنفسي.. فأخذت منها الساعة.. وخرجت متجها إلى المتحف.. في حين ظلت السيدة تنتظرني في شقتي..

وصلت إلى المتحف أخيرا في العاشرة صباحا بعد أن قضيت الليلة بأكملها ساهرا أتحدث مع تلك السيدة!!.. ووسط الزحام الشديد.. أخذت نفسا عميقا.. ثم.. ضغطت على زر الساعة.. ليختفي كل الناس فجأة!!.. تماما كما حصل في المرة الأولى!!.. شعرت برجفة قوية في جسدي!!.. ليست رجفة خوف أو توتر.. بل رجفة أخرى لا أعرف كيف أصفها.. نعم.. أذكر أنني شعرت برجفة مماثلة عندما ضغطت السيدة على زر الساعة في المرة الأولى.. إلا أنني لم أفهم السبب وراء ذلك..

ربما كان هذا بسبب تغيير الزمن حولي.. لا تنسوا أن الساعة جعلت الزمن يتغير.. وأنني أصبحت متقدما عن الناس بدقيقة.. فأصبح العالم بأكمله خاليا من البشر وكذلك المتحف بالطبع.

سرت بهدوء مهيب ناحية بوابة المتحف وسط صمت شديد ساد العالم بأكمله.. أردد بخفوت شديد وكأنني لا أريد أن أفسد هذا السكون الذي لم ولن أشهد مثله:

- لا أعتقد أن هناك متحف قد تمت سرقته بهذه السهولة في تاريخ البشرية ومنذ إنشاء المتاحف!!..

و.. لم يكن هناك الكثير لأضيفه حول عملية السرقة.. إذ رحت بسهولة أنتزع بعض اللوحات والتحف التي أعطتني تلك السيدة أرقامها وأضعها في سلة كبيرة جلبتها معي.. وكأنني أتسوق في سوبر ماركت!!.. ثم خرجت بحذر وأنا أترنح بسبب ثقل ما أحمله.. ألتفت يمينا ويسارا!!.. لا أحد.. لا أحد إطلاقا.. وضعت بعدها كل شيء في السيارة.. ثم توجهت أخيرا إلى شقتي بكل سهولة في مهمة لم تتجاوز ساعة واحدة فقط!!!.. وقد كانت السيدة العجوز بانتظاري!!.

أشرق وجهها عندما رأتني.. ونهضت من مكانها لتشاهد التحف بلهفة شديدة.. ثم قالت بحماس:

- هذا رائع.. لقد نفذت ما هو مطلوب منك.. سأعطيك الآن باقي المبلغ.. إنه موجود في شقتي!!.

دقائق قليلة.. وإذا بحقيبة أخرى تحوي النصف الثاني من المبلغ!!!.. أخذت منها الحقيبة بلهفة.. حتى أنني شعرت بأنني إنسان آخر.. حقا أن للمال هيبة!!!.. لم أشاهد في حياتي أموالا بهذا الحجم!!!.. ولم أشك بعد كل ما حدث أن الأموال مزيفة.. سيدة تمتلك ساعة كتلك.. لن تعجز عن الإتيان بمبلغ كهذا.. يا له مبلغ.. يا له مبلغ.. يا له من مبلغ.. راحت الجملة تتردد في ذهني دون توقف وبريق المال يجعلني أحلم ببيت في (النمسا) ويخت في (سويسرا) وشقة في أرقى أحياء (باريس).. إلخ.

بالطبع كنت أظن أن حياتي ستتغير إلى الأبد منذ تلك اللحظة.. ولكن من قال أن التغيير دائما يكون للأفضل؟؟!!.. ومن

قال أنني سأجد الوقت للاستمتاع بهذه الثروة؟؟!.. فبعد أن خرجت السيدة أخيرا.. وبعد أن غرقت في سبات عميق وأنا أحتضن حقيبة الأموال وكأنني أحتضن فتاة الأحلام.. استيقظت من النوم أخيرا عازما على تقديم استقالتي من العمل والاستعداد لبدء حياتي الجديدة.. لأفاجيء بمظروف أنيق عند باب شقتي!!!!.. فتحت المظروف وإذا برسالة لم أتوقع للحظة أنها تحوي مصيبة كتلك!!!!.. بل كارثة!!!.. كارثة لا تصدق.. فقد كانت الرسالة من السيدة العجوز نفسها.. تقول فيها:

«عزيزي.. سأخبرك بالحقيقة.. إنني زائرة من المستقبل!!!.. من عام 4412 م.. نعم.. لقد عدت إلى الماضي.. إلى زمنك.. إلى عام 2008.. ومن أجل مهمة محددة.. لم أكن وحدي في تلك المهمة.. بل كان برفقتي فريق متكامل!!.. كل منا ذهب إلى بلد من بلدان العالم ليحصل على تحف ولوحات أثرية معينة كي نحمي تراث البشرية.. لأن العالم كله سيباد بالكامل بعد شهر من الآن!!!!.. إذ سيصطدم بالأرض ثقب أسود*.. وهو - إن كنت لا تعلم - يحوي طاقة هائلة ستدمر الأرض تماما..

* الثقب الأسود هو مصطلح حديث نسبيا استخدمه لأول مرة الفلكي الأمريكي (جون هويلر) عام 1969 .. وهذا المصطلح يطلق على نجم يزداد حجم كتلته حتى يصبح أثقل من شمسنا بثلاث مرات تقريبا. وتكون جاذبية النجم في هذه الحالة هائلة إلى درجة أن قلبه يتداعى تدريجيا حتى تدمر مادته كليا وينعدم وجودها!! .. وعندما يصبح النجم مجرد نقطة هندسية شديدة السواد ذات كثافة عالية جدا وجاذبية هائلة قادرة على امتصاص كل شيء .. حتى الضوء نفسه .. ولهذا سمي بـ(الثقب الأسود) .. وتبلغ جاذبية الثقب الأسود حوالي (1600 مليون مليار) ضعف جاذبية الأرض!!! .. لاحظوا الرقم جيدا!! .. وقد اكتشف العلماء أول ثقب أسود عام 1971 عندما بدأوا بمراقبة النجم (cygx-1) والذي كان يدور حول نجم آخر غير مرئي، ومن خلال المراقبة الدقيقة للنجم المرئي، وجد العلماء أن النجم الغير مرئي له تأثيرا في الجاذبية بقوة تماثل عشرة شموس!! .. وكان الاستنتاج المنطقي الوحيد هو أن النجم الغير مرئي هذا ليس سوى ثقب أسود .. وبعدها تم اكتشاف ثلاث ثقوب سوداء أخرى في المجرة التي نعيشها. وذلك في عام 1995 .

وسيموت بسبب ذلك 99٪ من سكان العالم بسبب قوة الارتطام والحرارة الهائلة الناتجة من طاقة الثقب!!.. أما الباقين فسيموتون بعدها بشهور قليلة بسبب انتشار الأمراض ونقص الأغذية!!!.. ولن يتبقى سوى بضعة ألوف من البشر!!.. هؤلاء هم من سيقومون بإعادة بناء الحضارة.. وسينجحون في ذلك بعد بضعة قرون.. إذ سينهض الجنس البشري مرة أخرى ليقود حضارة مزدهرة للغاية.. إلى أن وصلنا في زمني إلى درجة عالية من التقدم العلمي والحضاري وقمنا بحل جميع مشاكل الإنسان التي تراها وتعيشها في زمنك!!..

وقد تمكن العلماء في زمني من اختراع آلة الزمن.. ومن ثم السفر إلى الماضي والمستقبل في عدة مناسبات.. لكننا لم نفكر أبدا بالعودة إلى الماضي لإنقاذ الجنس البشري من كارثة ارتطام الثقب الأسود بالأرض.. لأن العالم في زمننا يعيش أفضل حياة يمكنك تخيلها.. معدل الجريمة منخفض جدا.. لا توجد حروب.. لا توجد مجاعات.. ونحن نخشى أن يتغير كل هذا إذا ما أنقذنا ماضي العالم وغيرنا مجرى التاريخ.. لقد أكد حكمائنا أن الجنس البشري كان بحاجة إلى تلك الكارثة حتى يعي الإنسان مسئوليته تجاه كوكبه وتجاه أخيه الإنسان..

وبعد اختراع آلة الزمن.. لم يكن من العسير اختراع تلك الساعة التي تقدم الزمن لمدة دقيقة واحدة لمن يرتديها.. لقد كان الهدف من اختراعها هو إنقاذ تاريخ البشرية على الأقل.. كالتحف والآثار والمخطوطات وكتب التاريخ.. وهذا ما

فعلناه.. لقد أنقذنا تاريخ الإنسان.. لهذا جئت إلى زمنك.. وطلبت منك جلب تلك الآثار.. بالطبع جاء معي الكثيرون غيري.. وكل منا عليه مسئولية إنقاذ أحد المتاحف التي يزخر بها العالم.. كانت مهمة عسيرة كما ترى.. لكننا جميعا نجحنا لحسن الحظ.. أما الأموال فهي حقيقية بالطبع.. ولا تظن أننا نعجز عن صنع مثلها في زمن يفوقكم علوما بعشرات القرون.. والآن قد تظن أنه باستطاعتك تحذير المسئولين من ارتطام الثقب الأسود بالأرض.. لكن أحدا لن يصدقك.. تستطيع أن تحاول.. لكن تأكد أن أحدا لن يصدقك.. خاصة بعد أن أخذت منك الساعة وهي الدليل الوحيد لديك على صدقك.. قد تتساءل: لماذا أرسلوا امرأة عجوز مثلي بدلا من إرسال شاب ليقوم بالمهمة بنفسه ويعود إلى المستقبل؟؟!.. لقد فعلنا هذا خوفا من إرسال شباب قد تفتنهم تلك الساعة فيبقوا في الماضي ويستخدمونها ليحصلوا على الثروة والنفوذ.. لهذا أرسل حكماء الأرض فريقا من الكبار في السن.. وقد تتساءل أيضا: لماذا أخبرك بكل هذا؟!.. لماذا لم أتركك تستمتع بالأموال على الأقل قبل أن تحدث الكارثة؟؟!.. الجواب هو: لقد كان من المفترض ألا أرسل لك تلك الرسالة.. لكني ـ وبكل صراحة ـ شعرت حيالك بالأسف الشديد.. فأنت شاب طيب القلب.. وربما تستطيع بتلك الأموال أن تبني لنفسك قبو في مكان سري وتملؤه بالمؤن حتى تعيش فيه سنوات عديدة بعيدا عما سيحدث للأرض.. أرجوك لا تلومني على عدم أخذك معي إلى المستقبل.. لأن هذا محظور تماما..

هذا كل ما لدي.. وداعا.. وأرجوك سامحني.. لم يكن لدي حلا آخر غير ما فعلت.. وقد اخترتك أنت بالذات لأنك الوحيد الذي أتيحت لي الفرصة للقائه».

انتهت رسالتها التي قرأتها بيد مرتجفة فقدت إحساسي بها تماما!!!.. لهذا بدت المرأة مختلفة كما ذكرت لكم في بداية القصة!!!.. إنها من المستقبل.. من الطبيعي أن يختلف شكل الإنسان قليلا بعد ألفي عام من الآن!!!.. ولكن هذا لا يهم.. المهم هو ما قالته.. تلك الكارثة التي ستمحو الجنس البشري بعد شهر من الآن!!!.. ما فائدة المال؟!!.. لن أتمكن حتى من الاستمتاع به.. لماذا لم تجلب لي المال قبل بضعة سنوات مثلا بدلا من الآن؟!.. ربما.. ربما لأنها كانت تخشى أنني سأجد الوقت الكافي لإنقاذ العالم.. وهذا ما لم تكن تريده كما أشارت..

والآن!!.. لا يوجد ما أفعله.. أنظر إلى المبلغ الهائل بحوزتي.. وأشعر بذعر!!!.. وقلق!!!.. أشعر بأن عقلي يتلاشى.. بعد أن فقدت الأمل في المستقبل.. مستقبلي أنا تحديدا.. أما مستقبل الإنسان فلا خوف عليه كما أشارت تلك السيدة.. و.. شعرت للحظة أن الأموال الهائلة التي بحوزتي لا تساوي شيئا على الإطلاق.. إلا إذا.. إلا إذا استمعت لنصيحة السيدة واستخدمتها لإنقاذ نفسي ووالدَي من الخطر الذي سيبيد الجنس البشري.. ربما هذا ما سأفعله.. ربما!!!.

حوض الزهور

قد يوحي لكم عنوان قصتي بحكاية حب تحوي الكثير من الرومانسية.. لكن هذا غير صحيح مع الأسف!!.. فالأمر لا يتعدى جريمة قتل بشعة ارتكبتها دون قصد ودفعت ثمنها غاليا!!.. بل أنني تيقنت تماما بعد ما حدث أنه لا توجد جريمة كاملة.. لا توجد جريمة كاملة على الإطلاق!!.. فحتى عندما تظن أنك لم تترك ورائك أثرا.. فاعلم أن عدالة السماء ستتدخل ليحدث شيء لم يكن في الحسبان وينكشف أمرك أمام الشرطة.. تماما كما حدث معي!!.

كان هذا قبل بضعة شهور.. عندما حصلت مشاجرة عنيفة بيني وبين زوجتي!!.. لم تكن المرة الأولى التي نتشاجر فيها.. فكثيرا ما علا صراخنا في ساعات متأخرة من الليل.. خاصة حين تردد زوجتي تلك الأسطوانة المشروخة على مسامعي طوال الوقت:

- أنت لا تقضي معي أوقاتا كافية..

أو:

- إنك تغيب ساعات طويلة مع أصدقائك ولا تسأل عني.. كيف ستتصرف حين تصبح أبا؟؟!.. هل ستهمل أولادك أيضا؟؟!.. إنك إنسان غير مسئول.. ولست بحجم المسئولية الملقاة على عاتقك!!..

لا أنكر أن كلامها كان يحوي الكثير من الصحة.. ربما لأنني بالفعل لست مهيئا أن أكون زوجا بعد!!.. لقد كنت أظن أنني أستطيع ممارسة حياتي العادية كما كانت قبل الزواج.. وهو

نفس الخطأ الذي يكرره كل شاب كويتي تزوج واصطدم فجأة ببيت جديد وزوجة لها التزاماتها ومطالبها.. ولا ننسى الأولاد أيضا.. مما يعني مسئوليات جديدة وإضافية.. ربما يكون هذا أحد أسباب ارتفاع نسبة الطلاق في (الكويت) إلى حد ينذر بكارثة كما تشير التقارير الرسمية مع الأسف!!.

كانت مسئوليات الزواج ومتطلباته تعصف بي رغم أننا لم ننجب بعد!!.. وشعرت بعد شهور قليلة بحنين شديد إلى أيام العزوبية!!.. خاصة عندما حملت زوجتي للمرة الأولى!!.. فقد تغير مزاجها كثيرا وقلت ثقتها بنفسها إلى أبعد الحدود!!.. فأصبحت مع مرور الأيام مجرد امرأة منتفخة تفتقد أدنى ملامح الجمال بسبب ما يفعله الحمل عادة بالمرأة!!.. فكانت تشكو إهمالي لها طوال الوقت وبصورة أكثر من السابق.. وعن خجلي من الخروج معها بمنظرها هذا!!.. بل وكانت تتهمني أحيانا بالخيانة.. لكني ومع كل أسف.. لم أعرف كيف أتعامل مع الأمر!!.. فكنا نتشاجر بسبب وبدون سبب.. وفي أغلب الأحيان كنت أضربها رغم أنها حامل!!.. نعم.. لقد ضربت زوجتي أكثر من مرة وبمنتهى العنف.. وكانت المسكينة تحتمل معاملتي لها محاولة أن تخفي كل مشاكلنا عن أهلها!!..

تسألونني لماذا أتحدث عن زوجتي بصفة الماضي؟!.. لأنني قتلتها!!!.. ألم أتحدث في بداية القصة عن جريمة قتل؟!.. لقد قتلتها دون قصد!!.. إنه المشهد الشهير الذي يتكرر كثيرا في الأفلام والمسلسلات.. إذ اتهمتني كالعادة بالإهمال وبأنني لا أقضي معها وقتا كافيا.. لأرد عليها

ببرود.. ويتحول البرود شيئا فشيئا إلى غضب.. ثم صراخ يستمر بضعة ساعات.. لتأتي اللحظة الحاسمة.. لحظة الضرب!!.. وهذه المرة ضربتها على رأسها بهاتف البيت!!!.. بالطبع حدث ما هو متوقع.. سقطت زوجتي على الأرض وهي ترمقني بذهول.. والدماء تفور من رأسها بمشهد مخيف لم أرى مثله من قبل!!.. قد يتساءل أحدكم: أي رجل حقير هذا الذي يضرب زوجته؟!!.. خاصة وهي حامل بشهرها السابع!!!.. صدقوني لم أفكر في ذلك إلا عندما رأيت مشهدها وهي تتهاوى والدماء تملأ رأسها!!!.

ساد المكان صمت رهيب قبل أن أدرك فداحة ما فعلت.. لأهرع إليها بجنون محاولا إنقاذها!!.. أخرجت الهاتف النقال من جيبي.. ورحت بأصابع مرتجفة أضغط على رقم الطوارىء.. لكني توقفت فجأة!!!.. لأنني رأيت تلك النظرة في عيني زوجتي.. نظرة الموت!!!.. كانت ترمقني بثبات بعينين مفتوحتين سببتا لي ذعرا ما بعده ذعر!!.. لقد.. لقد ماتت!!.. لقد قتلت زوجتي وقتلت جنينها بطبيعة الحال!!.. فوضعت يدي على رأسي غير مصدق أبدا أن تصل الأمور لما وصلت إليه!!.

ظللت فترة طويلة جالسا على الأرض محاولا إيجاد مخرج من هذه المصيبة الكفيلة بضياع مستقبلي تماما وحياتي نفسها!!.. و.. بعد بضعة ساعات من البكاء وندب الحظ.. بدأت أفكر بشيء من التعقل!!.. لا بد أن أجد مخرجا.. إنني أمام حلين لا ثالث لهما.. الاعتراف بما فعلت

والاتصال بالشرطة.. وهو ما سينهي حياتي دون شك!!.. أو إخفاء جثة زوجتي والادعاء أنها خرجت بسيارتها غاضبة بعد شجارنا إلى جهة غير معلومة!!.. لم يكن هناك حل آخر كما ترون!!.

وبعد تفكير عميق.. اخترت الحل الثاني!!.. نعم.. لقد قتلت زوجتي ولم يعد هناك ما أستطيع فعله!!.. يجب على الأقل أن أنقذ نفسي الآن!!.. زفرت بقوة محاولا إقناع نفسي بهذا الكلام.. ثم رحت أفكر بتفاصيل إخفاء جريمتي!!.. الساعة تقترب من الواحدة فجرا.. أستطيع أن أفعل كل شيء تحت ستار الظلام.. يجب أولا أن أخفي جثة زوجتي.. أين سأخفيها؟!.. في حوض الزهور دون شك.. حوض الزهور الموجود في حديقة المنزل الخارجية.. إنه حوض كبير ويكفي لدفن الجثة بالكامل فيه.. لقد صنعنا هذا الحوض بناء على رغبة زوجتي بعد زواجنا بشهور قليلة في العام الماضي.. فقد كانت تعشق كل أنواع الزهور.. وكانت ترغب بشدة في صنع حوض كبير الحجم وسط الحديقة الصغيرة الموجودة في ارتداد البيت الخارجي!!.. لحسن الحظ أن حديقة البيت محاطة بسياج من الأشجار كما هو الحال مع معظم حدائق البيوت في (الكويت).. وهذا بالطبع سيحجب الأنظار تماما عما سأقوم بفعله.. الخادمة؟!.. لقد اعتادت على شجارنا وصراخنا.. كما أنها نائمة منذ العاشرة مساء في غرفتها بالطابق العلوي.. أي أنها بعيدة تماما عن الحديقة ولن تنتبه لشيء.

ذهبت مسرعا إلى حديقة المنزل باحثا عن الرفش.. أخذته ووضعته بحذر بالقرب من حوض الزهور.. ألتفت يمينا ويسارا لأتأكد أن أحدا لا يراني.. ثم هرعت إلى الداخل.. و.. حملت جثة زوجتي.. عروق رقبتي تكاد أن تنفجر بسبب وزنها الزائد!!.. لا تنسوا أنها تحمل في أحشائها طفلا مما زاد من وزنها دون شك!!.. رحت أترنح وأنا أحملها.. قبل أن أصل أخيرا إلى حديقة المنزل الخارجية.. ألتفت يمينا ويسارا مرة أخرى بقلق هائل.. ثم وضعت جثة زوجتي بالقرب من حوض الزهور.. وأمسكت بالرفش و.. بدأت بالحفر!!.. أحفر في الحوض وجسدي كله ينتفض.. وأحفر.. وأحفر.. إلى أن اتضحت معالم الحفرة أخيرا!!.. وضعت جثة زوجتي فيها.. ثم قمت بدفنها!!.. وجهي ممتلئ بالعرق المالح الذي يدخل إلى عيني ويعيق رؤيتي.. فأمسحه بيدي.. ثم أواصل دفن الجثة كالمجنون إلى أن اختفت تحت التراب!!.

بالطبع لم ينته الأمر عند هذا الحد.. إذ رحت بعدها أعيد ترتيب الزهور في الحوض.. وهي عملية صعبة.. صعبة.. صعبة.. لم أنته منها إلا وزقزقة العصافير تملأ المكان منذرة بقدوم الصباح!!.. نظرة سريعة أخيرة إلى حوض الزهور.. لا بأس.. لا بأس على الإطلاق.. يبدو كما كان قبل أن أدفن جثة زوجتي فيه.

عدت بعدها إلى داخل البيت.. وقمت بمسح كل أثر للدماء التي تركتها جثة زوجتي في غرفة النوم.. لا بد أن أنتهي بسرعة قبل استيقاظ الخادمة.. لا يمكن أن تكون قد شعرت

بشيء.. أنا واثق من هذا.. ستستيقظ في السادسة فجرا.. والساعة وقتها كانت تشير إلى الرابعة.. هذا جيد.. لدي متسع من الوقت لآخذ سيارة زوجتي إلى منطقة نائية.. وبعدها سأعود إلى البيت وأتصل بالشرطة لأخبرهم أن زوجتي قد خرجت بسيارتها غاضبة بعد أن تشاجرنا ولم تعد!!..

وبالفعل.. خرجت بسيارة زوجتي وتركتها في منطقة نائية.. قبل أن أعود إلى البيت بسيارة تاكسي.. بل وحرصت على أن يوصلني السائق إلى شارع آخر بعيد نسبيا.. حتى لا يستدل على مكان سكني.. لا بأس بالمزيد من الحذر.. أليس كذلك؟!.. مشيت بعدها إلى البيت وعقلي مثقلا بالخوف والقلق على مصيري المجهول!!..

وصلت أخيرا وأنا في حالة يرثى لها من الإنهاك والتعب والقلق.. كنت أرتجف بقوة!!.. لكني ذهبت وأخذت حماما ساخنا غسل أعصابي عصبا عصبا!!.. وعندما انتهيت.. وجدت الخادمة مستيقظة وقد بدأت الإعداد لطعام الإفطار كما هو معتاد.. أخبرتها بأنني لن أذهب إلى العمل اليوم وأنني لن أتناول إفطاري!!.. فهزت رأسها موافقة دون مبالاة.. ثم تركتها وذهبت إلى غرفتي.

ورغم القلق الشديد الذي سيطر على كل ذرة من جسدي.. إلا أنني كنت أرغب بشدة في النوم بعد السهر المتواصل والإرهاق.. إن النعاس سلاح فتاك لا يقوى على مواجهته

أحد.. ولكن.. لابد من خطوة أخيرة يجب القيام بها قبل النوم.. الاتصال بالشرطة!!!.

وبصوت قلق مرتجف:

- آلو.. لقد تشاجرت زوجتي معي.. وخرجت من المنزل في الثانية صباحا.. وهي لم تعد حتى الآن..

رد الصوت بثبات وكأنه اعتاد تلك المكالمات:

- ربما ذهبت إلى أهلها.. اسأل عنها عند الأهل والأقارب.. كما أنه لم يمر على غيابها سوى بضعة ساعات كما يبدو.. ونحن لا نعتبر الشخص مفقودا إلا بعد مرور 24 ساعة على اختفاءه!!.

زفرت بقوة.. وأنهيت الاتصال عازما على الاتصال مرة أخرى بعد 24 ساعة.. ثم ذهبت أخيرا إلى الفراش ودسست جسدي تحت اللحاف.. و.. عشرات الخواطر.. عشرات الخواطر السوداء التي مرت بذهني وأنا أفكر بفداحة ما فعلت!!.. كم أشعر بالأسى لما حدث.. كم أشعر بالحزن على زوجتي الحبيبة.. نعم.. كنت أشعر أنني أفتقدها أكثر من أي وقت مضى!!.. وأشعر بذنب عظيم لما فعلته.. كيف سيستقبل أهلها وأهلي خبر اختفائها إلى الأبد؟!.. سيبحثون عنها طوال العمر دون أن يعلموا أنها مدفونة في حوض الزهور في حديقة منزلها الخارجية!!.. يا له من مأزق.. ماذا سأفعل؟!.. ماذا سيحدث؟؟!.. ماذا سيحدث؟!..

ظل السؤال يتردد في ذهني إلى أن غاب وعيي أخيرا وزرت عالم الأحلام من شدة الإرهاق.

لم يطل نومي.. فبعد أربع ساعات فقط.. شعرت بيد تهزني بعنف!!.. وصوت غليظ يطلب مني الاستيقاظ!!.. نهضت بذعر!!.. وإذا برجل يرتدي ثيابا مدنية وتبدو على وجهه علامات الخطورة.. مع أربعة من رجال الشرطة!!.. وقبل أن أستوعب الصدمة.. سألني ذو اللباس المدني بصرامة:

- هل تقيم هنا لوحدك؟!.

لم أجب على سؤاله.. بل سألته مبهوتا:

- من أنتم؟!.. كيف دخلتم إلى هنا؟!..

رد بصرامة:

- نحن من المباحث الجنائية ولدينا تصريح بالدخول إلى منزلك.. أخبرني الآن.. هل هناك من يقيم معك هنا؟!..

قلت له بذعر:

- زوجتي.. و.. الخادمة!!..

سألني بقسوة:

- أين زوجتك الآن؟!..

أجبته بتوتر شديد وقد طار النوم من عيني تماما:

- لقد خرجت غاضبة بعد أن تشاجرنا في وقت مبكر جدا من صباح اليوم.. وقد اتصلت بالشرطة وأبلغتهم بذلك.

نظر إلي رجل المباحث باستخفاف غير مفهوم.. ثم قال:

- حسنا.. أجبني.. هل هناك شخصا آخر يعيش هنا إلى جانب زوجتك والخادمة؟!.

أجبته بقلق:

- لا!!.

عندها فقط.. انقض علي رجال الشرطة وأمسكوا بي بقوة!!.. وقبضوا علي بملابس النوم!!.. لم أنطق بحرف.. لم أقل أي كلمة من شدة الذهول الذي أخرسني تماما.. كان رجل المباحث يقول بصرامة وهو يقودني مع أفراد الشرطة إلى خارج المنزل:

- نحن نقبض عليك بتهمة قتل زوجتك!!.. لا يوجد من يعيش هنا سواك أنت والخادمة.. والخادمة ضئيلة الجسد لا يمكنها أن تقتل زوجتك وتحمل جثتها وتدفنها في حوض الزهور.. كما أنك كذبت عندما قلت بأن زوجتك قد تركتك في وقت مبكر من الفجر وخرجت غاضبة من المنزل.. واضح أنك من قتلها ودفن جثتها هناك!!.

لم أنطق بحرف.. كان فمي مفتوحا دون أن أشعر.. وجسدي مصاب بشلل لحظي من شدة الذهول.. كيف.. كيف عرفوا كل هذا؟؟!.. كيف كشفوا أمري بهذه البساطة وهذه السرعة؟!.

خرجنا إلى حيث دوريات الشرطة التي تنتظر في الخارج.. والجيران تجمهروا حول البيت ينظرون إلي بفضول واستغراب شديدين!!.. لكني لم أكترث لأحد!!.. فالسؤال ظل يتردد في ذهني ويسيطر على عقلي تماما حتى أنساني كل شيء آخر!!.. كيف عرفت الشرطة كل شيء بهذه السرعة؟!.. كيف كشفوا أمري؟!.. كيف؟!..

نظرة سريعة إلى حوض الزهور.. يا للهول.. هناك من حفر واستخرج جثة زوجتي بالفعل؟!.. كيف عرفوا؟!.. كيف كشفوا أمري؟!.. ظل السؤال يتردد مرة أخرى وأخرى في ذهني وأنا جالس في دورية الشرطة ذاهبا إلى المخفر أو النيابة.. أو الجحيم بعينه.. لم يعد يهم!!.. أريد فقط أن أعرف كيف كشفوا أمري بهذه السرعة الرهيبة؟!.. هل كانت الخادمة هي السبب؟!.. مستحيل.. أنا واثق أنها لم تشعر بشيء.

ظلت تلك التساؤلات تلتهم عقلي التهاما.. قبل أن يتحدث رجل المباحث أخيرا في السيارة:

- لا شك أنك مصدوم.. لا شك أنك تجهل كيف كشفنا أمرك بهذه السرعة.. حقا لا توجد جريمة كاملة.. لقد كشفنا أمرك ببساطة وسهولة لا يمكنك تصورها.. ففي الثامنة صباحا وصل إلى منزلك مجموعة من العمال التابعين لشركة تنسيق الزهور.. لقد اتفقت زوجتك معهم منذ أسبوع على أن يأتوا إلى منزلك ليقوموا بإزالة حوض الزهور وعمل تحسينات في الحديقة!!!!.. وكان الموعد الذي تم الاتفاق عليه مع الشركة هو

اليوم لسوء حظك.. أو لعدالة السماء!!!.. لقد جاء عمال الشركة في الموعد المحدد ليبدؤوا بعملية الحفر لإزالة الحوض.. وقد وجدوا جثة زوجتك مدفونة هناك فاتصلوا بالشرطة مباشرة!!.. ولم يكن من العسير علينا على الإطلاق أن نخمن تفاصيل ما حدث.. خاصة مع ادعاءك أن زوجتك قد خرجت غاضبة من المنزل!!.

انتهى من كلامه.. وذهولي لم ينته بعد.. لا يمكن أن يحدث ما حدث.. لا يمكن!!.. لقد تدخل عامل خارجي لم أضع له حسابا على الإطلاق ليكشف ما فعلته!!.. و.. لا يوجد ما يقال بعد ذلك!!.. إذ حكموا علي بالسجن لمدة عشرة سنوات.. لأنني قتلت زوجتي في ثورة غضب.. ولم أقتلها مع سبق الإصرار والترصد كما يقول القانون!!.. ولكن الأمر لم يختلف كثيرا معي.. لقد ضاع مستقبلي.. وضاعت حياتي كلها.. بسبب عامل خارجي لم يكن لي يدا فيه.. وعرفت بالفعل أنه لا توجد أبدا جريمة كاملة.. لا توجد أبدا.

أغرب الجرائم

رغم عملي في المباحث الجنائية منذ ثلاثين عاما ومروري بجرائم يشيب لهولها الولدان كما يقولون دائما!!.. إلا أنني لم أواجه يوما قضية بتلك الغرابة!!.. إنها من دون شك.. أغرب قضية مررت بها في حياتي!!.

كان هذا قبل حوالي شهر من الآن.. عندما اتصلت بالشرطة زوجة الدكتور (س) وهو طبيب شهير متخصص في أمراض العيون.. لتبلغهم وهي تصرخ وتنتحب أن زوجها قد تعرض للقتل في غرفة المكتب في البيت!!!.. لم أتأخر كثيرا.. فقد وصلت إلى مكان الجريمة مع فريق البحث الجنائي والطب الشرعي بعد نصف ساعة فقط من اتصالها .. لنجد الزوجة تبكي بحرقة وهي على وشك الإصابة بانهيار عصبي حتى شعرنا جميعا بشفقة حادة تجاهها.

كان المرحوم يبدو جالسا على الكرسي الخاص بغرفة مكتبه في البيت.. واضعا رأسه على طاولة المكتب بشكل يوحي وكأنه نائم!!.. بل أن زوجته قد ظنته نائما بالفعل في باديء الأمر!!.. ولكن عندما اقتربت منه.. وجدت ثيابه مليئة بالدماء وبشكل يوحي أن هناك من أطلق عليه النار من الخلف!!!.. فأصيبت برعب هائل حتى أنها لم تجرؤ على لمس زوجها بسبب منظر الدماء التي لوثت ثيابه..

وبعد محاولات عديدة لتهدئتها.. تمكنت زوجة الدكتور (س) من التحدث أخيرا.. و:

- لقد كان رحمه الله يعمل في مكتبه طوال الوقت تقريبا..

وكنت أحترم خصوصيته وعشقه لعمله.. لذا لم أكن أزعجه إطلاقا.. حتى أننا لم ننجب بسبب عدم رغبته في تحمل أي مسئوليات قد تلهيه عن عمله.. وهذا لم يغضبني إطلاقا.. خاصة وأنه لم يبخل علي بشيء طوال سنوات زواجنا وكان نعم الزوج والصديق..

سألتها متفهما:

- هل كنت في البيت أثناء تعرضه للقتل؟!..

هزت رأسها نفيا بأسى وهي تقول:

- كنت عائدة من زيارة شقيقتي في المستشفى.. ففوجئت بوجوده في البيت وفي غرفة المكتب تحديدا!!.. لقد ظننته نائما في البداية وهو ما يحدث أحيانا كثيرة حين يستغرق في العمل.. فتجده يضع رأسه على المنضدة ليستريح قليلا.. ويغرق بعدها في النوم ساعات طويلة!!.. بل أنه قضى الكثير من الليالي نائما بهذه الصورة بالفعل ولا يصغي إلي حين أوقظه ليذهب إلى الفراش!!.

سألتها باستغراب:

- مهلا.. تقولين أنك فوجئت بوجوده في البيت.. لماذا؟!..

ردت باهتمام وكأنها تذكرت شيئا هاما:

- نعم.. نعم.. لأن سيارته لم تكن موجودة!!..

رفعت حاجبي علامة الدهشة.. ثم سألت:

- هل نستطيع القول أن هناك من قتله وسرق سيارته مثلا؟!..

قالت باستسلام حزين:

- لا أعرف.. لا أعرف!!..

سكت قليلا مفكرا.. ثم قلت بحزم:

- سنعمم أوصاف السيارة حتى نعثر عليها..

أومأت برأسها متفهمة.. وراحت تمسح دموعها بحزن شديد.. نظرت إليها بإشفاق.. ثم رحت أنظر حولي في مسرح الجريمة.. في مكتب الدكتور (س) بطبيعة الحال!!.. كان من العسير ألا أنتبه إلى تلك العدسات التي تملأ غرفة المكتب!!.. إذ كانت هناك عدسات هائلة العدد من مختلف الأحجام والأشكال تحتل جانبا كاملا من الحائط المقابل للمكتب.. بعضها بحجم عدسة النظارة.. وبعضها أكبر قليلا.. إلا أن كل منها كان محاطا ببرواز زجاجي صغير يحوي سائلا أخضر اللون.. تعرفون تلك البراويز الزجاجية التي تحوي داخلها سوائل ملونة والتي يستخدمها الناس للزينة..

أما خلف كرسي المكتب فتوجد مرآة كبيرة الحجم.. ديكور غريب كما ترون.. لقد أثار هذا اهتمامي دون شك.. فسألت زوجته مستغربا:

- ما سر وجود هذا العدد الكبير من العدسات على الحائط المقابل للمكتب؟!.. هل هي للزينة كما أتوقع؟!..

ردت بانكسار:

ـ لقد كان رحمه الله يعشق عمله كطبيب عيون.. ويعشق كل ما يتعلق بالعدسات!!.. لأنه يراها طريق تطور الإنسان.. فمن خلالها ـ كما كان يقول ـ تمكن الإنسان من رؤية أصغر الكائنات كالبكتيريا.. ومن خلالها أيضا تمكن الإنسان من اكتشاف الفضاء!!.. لقد كان زوجي رحمه الله يدرس العدسات بعناية ويجري العديد من الأبحاث حولها.. ويقول أنها تحوي أسرارا هائلة لم يكشفها الإنسان حتى الآن.. لكني لم أعرف أبدا طبيعة أبحاثه!!.. ثم أنه كان يتحدث كثيرا عن اقترابه من التوصل إلى اختراع مبهر سيغير مستقبل البشرية!!!.. فكنت أتحمس كثيرا لكلامه في البداية.. لكني مع مرور الأيام فقدت حماسي تماما.. لأنه ظل يردد هذا الكلام سنوات طويلة دون أن أرى أي نتيجة لأبحاثه!!!.. وإجابة على سؤالك.. فهذه العدسات الموجودة على الحائط هي بالفعل للزينة.. أعتقد أنها مجرد تعبير بسيط عن حبه لها.. كما نفعل جميعا.. فتجد تماثيل صغيرة للخيول لمن يعشق ركوبها مثلا.. وهكذا!!.

هززت رأسي متفهما.. ثم سألتها بعض الأسئلة المعتادة.. إن كان له أعداء.. إن كان أحد قد هدده بالقتل من قبل.. أسئلة نطرحها في كل جريمة قتل ولا يمكن أن تفوت أي رجل مباحث في العالم.. إلا أنها لم تفدنا كثيرا كالعادة!!.. فرحلنا جميعا بعد أن تم أخذ جثة الدكتور (س) من قبل الطب الشرعي..

عدت بعدها إلى مكتبي وذهني مشغول تماما بأبعاد تلك القضية!!.. قبل أن يرن هاتفي النقال بعدها بساعتين تقريبا و:

ـ سيدي.. لقد عثرنا على سيارة الدكتور (س)!!.. فقد تعرض قائدها لحادث مروع.. وتوفي في الحال!!..

فوجئت تماما عند سماعي لهذا الخبر.. وسألت مساعدي باهتمام:

ـ من كان يقود السيارة؟؟!..

ـ ممرض يعمل لدي الدكتور (س) في المستشفى وهو من جنسية عربية!!.. لقد كان بحوزته مسدس.. وأوراق علمية تحمل اسم الدكتور (س)!!.

عندما سمعت هذا الكلام!!.. سيطر علي شعورا غريبا لا يمكن أن أصفه لكم.. فسألت رجل المباحث بحذر!!.. ماذا عن الرصاصة التي قتل بها الدكتور؟؟.. هل خرجت من نفس المسدس؟!..

قال مساعدي متنهدا:

ـ لا أعرف يا سيدي.. لم يرسل إلينا الطب الجنائي نتيجة الفحوصات حتى الآن.

همهمت موافقا!!.. ثم أنهيت المكالمة.. واتصلت بالطب الجنائي مباشرة طالبا منهم الاستعجال بنتيجة فحوصاتهم!!.. و.. لم يتأخروا كثيرا.. فبعد ساعات قليلة.. تبين

كل شيء!!.. واتضحت معالم الجريمة بالكامل!!.. المسدس هو بالفعل نفسه الذي استخدم في قتل الدكتور (س)!!.. والأوراق مسروقة أيضا من مكتبه.. وهي أوراق لأبحاث علمية مكتوبة باللغة اللاتينية التي كان يجيدها الدكتور..

كان واضحا أنها أوراق تتحدث عن دراسات علمية لشيء ما.. لكنها خارج نطاق عملنا بالتأكيد كرجال أمن.. وقد أبلغت زوجة الدكتور (س) بنفسي بما حدث.. فشعرت بأنها مصدومة.. غير مصدقة.. فقد شهقت بقوة قبل أن تقول وهي تصرخ:

ـ لا يمكن.. هذا مستحيل.. مستحيل.. لقد كان ذلك الممرض من أصدق أصدقاء زوجي.. لا أصدق أنه قتله.. لا يمكن.. لا يمكن!!!..

فرددت مطمئنا:

ـ القضية واضحة تماما يا سيدتي ولا تحتاج أي تفسير.. لقد دخل الممرض البيت.. وأطلق النار على زوجك ثم سرق بعضا من أبحاثه العلمية لبيعها ـ على الأرجح ـ لإحدى الشركات المهتمة بذلك النوع من الأبحاث.. لا تنسي أننا وجدنا معه أداة الجريمة (المسدس).. ووجدنا معه أيضا الأبحاث التي سرقها.. والأهم هو سرقته لسيارة زوجك رحمه الله.. فالقاتل لم يكن يملك سيارة.. لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يتعرض زميل الدكتور (س) إلى ذلك الحادث المروع ويلقى حتفه.. لينكشف كل شيء!!..

ردت وهي تتنهد بعمق:

ـ الحمد لله.. الحمد لله على كل حال.

ورغم انتهاء المكالمة وإغلاق ملف القضية.. إلا أنني لم أكن مقتنعا بما أخبرتها به!!.. لم أعرف يوما جريمة قتل انتهت بهذه السهولة!!!.. الأمور لا تتم أبدا بهذه البساطة!!!.. نعم.. لدينا القاتل.. ولدينا سلاح الجريمة.. ولدينا الدافع وهو سرقة تلك الأبحاث العلمية!!.. ولكن.. كنت أشعر أن هناك لغزا هائلا حول تلك القضية!!.. ربما هي الخبرة.. ربما هي الحاسة السادسة.. لا أعلم.. و.. وجدت أنه ربما من الأنسب أن أزور منزل الدكتور (س) رحمه الله مرة أخرى.. حتى أبحث في أوراقه وملفاته.. وهي زيارة غير رسمية طبعا لأن النائب العام لن يسمح لنا بتفتيش المنزل بعد أن أغلق ملف القضية!!!..

لحسن الحظ أن زوجة الدكتور (س) لم تمانع بزيارتي.. وإن أبدت استغرابها من مواصلتي للتحقيق.. لكنها كانت متعاونة إلى أبعد الحدود والحق يقال.

دخلت غرفة الدكتور (س) ورجوت زوجته أن تتركني وحيدا فيها حتى أبحث في كل شيء دون أن يراقبني أحد!!.. إنني أعمل بصورة أفضل هكذا ويكون تركيزي عاليا جدا.. فرحت أتطلع إلى هذا العدد الهائل من العدسات التي تحتل حائطا كاملا كما عرفنا.. ثم رحت أنظر إلى نفسي عبر المرآة الكبيرة الموجودة خلف كرسي المكتب.. لا أعرف ما يجب فعله

في واقع الأمر!!.. قمت بعدها بالبحث في أدراج مكتبه.. مجرد دراسات علمية وأبحاث.. لاشيء آخر.. بحث طويل جدا لم يسفر عن شيء إطلاقا.. قبل أن أطفيء نور الغرفة وأستعد للخروج واليأس يسيطر علي..

أطفأت النور ووقفت قليلا متأملا الغرفة قبل أن أخرج.. لا أعلم لماذا نظرت إلى المرآة الكبيرة الموجودة خلف كرسي مكتب الدكتور!!!!.. ربما لأنني شعرت بنور خفيف ينبعث من تلك المرآة!!.. نعم.. أعتقد أن هذا هو السبب!!.. عندما نظرت.. اصطدمت عيناي بشيء مخيف للغاية!!!!.. بالفعل كانت صدمة.. صدمة هائلة ومخيفة!!!!.. لقد رأيت صورة الدكتور (س) في المرآة وهو ينظر إلي بثبات!!!!!.. لا مزاح في الأمر.. صدقوني هذا ما رأيته.. لقد تجسدت صورة الدكتور وكأنها عملية تحضير أرواح!!!!..

شعرت بخوف شديد رغم السنوات الطويلة التي قضيتها في المباحث!!!!.. وتراجعت بذعر لألتصق في الباب.. كان الدكتور - أو فلنقل صورته - تنظر إلي بثبات!!!!!.. ما الذي يعنيه هذا؟!.. قمت بإضاءة الغرفة مرة أخرى.. لتختفي الصورة من على المرآة!!!.. هكذا بكل بساطة.. هل هناك أرواح شريرة مثلا في هذا المنزل؟!.. أنا لا أؤمن بالأشباح.. ولكن ما أراه هنا يتحدى المنطق.. يتحدى العقل!!.. أطفأت النور مرة أخرى.. وانتظرت ثوان قليلة!!.. لتظهر لي نفس الصورة!!!.. يبدو أنها مجرد صورة.. صورة فحسب!!!.. كررت المحاولة

أكثر من مرة.. وفي كل مرة يتكرر الأمر!!!.. صورة الدكتور (س) تظهر على المرآة كلما أطفأنا نور الغرفة!!.. هل زوجته على علم بالأمر؟!.. لا أعلم.. يجب أن نفحص المرآة لنعرف سر ظهور صورة الدكتور (س) على سطحها.. هذا ما قلته لنفسي!!.. خرجت من الغرفة لأجد زوجة الدكتور بانتظاري في صالة المنزل.. فجلست على المقعد المقابل.. ثم:

- سيدتي.. أريد أن أفحص المرآة الموجودة خلف مكتب زوجك.. لقد أثارني وجودها لأنه لا داعي لها أصلا!!.. فالدكتور لم يكن شخصا يهتم بتلك المظاهر كما أخبرتني بنفسك!!..

هزت رأسها موافقة.. لتسألني بصدق:

- لماذا تريد فحص المرآة؟!..

رغم أنني كنت أنوي إخفاء الأمر عنها.. لكني وجدت نفسي أقول بكل صراحة وحزم:

- لا أعرف كيف أقول هذا.. حسنا.. لقد خرجت صورة زوجك من المرآة الموجودة في مكتبه.. ربما لن تصدقي كلامي.. ولكن أستطيع أن أثبت لك ذلك إذا أطفأنا النور في غرفة المكتب وانتظرنا هناك في الظلام قليلا!!!.

نظرت إلي باستغراب ومطت شفتيها وكأنها لم تفهم ما أعنيه.. ثم طلبت منها أن تأتي معي إلى المكتب لترى بنفسها.. وهناك أطفأت النور.. وظهرت لنا صورة الدكتور ذاتها من خلال المرآة!!!.. كانت مفاجأة مروعة لها.. فقد صرخت

المسكينة بذعر هائل.. وكادت أن تهرب من الغرفة.. لكني أوقفتها بصعوبة محاولا أن أهديء من روعها وأنا أقول بسرعة:

- إنها مجرد صورة.. إنها مجرد صورة.. لا تخشي شيئا..

توقفت وهي تلهث.. قبل أن تهدأ أخيرا.. لأسألها بحذر:

- هل كنت تعرفين شيئا عن هذا؟!..

هزت رأسها بقوة وقالت بصدق:

- مطلقا.. لقد شعرت بذعر هائل.. وظننت.. ظننت أن روح المرحوم قد خرجت من المرآة!!.

قلت لها بشيء من الخجل:

- كان هذا شعوري في المرة الأولى!!!.. ولكن يبدو أن الأمر أعقد من ذلك بكثير.. هناك سر يحيط بتلك المرآة.. لذا يجب فحصها.. هل تمانعين؟!..

هزت رأسها موافقة وعلامات الاستفهام تغزو وجهها!!.. فهززت رأسي بدوري شاكرا.. ثم قمت بإنزال المرآة وفحصتها بدقة!!.. أنظر خلفها.. أنظر إلى أطرافها.. لا يوجد شيء.. إنها مجرد مرآة كبيرة.. وهي رفيعة جدا لا تسمح بإخفاء شيء داخلها إن ظننتم هذا!!..

نصف ساعة ظللت أفحص فيها المرآة بتمعن.. قبل أن أعيدها إلى مكانها.. و:

- الأمر يحتاج إلى بحث أشمل.. هل تمانعين اتصالي بفريق البحث الجنائي للحضور وفحص المرآة بصورة أكثر دقة؟!..

- بالطبع لا.. ولكن.. ماذا تظن أنك ستتوصل إليه؟!..

قلت بصدق:

- لا أعلم.. ربما يقودنا هذا إلى شيء.. وربما لا شيء إطلاقا.. ولكن...

سكت مفكرا.. قبل أن أسألها:

- هل تعرفين نوعية التجارب التي كان يجريها زوجك؟؟.. أعلم أنني سألتك هذا السؤال من قبل.. ولكن.. لا ضرر من السؤال من أخرى..

قالت في حيرة:

- إنها أبحاث ودراسات متعلقة بالعدسات.. ولكن.. لا أعرف الكثير عنها.. فتعليمي محدود.. دعك من أنني لم أهتم كثيرا بالأمر.. بالمناسبة.. ماذا عن الأوراق التي عثرتم عليها في سيارة زوجي؟؟!.. الأوراق التي سرقها القاتل؟؟!..

قلت لها وأنا أزفر بقوة:

- لم نبحث في محتواها.. إنها مكتوبة باللغة اللاتينية.. ولا يوجد لدينا من يفك رموزها!!.. دعك من أن العثور على القاتل قد سكب الماء البارد على نيران تلك القضية!!.. إن ما أفعله الآن

هو خارج نطاق القضية.. مجرد شعور يراودني أن هناك أمرا غير مفهوم.. لا أعلم.. لا أعلم!!.

سكت قليلا وأنا أنظر حولي!!.. وهو ما صرت أفعله ـ لا شعوريا ـ كلما تواجدت في هذه الغرفة!!.. أنظر مرة أخرى إلى تلك العدسات الصغيرة الجميلة الملصقة على الحائط المقابل للمرآة.. هل تذكرونها؟!.. و.. مهلا.. مهلا.. مهلا.. هناك شيئا مريبا هنا!!!!!.. طلبت من زوجة الدكتور أن تتركني قليلا مرة أخرى ووعدتها بأنني سأرحل خلال ساعة من الآن على الأكثر.. فتركتني ولسان حالها يقول: ما هذا المخبول الذي ابتليت به؟!!.

هناك فكرة مجنونة خطرت لي فجأة!!.. ولكن.. ولكنها تحتاج إلى إثبات!!.. أطفأت النور.. لتظهر لي صورة الدكتور مرة أخرى على تلك المرآة الكبيرة خلف المكتب.. ثم هرعت إلى العدسات العديدة الملصقة على الحائط المقابل للمرآة.. ووقفت أمام العدسة التي تواجه المرآة تحديدا!!.. فاختفت صورة الدكتور تماما وحل الظلام في الغرفة!!.. كما توقعت!!!!.. هذه العدسة هي التي كانت تنقل صورة الدكتور.. هذا جميل.. ولكن كيف؟!.. ولماذا هذا العبث؟!.. ثم.. مهلا.. إذا كانت العدسة الصغيرة هذه تنقل صورة للدكتور.. فهل العدسات الأخرى تنقل صورا أخرى له؟!.. هل من الممكن أن العدسات الأخرى أيضا تفعل نفس الشيء؟؟!.. و.. شيئا فشيئا بدأت أفهم.. بدأت أفهم هذا اللغز شديد التعقيد!!!!.. تركت العدسة

الصغيرة التي انتزعتها من الحائط.. وأخذت عدسة صغيرة أخرى.. ووضعتها أمام المرآة.. لتنقل لي صورة أخرى للدكتور!!!!!.. نعم صورة أخرى للدكتور في وضع مختلف!!.. يبدو أن كل عدسة تعرض صورة مختلفة للدكتور.. غرقت في تفكير عميق محاولا معرفة جدوى ما يحدث في هذا المكان!!.. كيف تنقل تلك العدسات صورا للدكتور؟!.. كل ما يريب فيها هو برواز كل منها والذي يحوي مادة خضراء مجهولة ظننتها تستخدم للزينة.. ولكن يبدو أن هذه المادة المجهولة هي السبب وراء عرض صور الدكتور!!.. أنا لا أفقه في تلك الأمور.. ولكن من الواضح أن السائل الأخضر ليس سوى اختراع علمي جديد يطبع الصورة على العدسات ويرسلها إلى المرآة لتعرض الصورة في الظلام!!.. لكن ما الجدوى من هذا الاختراع البدائي؟!.. هل كان الدكتور (س) يحاول اختراع الكاميرا مرة أخرى؟!!!.. فهذا الاختراع ليس سوى كاميرا بدائية تم صنعها بطريقة معقدة جدا لتلتقط الصور مهما كانت الإضاءة!!.. ماذا؟؟؟؟!!!!!.. مهما كانت الإضاءة؟؟؟!..

انتفضت بقوة عندما وصلت إلى هذه الملاحظة الأخيرة.. هل.. هل من الممكن؟!.. لقد أنارت تلك الجملة عقلي فجأة!!!.. إن كان قد فعلها فهو عبقري.. عبقري دون شك.. هل اخترع الدكتور (س) كاميرا تلتقط الصور في الظلام وبدون أي إضاءة؟؟!!.. نعم.. يبدو أن العدسات الصغيرة الموجودة على الحائط ليست سوى كاميرات تلتقط الصور في الظلام الحالك دون الحاجة إلى أي مصدر للضوء ولا حتى الفلاش!!!..

وضعت عدسة تلو الأخرى أمام المرآة.. وأنا أرى صورا عديدة للدكتور.. إلى أن وقعت عيناي على تلك الصورة.. إنها صورة زوجتـه.. وهي تطلق النار على الدكتور!!!!!!.. هذا.. هذا مستحيل.. زوجته هي القاتل الحقيقي!!!!.. شهقت بقوة دون أن أشعر!!!.. هذا يقلب الموازين رأسا على عقب ويفتح ملف القضية مرة أخرى على مصراعيه.. هناك أمر واحد يجب أن أتأكد منه حتى أعرف إن كان استنتاجي صحيح بخصوص اختراع الدكتور (س).. أضأت الغرفة.. وخرجت منها متوترا لأذهب إلى صالة المنزل حيث تنتظرني زوجة الدكتور.. و.. أمام نظراتها الحائرة.. سألتها بحذر:

- سيدتي.. لقد قلت أن زوجك كان ينام أوقات كثيرة - لا شعوريا - على المكتب أثناء ممارسته لعمله.. هل كنت توقظينه ليذهب إلى الفراش؟!..

قالت بحذر:

- نعم.. لكنه لم يكن يستمع إلي أغلب الأحيان.. بل كان يطلب مني أن أطفيء النور.. ويظل جالسا على الكرسي ورأسه على المكتب.. لقد كان ينام هكذا أحيانا كثيرة!!.. تخيل ذلك!!!.

حسنا إذا.. استنتاجي صحيح!!.. لهذا التقطت إحدى تلك العدسات صورة الزوجة وهي تقتله!!.. لأنها دخلت الغرفة في الظلام أثناء نومه!!.. هنا فقط.. قلت لها بحزم:

- إنني أقبض عليك بتهمة قتل زوجك يا سيدتي!!..

كان هذا آخر ما تتوقعه زوجة الدكتور.. فقد أصيبت بشلل لحظي.. أو هذا ما بدا لي.. فحدقت بي بذهول شديد.. قبل أن تنهار ببساطة لم أتوقعها و.. تسقط أخيرا في يد العدالة!!.. وهكذا انتهت أغرب قضية توليتها في حياتي!!.

لقد اعترفت زوجة الدكتور (س) بكل شيء.. فقد استعانت بشقيقها لقتل زوجها وذلك للحصول على مبلغ التأمين على حياته.. كانت بحاجة إلى متهم.. فألبست التهمة للمرض زميل زوجها.. إذ قامت بدعوته إلى منزلها.. وأعطته هناك مخدرا قويا لكنه بطيء المفعول.. وطلبت منه أن يأخذ سيارة زوجها للصيانة لأن زوجها متعب قليلا ولا يستطيع الخروج.. بالطبع فعلت كل هذا بعد أن قتلت زوجها ووضعت أداة الجريمة (المسدس) في السيارة مع بعض أبحاث الدكتور حتى توحي للشرطة أن جريمة القتل تمت بدافع السرقة!!.. أي أن زميله كان موجودا مع الزوجة في صالة المنزل دون أن يعلم أن الدكتور (س) مقتول في غرفة المكتب!!!.. وهكذا خرج زميل الدكتور ليقوم مفعول المخدر بدوره.. ومع عبث شقيق زوجة الدكتور (س) بفرامل السيارة.. تعرضت السيارة لحادث مروع مات على إثره زميل الدكتور على الفور..

كانت الجريمة واضحة المعالم للشرطة بوجود (المسدس) والأوراق العلمية والسيارة بحوزة زميل الدكتور (س).. لهذا لم نفحص السيارة ونكشف أن هناك من عبث بفراملها.. وهذا قصور رهيب أعترف به.. ربما هذا ما راهنت عليه الزوجة مع

شقيقها.. لقد وضعا في أيدينا جريمة واضحة المعالم حتى لا ننتبه إلى الأمور الصغيرة الأخرى.. وكادا أن ينجحا في ذلك لولا خبرتي الطويلة..

هذا ما يخص كشف خيوط الجريمة.. أما ذلك الاختراع الجبار.. فمازال بحوزتي.. إنه اختراع رائع سيقلب معايير الأمن في العالم كله.. فتلك العدسات لا يتوقع وجودها لصوص البنوك أو المراكز التجارية.. لن يتوقع أحد منهم وجود كاميرا بسيطة كهذه تلتقط الصور في الظلام.. إنها عدسات لا تعتمد على التكنولوجيا في التصوير.. بل على مادة سائلة معينة اخترعها الدكتور بنفسه.. ولن تتأثر في حالة انقطاع التيار الكهربائي.. إنها ثورة في عالم أجهزة الأمن.. وفي عالم التصوير أيضا.. فمن كان يتوقع أن يتم اختراع كاميرا تلتقط الصور في الظلام الداكن؟؟!!!. أما زوجة الدكتور.. فلم تكن تعرف شيئا عن هذا الاختراع.. وعندما أخبرتها.. كادت أن تصاب بالجنون لأنها أضاعت فرصة العمر بقتلها لزوجها.. فالقاتل لا يرث ضحيته أبدا*.. وسيرث شقيق زوجها هذا الاختراع.. سأخبره بكل التفاصيل.. وأترك الأمر له.. لا شك أنه سيصبح ثريا.. وسيفخر بشقيقه الدكتور (س) كونه أول من اخترع كاميرا تلتقط الصور في الظلام دون الحاجة إلى أي مصدر للضوء.

---

* حقيقة.

الآخر

لا أعـــرف إن كنت أســتطيع أن أصف نهـاية قـصــتي بـ(السعيدة)!!.. ربما لأن نهايتها مفاجئة بشكل كبير بحيث أنها لا تعطيك فرصة للتفكير إن كانت المفاجأة سارة أم لا!!. من العسـير أن أقف عند نقطة معينة وأقول أنها نقطة البداية للتغيير الرهيب الذي حدث في حياتي.. ربما بدأت القصة بزواجي!!.. نعم.. ربما هذه هي البداية الحقيقية.. فمنذ اليوم الأول لزواجي.. أدركت أن زوجتي الحبيبة ستكون كل شيء في حياتي!!.. ولم أكن مخطئا.. فقد عشت معها سنوات طويلة من السعادة والهدوء والاستقرار.. سنوات كانت فيها نعم الزوجة بالنسبة لي.. إذ تحملت أخطائي وتقصيري ومنحتني كل ما يمكن أن تمنحه الزوجة من الحب والحنان.

ورغم أننا اكتشفنا بعد سنتين من الزواج أن زوجتي لا تنجب.. إلا أن وجودها بجانبي كان كافيا بالنسبة لي.. لقد طلبت مني المسكينة أحيانا كثيرة أن أتزوج من امرأة أخرى تستطيع أن تنجب لي ابنا.. وأنها لن تغضب أبدا لو فعلت هذا وستكون بجانبي في كل الظروف.. لكني لم أرغب أبدا في إيذاء مشاعرها.. حتى وإن ادعت أن زواجي لن يغضبها.. بل كنت في المقابل نعم الزوج والصديق والحبيب.

كان هذا بالطبع قبل الحادثة الرهيبة التي دمرت حياتنا الزوجية تماما.. عندما تعرضت زوجتي لحادث سير مروع وقعت على إثره في غيبوبة استمرت شهورا طويلة!!.

كنت أزورها كل يوم تقريبا في المستشفى.. فأبكيها بشدة..

وأرجوها وأتوسل إليها ألا تتركني وحيدا في هذا العالم رغم أنها لا تسمعني بطبيعة الحال.. آه.. يا لها من أيام عصيبة!!.. كنت أقضي وقتي كله في المستشفى.. أنتظر وأترقب لعلها تستيقظ من غيبوبتها.. فأصبحت الأيام كلها متشابهة بالنسبة لي.. أذهب إلى زيارتها بعد الظهر ولا أخرج إلا وقت النوم.. حتى أهملت نفسي وأهملت كل ما يتعلق بحياتي!!.

لقد كانت زوجتي حية.. وميتة بنفس الوقت!!.. إذ لا أعرف إن كانت ستموت أو تستيقظ من غيبوبتها.. ومع مرور الأيام والشهور.. بدأ اليأس يتسلل إلى قلبي.. وأدركت من كلام الأطباء أن زوجتي قد تظل في غيبوبة لسنوات طويلة جدا.. وربما تموت في أي لحظة كما يحدث مع الكثير من حالات الغيبوبة*!!.

وفي غمرة هذا اليأس.. تسلل بريق من الأمل إلى قلبي.. وذلك من خلال فكرة مجنونة راودتني فجأة!!!.. وظلت تلح على عقلي باستمرار..

في البداية طرحت تلك الفكرة جانبا ورفضتها.. لكني شيئا فشيئا بدأت أفكر بها.. ثم أحاول أن أقنع نفسي أنه لا حل آخر لدي.. لتصبح الفكرة فجأة مقبولة ومعقولة!!.. ما هي الفكرة؟!.. لقد نسيت أن أشير في بداية القصة إلى طبيعة عملي.. إنني.. إنني عالم أحياء.. قضيت نصف حياتي في دراسة الجسم البشري وتكوينه.. ودراسة الاستنساخ!!!!.. فأجريت تجارب ناجحة جدا لاستنساخ الحيوانات.. ووجدت الخيط الذي يقودني إلى استنساخ البشر بعد سنوات طويلة

* حقيقة.

من البحث!!!.. لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق بالطبع.. ليال سوداء وأوقات عصيبة قضيتها لفك شفرة استنساخ البشر.. إلى أن كشفت كل الأسرار المتعلقة بالأمر!!!.. ولكن.. ظلت تلك الدراسات حبيسة الأدراج بضعة سنوات بسبب ترددي في كيفية الاستفادة من اكتشافي هذا بما يفيد الإنسان.

بالطبع أنتم تعرفون إلى أين ستتجه قصتنا.. تماما.. هو ما تظنون!!.. ماذا؟؟!.. تقولون أنها صدفة غريبة لا يمكن أن تحدث عندما تتعرض امرأة لغيبوبة كهذه وأن يكون زوجها عالم أحياء درس الاستنساخ مثلي؟!!.. أقول لكم أن أي عالم أحياء في العالم قد يخسر زوجة أو أخت أو شخص عزيز.. عالم الأحياء هو بشر أيضا.. فمن الممكن جدا أن يخسر من يحبهم.. وأنا واثق أن علماء آخرين حاولوا استنساخ زوجة فقدت أو ولد تعرض إلى حادث مميت أو.. إلخ.. فأرجوكم كفوا عن هذه الشكوك.. إذ لا توجد مصلحة لدي للكذب عليكم..

ماذا كنا نقول؟!.. نعم.. بعد شهور طويلة من الحادثة التي تعرضت لها زوجتي ووقوعها في غيبوبة.. باتت تراودني تلك الفكرة الجهنمية وتسيطر شيئا فشيئا على تفكيري.. وبدأت أفكر بعواقب ما سأفعله.. ولكن.. هل ستكون هناك عواقب بالفعل؟!.. وما هي العواقب؟!.. أن تستيقظ زوجتي من غيبوبتها مثلا؟!.. هذا أمر مستبعد تماما.. بل أن غالبية حالات الغيبوبة تلك لا يصحو منها المرضى أبدا كما يقول الأطباء*!!!.. عدم قانونية الأمر؟!.. لا أعرف مدى قانونية

* حقيقة.

استنساخ البشر.. وعلى كل حال.. كنت أنوي إبقاء الأمر سرا عن الناس.. خاصة وأن علاقتي بأقاربنا شبه مقطوعة.. فلن ينتبه أحد على الإطلاق لما سأقدم عليه.. بل أن أحدا لا يعرف بالحادث الذي تعرضت له زوجتي ووقوعها في تلك الغيبوبة!!.. فلكم أن تتخيلوا علاقتي مع أقاربنا.

وهكذا وجدت أنه لم يكن هناك حل آخر.. سأقوم بالاستنساخ!!!!.. نسخة كاملة جديدة من زوجتي الحبيبة.. الهيئة الخارجية ستكون واحدة.. العادات هي نفسها.. وكذلك العيوب.. بل وحتى البصمة والذاكرة ستكون متشابهة!!.. الاختلاف الوحيد بين زوجتي ونسختها سيحدث بعد أن تتم مرحلة الاستنساخ.. فعندها ستبدأ النسخة تعيش حياة زوجتي وتكتسب تجارب جديدة بطبيعة الحال.

ذهبت إلى المستشفى بعد أن عزمت على القيام بالاستنساخ.. وأخذت نقطة دم من زوجتي الواقعة في غيبوبة لا قرار لها كما علمتم.. وأنا أحاول أن أطمئن نفسي مرددا طوال الوقت:

-هذه فرصتي الوحيدة لأعيش معها مرة أخرى.. فالحياة بدونها لا تطاق.. هذه فرصتي الوحيدة لأعيش معها مرة أخرى.. فالحياة بدونها لا تطاق!!!!..

و.. لم يكن الأمر عسيرا.. أخذت نقطة الدم من زوجتي لأعود بعدها مسرعا إلى البيت.. لحسن الحظ أنني أمارس عملي في البيت أغلب الأحيان.. لذا فلدي هناك مختبر متكامل يصلح

تماما لعملية الاستنساخ.. استنساخ أول إنسان في التاريخ على حد علمي!!!.. وذلك من خلال خلية صغيرة من نقطة الدم تلك.. إذ سأقوم بتنمية الخلية بوسائل صناعية وباستخدام هرمونات نمو فائقة القوة ابتكرتها بنفسي حتى أحصل في النهاية على نسخة كاملة من زوجتي!!!.. لن تستغرق العملية سوى بضعة ساعات.. وسأعيش بعدها مع نسخة زوجتي مرة أخرى.. وهي لن تختلف نهائيا عن زوجتي الحقيقية الموجودة في المستشفى كما أخبرتكم..

ساعات قليلة.. لكنها بدت دهرا.. كنت أعمل بجنون وسرعة وقلق و.. إلخ.. حتى تمكنت أخيرا من استنساخ أول إنسان في العالم!!.. زوجتي!!!!..

كانت زوجتي المستنسخة فاقدة الوعي تسبح في حوض زجاجي وسط سائل أشبه بالسائل الجنيني الذي يتكون في رحم الأم.. والأسلاك تدخل وتخرج من جسدها!!.. قبل أن تصبح جاهزة للمجيء إلى الحياة.. أخرجتها من الحوض ووضعتها على المنضدة.. ثم.. أيقظتها برفق.. لتفتح عينيها بصعوبة بالغة.. فقلت بحنان بالغ وابتسامة عريضة مطمئنة:

-أنت بخير يا حبيبتي.. لا تخشي شيئا.. إنك بأمان وبكل خير.. فقط استرخي قليلا حتى تستعيدي قواك.

نظرت إلي بعين منهكة.. قبل أن تقول:

- حبيبي.. ماذا حدث؟!.. أين أنا..

إنها أول مرة أسمع فيها صوت زوجتي منذ تعرضها لذلك الحادث اللعين.. فدمعت عيناي لاشعوريا.. لكني تمالكت نفسي وقلت بحنان بالغ:

- إنك في البيت يا حبيبتي.. في المختبر..

قالت باستغراب:

- كيف وصلت إلى هنا؟!.. أذكر حادث السير الذي تعرضت له.. ثم.. فقدت الوعي نهائيا.. كـ.. كيف وصلت إلى هنا؟!.. وكم من الوقت ظللت فاقدة الوعي؟!..

توترت كثيرا!!!.. لا أعرف كيف سأخبرها بما حدث.. لكني استجمعت شجاعتي.. وقلت بحسم:

- سامحيني يا حبيبتي.. لم أتمكن من الحياة دون وجودك معي.. فاقدمت على خطوة جريئة جدا لم أكن لأقدم عليها لولا حبي لك.. إنك.. إنك نسخة.. نسخة من زوجتي التي ترقد في المستشفى.. لقد قمت باستنساخك منها.. فزوجتي في غيبوبة في المستشفى منذ شهورا طويلة.. أنت تعرفين تجاربي عن الاستنساخ يا حبيبتي.

صعقت نسخة زوجتي من كلامي.. وهبت من مكانها قبل أن تتأوه بسبب نهوضها السريع.. لتقول بغضب ودهشة:

- ماذا.. ماذا فعلت؟؟!!.. لا يمكن أن تكون قد فعلت هذا.. كيف.. إنك.. ماذا فعلت؟!.. لا أعلم!!!..

كانت مشوشة لا تعرف ما تقول!!.. إن ما حدث هو صدمة حقيقية تماما لها.. فماذا ستفعل إذا علمت أنك مجرد نسخة من شخص يرقد في المستشفى.. إنه أنت.. وأنت هو.. لكنكما شخصين مختلفين بنفس الوقت!!!.. هل ترون كيف أن القضية معقدة؟!.. لاشك أنكم أصبتم بصداع من هذا الكلام.. فما بالكم بزوجتي أو بنسختها إن أردنا الدقة؟!!..

انعقد لسان زوجتي المستنسخة.. ولم تعرف ما تقول.. كانت مشوشة الذهن.. تفكر.. وتفكر.. قبل أن أقطع حبل تفكيرها وأقول:

- فلتنسي يا حبيبتي أمر تلك الموجودة في المستشفى ولنعتبرها غير موجودة في هذا العالم!!.. إنها أنت بالفعل!!.. إنك تملكين وجهها وطباعها وهواياتها وذكرياتها وبصماتها وحتى صوتها!!.. وستملكين هويتها وبطاقة ائتمانها.. ستكونين هي.. أعلم أن الأمر معقد ومربك.. لكننا سنعتاد على هذا مع مرور الأيام.. و....

قاطعتني بتوتر:

- لا أعلم.. ولكن.. أشعر بالأسف حيال تلك الموجودة في المستشفى.. أشعر وكأنني أخونها!!.. إنها.. إنها جزء مني كما تعلم..

قلت بأسف شديد:

- لا يوجد حل آخر يا حبيبتي!!.. إنني أفتقدك كثيرا.. ولا يمكن أن أحب امرأة أخرى.. لذا فقد أردت استعادتك بأي ثمن..

ولم يعد هناك ما يقال.. فقد بدأ مشوار الحياة من جديد مع زوجتي المستنسخة.. ونسينا مع مرور الأيام والشهور أمر زوجتي الحقيقية والتي توقفت تماما عن زيارتها واعتبرتها في عداد الأموات.. ماذا؟!.. بالطبع هو ما تتوقعونه!!.. هو تماما!!.. لقد أكد الأطباء أن استيقاظ زوجتي الحقيقية من غيبوبتها أمر مستبعد تماما.. ولكن.. منذ متى كان الأطباء على حق في كل ما يقولونه؟؟!.. فقد اتصل بي أحد المسئولين في المستشفى بعد مرور سنة تقريبا من حياتي مع زوجتي المستنسخة.. ليخبرني بما توقعتموه!!.. نعم.. لقد استيقظت زوجتي الحقيقية من غيبوبتها!!.. هذا أمر ربما توقعه القاريء.. لكني لم أتوقعه إطلاقا.. إطلاقا!!!.

كانت صدمة حقيقية بالنسبة لي!!.. وشعرت بأنني في مأزق رهيب فعلا!!!.. ولكن لحسن الحظ.. لم تعد زوجتي الحقيقية إلى البيت في اليوم نفسه بطبيعة الحال.. إذ كان لابد لها من البقاء في المستشفى والخضوع لفحوصات عديدة للاطمئنان على صحتها.. فظلت طريحة الفراش أياما إضافية للراحة ولاستعادة عافيتها.. وقد كنت أزورها بشكل يومي لأشد من أزرها.. وأحاول أن أكون إلى جانبها.. دون أن أجرؤ على إخبارها أن هناك نسخة منها تنتظرها في البيت عندما تعود!!!.

توتر هائل.. قلق لا حدود له سيطر علي وجعلني عاجزا عن التفكير.. لقد بدأت أعيش حياتي مرة أخرى بصورة طبيعية مع زوجتي المستنسخة.. ثم استيقظت زوجتي الحقيقية فجأة من غيبوبتها وأصبحت متزوجا من اثنتين لكنهما امرأة

واحدة!!!.. هل عرفتم حجم المشكلة؟!.. هل أدركتم التعقيد الذي ألقى بظلاله على حياتي فجأة؟!!.. لا أعلم.. لا أعلم كيف سأتصرف!!!.. ولكن المواجهة آتية لا ريب.. فبعد بضعة أسابيع.. حانت لحظة عودة زوجتي إلى البيت بالفعل بعد أن تعافت تماما.. كان لابد من إخبارها بالأمر.. وتهيئتها لمواجهة هي الأولى من نوعها في العالم.. مواجهة مع نسختها!!!.. لم أتمكن من إخبارها إلا وهي في السيارة أثناء عودتنا إلى البيت!!.. ربما سبب هذا التأخير هو خوفي من مواجهة الموقف!!.. و.. بالطبع حدث ما نتوقعه جميعا.. صراخ.. انهيار.. استغراب.. صدمة!!!!.. حتى أنني ظللت أقود السيارة أكثر من ساعتين في منطقتنا بالقرب من البيت محاولا تهدئة زوجتي وتهيئتها لملاقاة نسختها!!.. كنت أحاول أن أقنعها أنني فعلت هذا بسبب حبي لها.. وأنني لا يمكن أن أعيش مع امرأة أخرى.. فكانت تقول:

ـ لكنك فعلت وعشت مع امرأة أخرى طوال فترة الغيبوبة..

أرد بحرارة:

ـ هذه الأخرى هي أنت يا حبيبتي!!!.. أعلم أن استيعاب الأمر عسير لأنها سابقة أولى في التاريخ.. لكن هذه الأخرى هي بالفعل أنت.. إنها نسخة منك!!.

وهكذا.. حوار يشتت الذهن ويربك المشاعر هو الأول من نوعه في التاريخ دون شك.. حوار وجدال استمر قرابة الساعتين كما ذكرت إلى أن انتهى بتهدئة زوجتي أخيرا..

لأتوقف بعدها أمام البيت بعد أن أصابني صداع من طول فترة القيادة والنقاش والجدال و.. إلخ.

بالطبع لكم أن تتخيلوا منظر زوجتي ونسختها وهما تقفان متقابلتين!!!.. إنه منظر لا يمكن وصفه.. لا يمكن أبدا.. كلاهما تنظر إلى الأخرى باستغراب هائل.. ولولا اختلاف الثياب لبدا وكأن إحداهما تقف أمام مرآة!!!.. كان أمرا رهيبا غريبا لكنه لا يخلو من الطرافة إن أردنا الإنصاف.. ولو كانت تلك التجربة لا تعنيني مباشرة.. لاستمتعت بكل لحظة منها!!.

كنت أظن في البداية أن الحب والتفاهم سيسود بينهما وأنهما ستتخطيان الصدمة مع مرور الأيام.. لكني كنت مخطئا.. فالأنثى تملك مخزونا ضخما من الغيرة.. إنها تغار على زوجها من كل امرأة في العالم.. حتى وإن كانت تلك المرأة نسخة منها!!.. هذا ما لم أعرفه مع الأسف.. وبالطبع.. أصبحت بعدها حياتي جحيما!!.. فكل منهما تفهم ما تفكر به الأخرى قبل أن تفعله!!.. كل منهما ترى أن الأخرى بصدد القيام بلعبة ما حتى تقصيها وتفوز بي وحدها!!.. كل منهما تقسم أن الأخرى هي المخطئة في أي خلاف يشب بينهما.. وكل واحدة منهما تعرف أن الأخرى تعرف أنها تكذب!!!.

لقد أصبحت حياتي لا تطاق بالفعل بعد مرور شهرين فقط على عودة زوجتي إلى البيت.. ولم يكن هناك حلا لهذه المعضلة كما ترون.. كان الحل الوحيد هو أن أتخلص من إحداهما!!!.. نعم.. أن أقتل إحداهما إن أردنا الدقة!!!.. هذا

هو الحل الذي خطر في ذهني وهو الحل الوحيد كما ترون.. لكني وجدت الأمر صعبا للغاية.. نحن نتحدث عن إزهاق روح إنسان!!.. لا يمكن أن أفعل هذا.. لا يمكن أن أتخلص من إحداهما.. رغم أن قتل المستنسخة ليس مخالفا للقانون.. فهي غير موجودة أصلا في نظر القانون.. لكنه إزهاق روح.. وهو أمر لا أرضاه أبدا ولا يرضاه ربي!!.. ثم.. واتتني فكرة مجنونة كانت هي الأنسب وهي الحل الحاسم لقصتنا تلك.. لا شك أن هذا الحل سيرضي زوجتي ونسختها وسينهي كل المشاكل!!..

فبعد بضعة شهور من الشجار والخلافات التي كادت أن تصيبني بالجنون.. انتهى كل شيء وأصبحت حياتي هادئة مرة أخرى.. كيف؟!.. ستعرفون الآن!!.. كنت جالسا مع زوجتي الحقيقية في صالة المنزل نشاهد إحدى قنوات الأفلام.. في حين جلست نسختها في المقعد المجاور.. مبتسمة هي الأخرى!!!.. كيف أصبحنا نعيش في هذا الجو الهادئ الجميل؟!.. كيف عم السلام بينهما؟!.. آه هل ترون القادم؟؟.. إنه أنا.. أو نسخة مني.. ذهب ليجلس مع نسخة زوجتي!!!!.. نعم.. لقد أوجدت نسخة مني لتعيش مع زوجتي المستنسخة!!!.. كان هذا هو الحل الأنسب!!!.. تجربة أخرى طريفة وغريبة.. أليس كذلك؟؟!!.. لكني أعيشها كل يوم حتى بدأنا نعتادها جميعا.. إذ نعيش نحن الأربعة الآن في بيت واحد!!.

لقد قمنا بتوزيع المسئوليات على أنفسنا بالتساوي!!.. فأذهب إلى العمل أحيانا.. ويذهب بديلي أحيانا أخرى.. كما

أن ساعات العمل في المختبر عندي قد تضاعفت.. لا تنسوا أن نسختي تملك عقلي أيضا.. فنقوم نحن الاثنان بذات التجارب حول الاستنساخ لنعرف المزيد من أسراره!!.. أما علاقة زوجتي بنسختها فقد أصبحت وطيدة للغاية وأصبحتا لا تفترقان نهائيا!!.. بل واتفقتا على تقسيم العمل المنزلي بينهما بالتساوي.. وهكذا أصبح كل شيء منقسما على اثنين في حياتي وحياة زوجتي الحقيقية.. لقد زادت مصاريفنا دون شك.. ولكن صارت حياتنا أسهل بطبيعة الحال.. حتى تأقلمنا على هذا الوضع مع مرور الأيام وأصبحنا نعيش حياة طبيعية تماما دون أن يعرف مخلوقا واحدا من الأقارب أو الجيران أن هناك نسخة مني ومن زوجتي في هذا البيت!!.

سيظل العالم يتحدث عن استنساخ البشر في أفلام الخيال العلمي دون أن يعرف أحد أن استنساخ البشر قد تحول إلى واقع.. واقع أعيشه وأراه يوميا في منزلي.. بعد أن قمت باستنساخ زوجتي.. ونفسي!!.

ذلك الجار الغامض

البحث عن المغامرة.. هذه هي سمة كل مراهق دون شك!!.. وكوني لا أتجاوز الخامسة عشر من العمر.. فقد كان البحث عن مغامرة من الأمور التي تشدني كثيرا.. خاصة عندما أقرأ القصص البوليسية التي تتحدث عن مجموعة مراهقين ساعدوا الشرطة وأوقعوا بأشرس المجرمين!!.. هذه القصص كانت تقتلني قتلا وتجعلني في حالة عطش دائم كي أعيش واحدة من تلك المغامرات.. وهذا ما جعلني ألجأ إلى الخيال في الكثير من الأوقات!!.. فأضع نفسي في قضية وهمية أساعد فيها الشرطة للقبض على مجرم خطير.. وأتخيل الصحف تتحدث عني وعن بطولتي.. دون أن أعلم أن أحلامي ستتحول إلى واقع يوما ما.. وأن ليس كل ما نتمناه في حياتنا يصب في مصلحتنا!!!.

كان هذا عندما انتقل إلى المنزل المجاور شخص غريب الأطوار.. وحيدا تماما!!.. وهذا أمر بالغ الغرابة.. فجميع المنازل المجاورة تعيش فيها أسر كاملة كما هو الحال مع جميع المناطق السكنية في (الكويت)!!.. لذا فقد أثار الأمر اهتمامي.. وعندما أخبرت والدي ووالدتي بالأمر.. لم يكترثا كثيرا.. لأنهما يعرفان جيدا عشقي للمغامرة وخلق قضية خطيرة من كل شيء وأي شيء كما يقولان دائما.. نعم.. أعترف أنني قد وضعت والدي في مشاكل عديدة في الماضي القريب بسبب شكوكي في كل شيء!!.. فلا زلت أذكر جيدا عندما رأيت أحد جيراننا يضع صندوقا مريب الشكل في حقيبة سيارته!!.. عندها ملأت الدنيا صراخا.. وأقسمت لوالدي أن الصندوق

يحوي زوجة ذلك الجار!!.. وبالطبع لم يأخذ والدي الأمر بعين الاعتبار.. لذا فقد كسرت حقيبة السيارة بنفسي وفتحت الصندوق.. وإذا به يحوي كمية من الكتب التي أراد جارنا التخلص منها!!!.. ولولا وعود والدي بإصلاح التلف الذي تسببت به في سيارة جارنا.. لأبلغ الشرطة عني دون شك!!.

لقد وبخني والدي كثيرا يومها.. ووعدني بأن عقابي سيكون شديدا لو تكررت فعلتي تلك!!.. بل وهددني بأخذ كل القصص البوليسية التي تملأ مكتبتي!!.

لذا لا أعتقد أن والدي سيعير شكوكي وتساؤلاتي تلك أي اهتمام.. لهذا فقد قررت مراقبة جارنا الجديد بنفسي دون الاعتماد على أحد.. كيف سأراقبه؟؟!.. من خلال شباك غرفتي بالطبع.. لحسن الحظ أنني في الإجازة الصيفية.. وأملك كل الوقت للمراقبة!!.

كان هذا الجار - ومنذ انتقاله إلى منزله - لا يفعل شيئا تقريبا!!.. بل ولا يخرج إلا في أوقات نادرة جدا ليذهب إلى حديقة المنزل الخارجية ويقوم بتنسيقها بنفسه والاهتمام بها!!.. لذا فكرت أن مراقبته في الفترات الصباحية أمرا قد لا يفيد كثيرا.. فربما.. ربما يمارس نشاطا مشبوها في وقت متأخر من الليل!!!.. هنا خفق قلبي بقوة.. وفرحت كثيرا مهنئا نفسي على ذكائي.. نعم.. ربما يمارس هذا الرجل نشاطا ما في وقت متأخر من الليل.. إذا.. يجب أن أسهر.. يجب أن أراقبه ليلا.. وسأضرب رأسي في الحائط إن كنت مخطئا بشأن شكوكي تلك!!.

وضعت خطتي قيد التنفيذ.. وقررت السهر في تلك الليلة حتى الثالثة فجرا لأراقب جارنا الغامض.. فبدأت عملية المراقبة في الحادية عشر مساء.. واتخذت كل الاستعدادات اللازمة لذلك!!.. أطفأت الأنوار في غرفتي حتى لا يراني أحد من الخارج.. موسيقى هادئة حتى تشعرني ببعض الألفة.. فأنا أكره الظلام الساكن.. لا بد من صوت يبدد بعضا من مخاوف الظلام.. نعم.. أعشق المغامرة.. لكني أخشى الظلام!!.. تناقض طبيعي ويحدث مع أي شخص.. خاصة لمن هم في مثل سني.. لا تنسوا أنني في الخامسة عشر من العمر!!.

جلست بالقرب من شباك غرفتي.. وبيدي مكبر اشتريته في العام الماضي من (هولندا) أثناء إجازتنا الصيفية.. كاد قلبي أن يقفز فرحا بسبب مظهري وأنا ممسك بالمكبر.. لقد شعرت وكأنني بطلا حقيقيا في أحد أفلام المغامرات!!.. ورحت بعدها أفكر.. هل سيخرج من البيت في هذا الوقت المتأخر؟!.. ربما.. ربما سيخرج ليمارس نشاطا ما.. فلا يعقل أن يقضي كل وقته تقريبا في منزله.. ألا يذهب إلى عمله؟!.. ألا يخرج لقضاء بعض المشاوير المعتادة؟!.. ألا يزوره أحد؟!.. ثم.. أين أفراد عائلته؟!.. أكاد أن أجزم أن شكوكي في محلها!!.. هناك لغز يحيط بهذا الرجل!!.. ومراقبته قد تكشف لي الكثير.. الكثير دون شك.. ولكن.. مر اليوم الأول بسلام دون أن ألحظ أي شيء غير عادي!!!.. ومرت بضعة أيام بعد ذلك والحال كما هو!!.. حتى بدأت أشعر بشيء من خيبة الأمل!!.

بالطبع ستقولون أن ما أفعله ليس سوى كلام أطفال!!..

ربما.. وهذا ما بدأت أظنه بالفعل بعد حوالي أسبوع من المراقبة!!.. ولكن.. جاءت اللحظة الموعودة أخيرا!!.. حين رأيت عبر شباك غرفتي شيئا لا يعقل!!!.. إذ رأيت.. رأيت ضوء أزرق يشع من شباك إحدى غرف بيت ذلك الجار!!!.. هل أنا واهم؟!.. بالتأكيد لا.. هذا حقيقي تماما!!.. ضوء أزرق يشع بقوة للحظات قبل أن يخفت!!.. انتفض جسدي بقوة عندما انتبهت لذلك الضوء الغريب.. ماذا أفعل؟!.. هل أوقظ والدي؟؟!.. ما الذي سأخبره؟!.. مجرد ضوء أزرق ظهر قليلا من شباك بيت جارنا ثم اختفى؟!.. ما الذي سيعنيه هذا؟؟!.. لا.. ربما.. ربما يجب أن أستمر بالمراقبة علّني أكتشف شيئا آخر!!.. ظللت أراقب بيت جارنا بعد ذلك لغاية الرابعة فجرا دون أن أجد ما يريب.. ثم شعرت أن جفوني ثقلت أخيرا.. فذهبت إلى الفراش مستسلما والتساؤلات تملأ رأسي!!.

عندما استيقظت في الواحدة ظهرا كما هي العادة في فصل الصيف!!.. نزلت إلى صالة البيت لتناول الغداء مع والدي ووالدتي.. قبل أن أسمع صوتا غريبا في الطابق الأرضي!!.. لدينا ضيف.. لكنه ضيف أجنبي!!!.. إنه يتحدث الانجليزية وكأنه أمريكي الجنسية!!!.. ووالدي يبادله الحديث بانجليزية لا بأس بها.. عدت أدراجي وارتديت ثيابا تليق باستقبال الضيوف.. و.. هل.. هل.. يا إلهي!!.. هذا الضيف.. إنه جارنا الذي أراقبه طوال الوقت!!.. ماذا يفعل هنا؟!!.. وجدت نفسي أنظر إليه بعدائية دون أن أعرف السبب.. ثم ألقيت التحية على الجميع باقتضاب فأشرق وجه والدي و:

- آه.. هذا ولدي يا سيد (واتسون).. رحب بضيفنا يا ولدي!!..

صافحت الضيف بتوجس رغم أنه بدا شخصا طيبا للغاية!!.. إذ أشرقت ملامحه وتحدث بلغة عربية ركيكة جدا:

- سررت بالتعرف بك.. كيف حالك؟!.

همهمت بكلمات لم أفهمها أنا نفسي.. وذهبت لأجلس على المقعد المجاور في حين أرى والدتي مع الخادمة يعدان الغداء لنا وللضيف!!..

قال والدي موضحا:

- لقد كان هناك عطل في سيارتي ساعدني السيد (واتسون) على إصلاحه.. لذا فقد دعوته على الغداء معنا ووافق مشكورا.. لم أكن أعرف أنه أمريكي.. كنت أظنه من جنسية عربية.. لكني عرفت منه أنه أمريكي من أصول عربية بالفعل وقد قام بتأجير ذلك البيت المقابل لبيتنا ليقيم فيه بعض الوقت!!..

نظرت إلى والدي وابتسمت مشجعا.. وغرق عقلي بالتساؤلات!!.. ترى.. هل لشكوكي أي معنى؟!.. ما الذي يفعله هذا الجار في (الكويت)؟!.. لماذا انتقل ليسكن وحيدا بالقرب منا.. لماذا لم يسكن في شقة مثلا؟!.. ثم.. ما قصة ذلك الضوء الأزرق الذي رأيته؟!.. تساؤلات قد تحمل الكثير من المعاني.. وقد لا يكون لها معنى على الإطلاق.. ربما يكون

والدي وأصدقائي جميعا على حق.. ربما أريد أن أعيش في قصة بوليسية وأن أخلق جوا من الغموض بأي صورة!!!!.. ولهذا تجدني أشك في كل شيء!!.. ولكن.. بالرغم من ذلك.. لا زلت أشعر أن هناك شيئا غريبا يخص ذلك الجار الأمريكي.. شيئا غريبا لا أفهمه.. على كل حال.. لن أرتكب أي حماقة.. سأكون حذرا في تعاملي معه كي لا أضع والدي في مأزق.

تناولنا الغداء معا.. وكان يدور بين جارنا الأمريكي ووالدي حديثا طويلا عن أمور لا تثير اهتمامي أبدا كالسياسة والاقتصاد.. قبل أن أنتهي من طعامي لأستأذن الجميع وأذهب إلى غرفتي والوساوس تكاد تقتلني قتلا!!.. ربما كنت محقا هذه المرة.. ربما كان جارنا هذا يخفي شيئا مريبا بالفعل.. يجب أن أفعل شيئا.. يجب أن أستمر بمراقبته!!!.. نعم سأستمر بمراقبته أسبوعا آخر.. لأقرر بعدها ما يجب فعله!!.. لكني لم أنتظر أسبوعا لحسن الحظ!!.. ففي مساء نفس اليوم.. جاءت اللحظة الحاسمة.. كان هذا بعد منتصف الليل بنصف ساعة تقريبا.. عندما رأيته يخرج من البيت وهو يلتفت يمينا وشمالا.. أكاد أن أقسم أنه بدا متوجسا أثناء خروجه.. ثم استقل سيارته وذهب إلى جهة غير معلومة.. هنا جن جنوني.. هناك أمر غير عادي يحدث هنا.. ولكن.. مهلا.. مهلا.. لقد واتتني فكرة مجنونة تماما.. ولو كنت أكبر من عمري الحالي بخمسة سنوات لما فكرت بهذا الشيء إطلاقا كونه تصرفا متهورا لا يمكن أن يفعله أي إنسان ناضج!!!.. نعم.. هو ما تفكرون به بالضبط!!!.. سأدخل منزله.. إنها

فرصة ربما لن تتكرر وها هي قد جاءتني على طبق من ذهب!!.. لن أضيع تلك الفرصة أبدا.

دب الحماس في جسدي فجأة.. فارتديت ثيابا رياضية خفيفة.. وأخذت معي مصباحا صغيرا.. إنني أمتلك عدة المراقبة كاملة كما ترون!!.. نزلت بعدها في توجس شديد آملا ألا يستيقظ والدي ويراني.. وإلا.. سأكون في موقف لا أحسد عليه أبدا!!.. توجهت إلى منزل جارنا أخيرا!!.. التفت حولي بقلق شديد.. لا أحد يراني لحسن الحظ.. تسللت إلى حديقة منزله ولا أسمع صوتا سوى دقات قلبي من شدة الخوف.. ولكن حب المغامرة تفوّق على خوفي من الظلام دون شك.. وإلا لما جرؤت على ما أفعله الآن!!.. الباب الحديدي للبيت مقفل!!.. لا توجد مشكلة.. فتسلّق السور المنخفض لن يكون صعبا.. ها أنا أتسلق السور.. هوووب.. سقطة غير مؤلمة.. نهضت من مكاني بسرعة.. وأضأت البطارية.

الآن أسير في ساحة المنزل الصغيرة متجها إلى ذلك الشباك الذي لمحته مفتوحا.. لحسن الحظ أن الشباك في الدور الأول.. لماذا يستأجر رجل منزلا كهذا.. لماذا لا يعيش في شقة؟!.. سؤال طرحته كثيرا ولا زلت أطرحه.. ثم ما هي قصة ذلك الضوء الأزرق الذي ظهر من غرفته في تلك الليلة؟!.. سأعرف الإجابة عندما أدخل.. ربما ستكون الإجابة سخيفة للغاية!!.. ربما تكون شكوكي كلها من نسج خيالي!!.. هذا ممكن.. سأعرف كل شيء قريبا على كل حال.. و.. ها أنا الآن في

منزله!!.. منزلا عاديا يحوي أثاثا بسيطا كعادة الأمريكان.. أجول في المنزل والظلام يشعرني برهبة شديدة.. فالمشي في الظلام وحيدا لهو أمر مخيف دون شك!!.. وضوء البطارية لا ينير لي كل شيء بشكل كاف!!.. للحظة شعرت وكأنني سأرمي البطارية على الأرض وأجري كما لم أجر من قبل عائدا إلى غرفتي!!.. لكن.. لا.. سأستمر.. يجب أن أسيطر على مخاوفي قليلا.. لا يوجد مجال للتراجع بعد كل ما فعلت!!.

لم أجد ما يريب في الدور الأرضي.. فصعدت إلى الطابق الثاني!!.. غرفة النوم الرئيسية دون شك.. إنها تبدو عادية أيضا.. يجب أن أسرع قليلا.. فقد يعود جارنا في أي لحظة.. هذا ما يحدث دائما في الأفلام.. لكنه لم يعد لحسن الحظ.. نظرة سريعة في الدولاب.. و.. ما هذا؟!.. حقيبة سوداء غريبة لم أرى مثلها من قبل!!.. أخذت الحقيبة من الدولاب.. إنها لا تحوي أي أقفال.. فتحتها بسهولة.. و.. لم أتوقع أبدا أن أجد ما رأيته فيها!!.. هل.. هل هذه أسلحة؟!.. إنها تبدو لي كالمسدسات.. لكنها مسدسات غريبة جدا لم أرى مثلها في حياتي!!.. وماذا عن.. ماذا عن تلك المفكرة الصغيرة الموجودة مع الأسلحة؟!! .. فتحتها بتوجس.. وقمت بتصفحها على عجالة.. وإذا بها تحوي مجموعة من الأسماء.. بعض الأسماء تم شطبها بقلم أسود.. وهناك بعض الأسماء التي لم يشطبها بعد!!.. أول تلك الأسماء التي لم تشطب هو اسم والدتي ويليه اسم والدي!!!.. يا للهول!!!.. الأسماء التي قام بشطبها.. هل.. هل يعني هذا أنه قتل هؤلاء الناس؟؟!.. والدور الآن على

والدتي ثم والدي؟؟!!.. لا يوجد معنى لما أراه سوى هذا!!.. شعرت بذعر هائل.. وبدأ جسدي يرتجف بقوة.. هذا الرجل.. هل هو قاتل محترف مثلا؟!.. لماذا وجدت اسم أمي وأبي موجودا في القائمة؟!.. لماذا؟!..

لا يوجد وقت الآن للتفكير في هذا السؤال.. يجب أن أخرج.. لقد رأيت ما يكفي.. وسأفكر بما سأفعله فيما بعد!!.

أعدت الحقيبة إلى مكانها وخرجت من بيته كالمجنون عائدا إلى غرفتي!!.. هل أخبر والدي؟!!.. ماذا سأخبره؟؟!.. أعرف والدي جيدا.. لن يهتم بشيء سوى اقتحامي الغير قانوني بالطبع لبيت جارنا؟!.. لن يصدقني وسيكتفي بتوبيخي وعقابي.. إذا ماذا سأفعل؟!.. ماذا سأفعل؟!.. ظللت أفكر.. وأفكر.. حتى نمت وأنا أفكر.

لم أتوقع أبدا أن يوقظني والدي في الصباح الباكر عندما اقتحم غرفتي وهو يصرخ ويتوعد.. و:

- أخبرني السيد (واتسون) قبل قليل بما حدث في الأمس!!!.. لقد رآك تخرج من منزله راكضا في وقت متأخر من الليل!!.. اسمعني أيها الأحمق.. لقد وضعتني في العديد من المشاكل سابقا.. ولن أسمح لك أن تضيع مستقبلك بهذه التصرفات الحمقاء!!.. كف عن لعب دور التحري وعش الواقع.. هناك أشياء أهم.. سأقوم غدا بتسجيلك في أحد الأندية الصيفية لتقضي وقت فراغك بدلا من تلك الألاعيب البوليسية السخيفة التي تمارسها وتقحم نفسك فيها!!.. عش

الواقع يا ولد.. لا أريد المزيد من المشاكل مع جيراننا.. لقد وعدت السيد (واتسون) أنك لن تكرر هذا الفعل مرة أخرى.. ورجوته ألا يبلغ الشرطة.. وأقسم أنني سأقوم بتسليمك للشرطة بنفسي لو كررت فعلتك هذه ودخلت بيوت الناس دون استئذان!!.

قال هذا الكلام ليتوجه إلى خارج غرفتي ويصفق بابها بقوة دون أن يسمح لي حتى بالرد.. لن يصدقني في أي حال من الأحوال لو أخبرته أنني وجدت أسلحة غريبة جدا في بيت ذلك الجار.. أعرف والدي جيدا!!.

ظللت مستلقيا على الفراش وقد طار النوم تماما من عيني.. كانت الأفكار تصطرع في ذهني وتشتت كياني حتى بت عاجزا عن اتخاذ أي رد فعل!!.. هناك سر خطير في تلك الحقيبة التي عثرت عليها.. لم أرى في حياتي أسلحة كتلك.. ولا أعرف سبب وجود اسم والدي ووالدتي في قائمة ذلك الجار!!.. إنني واثق أن هناك شيئا مريبا يحدث حولي.. ولكن ما هو؟!.. ما هو؟!..

لم أكن أعلم أنه خلال ساعات قليلة ستتغير حياتي كلها رأسا على عقب وستتطور الأمور بسرعة رهيبة!!.. ففي نفس اليوم.. ذهبت والدتي إلى أحد المجمعات التجارية.. لكنها لم تعد.. حتى اقتربت الساعة من منتصف الليل!!.. هاتفها المحمول؟!.. إنه مغلق!!.. لقد أصابنا هذا بقلق هائل.. فراح والدي يتصل بصديقاتها وجميع أقاربنا.. لكن لا أحد منهم يعرف مكانها!!.. وفي الثانية فجرا.. قرر والدي إبلاغ الشرطة

والقلق والوجوم يسيطر تماما على البيت وعلى جميع أفراد العائلة الذين لم يكفوا عن الاتصال بنا للسؤال!!..

ذهب والدي إلى المخفر لتسجيل قضية شخص مفقود!!.. وعلى حد علمي فإن الشرطة لن تبدأ في البحث عن والدتي قبل مرور 24 ساعة على اختفائها.. جميعنا تعلمنا تلك الحقيقة من مشاهدة الأفلام الأجنبية.. أما أنا.. فتعلمون أنني لن أقف مكتوف اليدين.. لا يمكن أن يكون ما حدث مجرد صدفة.. لا يمكن.. أنا أعرف وأنتم تعرفون من السبب وراء اختفاء والدتي.. لا شك أنه ذلك الأمريكي الوغد!!.. لقد كان اسم والدتي هو أول الأسماء في القائمة.. ويليها اسم والدي.. نعم.. إذا سيكون والدي هو التالي ما لم أفعل شيئا!!.. لن أستطيع إثبات أي شيء ضد ذلك الجار لذا فعلي أن أتصرف بنفسي!!.. تسألونني عما سأفعله؟؟!.. لا يوجد أفضل من المواجهة الصريحة بكل تأكيد!!.. هذا ما سأفعله..

وضعت خطتي قيد التنفيذ دون تردد!!.. تأكدت من وجود والدي في غرفته بعد عودته من المخفر.. وأدرت جهاز التسجيل في غرفتي ثم أقفلت بابها من الخارج.. حتى أعطي والدي انطباعا أنني موجود في الغرفة أستمع إلى الموسيقى.. لأخرج بعدها متوجسا قلقا إلى منزل ذلك الجار اللعين.. طرقت باب منزله بتوتر وقلق شديدين في هذا الوقت المتأخر من الليل!!.. قبل أن أسمع صوته متثائبا من جهاز المناداة وهو يقول بحنق:

- من الزائر في مثل هذا الوقت؟!..

شعرت بحرج شديد.. يبدو إنه نائم.. لكن لا مجال للتراجع الآن.. تنحنحت قليلا ثم قلت بإنجليزية ركيكة:

- إنه أنا.. ابن الجيران.. هناك أمر هام أريد أن أتحدث معك بشأنه!!.. أرجوك أن تفتح الباب.

لم يرد.. بل أغلق جهاز المناداة.. ليخرج بعدها بلحظات قليلة وعلى وجهه علامات النوم.. أو هذا ما بدا لي على الأقل!!.. ما إن فتح الباب.. حتى دخلت منزله سريعا دون أن أطلب منه الإذن.. صعق للحظة من تصرفي هذا الذي ينم عن قلة ذوق دون شك!!.. قبل أن يلحق بي سريعا وهو يصيح:

- يا ولد.. إلى أين تظن أنك ذاهب؟!.. لم أسمح لك بالدخول..

لم أرد.. بل تجاهلته تماما.. لماذا أفعل هذا؟!.. لأنني أظن أنه اختطف والدتي.. أمسك بي من ثيابي قبل أن أصل إلى باب الصالة الرئيسية للمنزل.. فقلت له بعصبية بالغة وبإنجليزية ركيكة لكنها مفهومة:

- أمي.. إنها هنا أيها الوغد.. أعلم هذا.. لقد فتحت حقيبتك.. ووجدت اسم أمي وأبي في قائمة مفكرتك.. ووجدت كذلك الأسلحة.. لا تحاول الإنكار.. أعرف هذا جيدا!!.. أعرف كل شيء عنك!!..

وقبل أن يرد.. سمعت صوت ارتطام شيء ما بالأرض..

أمي.. إنها هي دون شك!!.. حاولت أن أفلت من يديه.. لكنه أمسك بي بقوة.. وهو ينظر إلي بعينين ثابتتين قبل أن يقول وهو يصيح مطمئنا:

- اسمعني.. أرجوك استمع إلي قبل أن ترتكب أي حماقة!!..

لم أكترث لكلامه.. بل حاولت التملص بكل قوتي من يده وأنا أصرخ وأتوعد.. قبل أن يدفعني دفعا إلى الداخل.. وإلى صالة المنزل تحديدا وهو يقول بغضب:

- إذا لم تكف عن إثارة الضجة.. فاقسم أنني سأقتلك!!.

تراخت قواي كثيرا أمام هذا التهديد.. وهبطت علي الحقيقة التي لم أنتبه إليها طوال الوقت.. إنني مجرد فتى لا حيلة له أقف أمام سفاح حقير قد يقتلني ويقتل والدتي.. وربما سيقتل والدي أيضا!!!.. لقد أخذني الحماس ودخلت منزله دون أن أنتبه إلى أنني أضع نفسي في مأزق رهيب وأمشي بكامل رضاي إلى فخ لن أخرج منه أبدا!!.. قال السيد (واتسون) بعد أن رأى ملامح الخوف علي وجهي:

- حسنا.. أعترف أن والدتك موجودة عندي في المنزل.. وسأدعك تراها.. ولكن.. إن تصرفت بحماقة.. فاقسم بأنني سأقتلك.. تعال معي!!.

قال هذا وقادني إلى الطابق العلوي.. حيث وجدت والدتي مقيدة ومكممة علي كرسي في غرفة ذلك الوغد!!!.. فصرخت ملتاعا:

- أمي.. ماذا فعل بك ذلك الوغد؟!..

لم تتمكن والدتي من الرد بطبيعة الحال.. قبل أن يقول السيد (واتسون) بهدوء:

- أعرف أنك كنت في منزلي في الأمس.. لقد كذبت على والدك عندما أخبرته بأنني رأيتك خارجا من حديقة منزلي.. الواقع أن لدي أجهزة رصد تعمل على مدار الساعة لكشف اقتحام أي دخيل!.. لهذا كشفت أمرك!!.

سألته بذهول:

- من.. من أنت بالضبط؟!.. ماذا تريد منا؟!.. ثم.. ما قصة ذلك الضوء الأزرق الذي ظهر في بيتك في ذلك اليوم؟!.. لقد رأيته بنفسي.. وما قصة تلك الأسلحة العجيبة!!.

قال بحزم:

- إنني أمريكي الجنسية.. ومن أصول عربية بالفعل.. لم أكذب عليكم بخصوص هذا.. ولكن ما سأقوله لك لا يصدق.. لا يصدق على الإطلاق.. لذا.. أرجوك أن تستمع إلي بهدوء إلى أن أنتهي..

همهمة غاضبة تخرج من فم والدتي المكمم وكأنها لا تريدني أن أستمع إليه.. قبل أن أصرخ بغضب:

- ماذا تفعل بوالدتي أيها الحقير؟!.. إنك.. إنك تهينها..

تحركت كي أفك اللثام من على فمها دون أن يعترض السيد (واتسون)!!!.. وما إن فعلت.. حتى صرخت والدتي برعب:

- احذر منه يا ولدي.. سيكذب عليك.. هذا المجرم ينوي قتلي..

التفت بحدة إلى السيد (واتسون) قبل أن يشهر مسدسا غريب المنظر من تلك التي شاهدتها في حقيبته.. ويقول:

- نعم.. إنني أنوي قتلها!!!.. اسمعني يا ولدي.. إن والدتك.. والدتك.. ليست من عالمنا!!!.. والدتك ووالدك ليسا سوى مخلوقين فضائيين قتلا والديك الحقيقيين منذ بضعة شهور واستحوذا على جسديهما!!!!!!.. إنني أتبع وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية.. وقد عرفنا أن هذين المخلوقين الفضائيين قد استقرا في (الكويت) واستحوذا على جسدين لمواطنين كويتيين هما والديك كما أخبرتك.. فتم إرسالي لتصفيتهما لأنهما يهدفان إلى استكشاف كوكبنا تمهيدا لغزوه.. بل أن هناك شخص ثالث في (الكويت) تم الاستحواذ على جسده من قبل أحد تلك المخلوقات.. وقد قتلته بنفسي قبل بضعة أيام.. هذا هو سر الضوء الأزرق الذي رأيته كما تقول!!!!.. هذه المخلوقات تمتلك القدرة على الاستحواذ على أجساد البشر!!.. وهناك المزيد منهم في بعض الدول الأخرى.. وقد تم إرسال من يقتلهم.. هذه هي الحقيقة.. صدقني.. أنا لا أكذب عليك..

و.. قبل أن أعترض أو أنطق بحرف أمام هذا الكلام الذي لا يصدق.. ضغط زناد مسدسه فجأة وأطلق النار على والدتي.. فظهر من جسدها ضوء أزرق عجيب يشبه كثيرا ذلك الضوء الذي رأيته في تلك الليلة بالفعل!!!.. كاد قلبي أن يتوقف!!..

حقيقة لا مجازا!!!.. ونزلت دموعي دون أن أشعر وأنا أرى منظرا رهيبا كهذا يحدث أمامي!!!.. أمي.. لقد قتل أمي!!.. لكنها.. لكن.. لكن.. إنني أرى دماء صفراء غريبة اللون تخرج من جسدها!!!!..

هل ما قاله لي صحيح؟!.. أنا لا أصدق!!.. لا أصدق ما أراه!!.. هذا يفوق الوصف.. يفوق كل إدراكي وخيالي!!..

سألت السيد (واتسون) بهدوء مهيب وأنا أحدق مذهولا في الدماء الصفراء التي تخرج من جسد التي ظننتها والدتي:

ـ ماذا.. ماذا عن أبي؟!..

رد بأسف واضح:

ـ والدك كذلك استحوذ على جسده مخلوق فضائي كما أخبرتك يا بني!!.. يجب أن أقوم بتصفية والدك أيضا.. أو من ينتحل شخصيته!!.. أنصحك ألا تخبر الشرطة بالأمر.. فلن يصدقك أحد.. لكنك رأيت بنفسك الدماء التي تخرج من والدتك.. لقد قتلها ذلك المخلوق منذ بضعة شهور دون أن تعلم.. هذا ما أكدته لنا تحرياتنا.. وعلى كل حال.. نحن نطارد تلك المخلوقات منذ أن كشفنا خطتهم لاحتلال الأرض.. إن قصتهم طويلة وشائكة.. لكني لا أستطيع أن أخبرك بالتفاصيل.. إنها أسرار متعلقة بأمن كوكب الأرض بأكمله!!.

انهمرت الدموع من عيني دون أن أشعر.. فتنهد بحزن أمام عيني الدامعتين.. ثم قال بتعاطف شديد:

ـ أنت لست صغيرا يا بني.. تستطيع أن تتدبر أمورك جيدا.. سأحرص على إزالة كل أثر لوالدتك.. ثم سأذهب وأقتل من ينتحل شخصية والدك وسأتخلص من جثته.. لن يعرف أحد أبدا ما حل بهما.. سيكونان في عداد المفقودين!!.. أو ربما أضع جثتيهما في سيارة وأحرقها.. حتى يتم حسم الموضوع نهائيا.. بدلا من ضياع وقت الشرطة في محاولات فاشلة في البحث عنهما!!.

أومأت برأسي متفهما.. وغرقت في بكاء حار!!!.. لقد فقدت أمي وأبي في لمح البصر.. في لحظة واحدة!!.. كان هذا يفوق احتمالي.. يفوق احتمالي دون شك.. فاحتضنني السيد (واتسون) محاولا تهدئتي.. ثم طلب مني أن أمضي الليلة عنده كي يذهب إلى بيتنا ويقتل من انتحل جسد والدي بعيدا عن ناظري.. و.. هذا ما حدث.. تسلل في الساعة الرابعة فجرا متسترا بالظلام إلى منزلنا.. وقتل والدي المزيف!!.. لقد رأيت ذلك الضوء الأزرق المشع مرة أخرى عبر نافذة غرفة والدي.. فدمعت عيناي ورحت أبكي وأنتحب عالما أن حياتي قد تغيرت تماما في ليلة وضحاها!!!!!.

لقد وعدني السيد (واتسون) بعد ذلك أن يهتم لأمري.. وأن يتابع حياتي باستمرار.. حياتي التي تغيرت إلى الأبد.. ماذا سأفعل الآن؟؟!.. لا شك أن أقربائي سيتولون رعايتي.. وأشكر الله كثيرا أنني في الخامسة عشر من العمر.. سنتين فقط وأتخرج من المرحلة الثانوية وألتحق في الجامعة حتى أكون مسئولا عن نفسي فلا أحتاج إلى مساعدة أحد!!.

هذه هي قصتي باختصار شديد.. قصة غريبة دون شك.. قصة لن يصدقها أحد بكل تأكيد.. لكنها حدثت.. وعشت أغرب لحظاتها بنفسي.. إلا أنني لم أجرؤ أبدا على البوح بالسر لأقاربي الذين أعيش عندهم الآن.. فلا أريد أن يتهمني الناس بالكذب أو الجنون.. وهذا ما قاله لي السيد (واتسون) وأكده لي.. وهو محق دون شك.. لن يصدق أحد هذه القصة العجيبة.. لن يصدقها أبدا!!!.

ليلة في المخفر

كنت أقود سيارتي في وقت متأخر من تلك الليلة في أحد المناطق التي تزخر بالمجمعات التجارية في (الكويت).. أجوب الشوارع علني أجد من أعاكسها من الفتيات!!.. وهذا ما يفعله الكثير من الشباب في وطننا الحبيب كما تعلمون!!.. بالطبع لم أكن أعلم أن أحداث الليلة ستنقلب رأسا على عقب وأنني سأمر بتجربة نادرة جدا لا أعتقد أنها ستتكرر.. كيف؟!.. كان هذا قبل منتصف الليل بقليل عندما استوقفتني دورية شرطة.. بالطبع أثار الأمر استغرابي بعض الشيء!!.. فلا يوجد سبب واضح وراء إيقافي.. لكني رضخت لنداء الدورية وتوقفت على الجانب الأيمن من الطريق كما هي العادة.

نزل الشرطي من الدورية ليأتي إلي بخطوات سريعة توحي بخطورة الموقف!!.. وقبل أن أجد الفرصة لأسأله عن سبب إيقافي.. طلب مني أوراقي الشخصية بلهجة تفوح منها رائحة الغضب!!.. بصراحة شعرت ببعض الخوف من نبرته الحادة وملامحه الغاضبة.. فأعطيته رخصة القيادة دون أن أنطق بحرف!!.. نظر إلى الرخصة بصرامة.. ثم وضعها في جيبه!!.. وقال بعدها آمرا:

- اتبعني إلى مخفر المنطقة!!..

سألته بدهشة بالغة:

- لماذا؟!.. ماذا فعلت؟!..

نظر إلي باشمئزاز وكأنه لا يحق لي معرفة سبب طلبه الغريب!!.. ثم قال باقتضاب:

ـ ستعرف هناك!!.

تبعته إلى المخفر مجبورا والأسئلة تصطرع في ذهني.. ما الذي فعلته؟!.. هل يشتبه بي مثلا؟!.. هل يشتبه بالسيارة؟!.. لا أعرف.. ظللت أفكر بسبب مقنع لما حدث وأردد بيني وبين نفسي:

ـ لا شك أن هناك خطأ.. لا شك أن هناك خطأ!!.

رحت أردد تلك الجملة لا شعوريا حتى وصلنا إلى مخفر المنطقة.. و.. عندما نزلت من السيارة وتوجهت ناحية باب المخفر.. اقترب مني الشرطي.. وأمسك بذراعي بقوة وكأنني متهم!!.. شعرت بتوتر شديد في أعماقي.. فأنا إنسان مسالم جدا وهذه الأجواء لا تناسبني أبدا!!.. لكني رغم كل شيء.. مشيت معه باستسلام واضح.. ثم.. ما أن دخلنا المخفر.. حتى دفعني الشرطي بقسوة إلى الداخل وبشكل أثار استغرابي كثيرا!!.. بل وكدت أتعثر وأقع من قوة الدفعة!!..

قال بعدها لزميله ـ الذي كان متواجدا في الاستقبال ـ باشمئزاز:

ـ ضعه في الحجز لغاية الغد.. وسنرى بعدها ما سنفعله به..

هنا صحت بذعر حقيقي:

ـ مهلا.. مهلا.. مهلا.. مهلا!!!.. ماذا فعلت؟!.. لماذا طلبت مني المجيء إلى المخفر؟!.. لماذا استوقفتني أصلا؟!.. من حقي أن أعرف السبب!!.

هنا حدث ما لم أتوقعه إطلاقا.. صفعة قوية من يد الشرطي!!!.. ليتوهج على إثرها خدي الأيمن بالدماء ويرتج جسدي بالكامل!!.. للحظة.. لم أقل شيئا.. بل انعقد لساني وأصبت بصدمة شديدة من هول المفاجأة!!.. وشعرت أن كل ذرة كرامة قد خرجت من جسدي بسبب تلك الصفعة!!.. وأمام دهشتي وذهولي وقلقي.. خرج من إحدى الغرف شخص أعلى رتبة من الجميع!!.. يظهر أنه ضابط المخفر.. فاعتدل الجميع باحترام.. قبل أن يقول الضابط بلهجة آمرة:

ـ أخرج لنا محفظتك..

أخرجتها له والدموع تملأ عيني من هول الصفعة والموقف الذي أتعرض له.. ولولا بقية كبرياء لصرخت باكيا كالنساء!!.. أخذ الضابط محفظتي.. وقام بتفتيش محتوياتها.. ثم هتف بانتصار:

ـ هذا رائع.. توجد في محفظته أكثر من ثلاثمائة دينار.. رائع.. الحظ يطرق بابنا بقوة هذه الليلة!!..

نظر إلي بخبث.. ثم وضع النقود في جيبه!!.. هكذا بكل بساطة!!!.. صعقت.. صعقت تماما لما يحدث.. هل.. هل أنا أتعرض للسرقة في المخفر؟!!.. ومن قبل رجال الشرطة أنفسهم؟!.. هل من الممكن أن يحدث هذا؟!..

قلت له مشدوها:

ـ هذه نقودي.. بأي حق تأخذونها مني؟!.. لن أسكت على ما تفعلونه.. لن أسكت أبدا!!!!

قال الضابط بسخرية قاسية:

ـ ما هو دليلك على ما حدث؟؟!.. سننكر جميعا أنك أتيت إلى المخفر أصلا!!.

ثم التفت إلى باقي رجال الشرطة وسألهم ساخرا:

ـ هل رأيتم هذا الشخص من قبل؟!..

هزوا رءوسهم نفيا بسخرية مماثلة!!!.. فاتسعت ابتسامته وازداد قسوة ليأمرهم بعدها بأخذي إلى الحجز!!..

أمسكني أحدهم من قفاي!!.. ثم دفعني دفعا إلى داخل الحجز وسط اعتراضاتي وصراخي.. لكنه أخرسني ببعض الصفعات والركلات!!!.. ما الذي يحدث هنا؟!.. كيف يحدث كل هذا في (الكويت) بعيدا عن أعين المسئولين؟؟!.. لقد قبضوا علي دون سبب.. وأهانوني.. وضربوني.. بل.. بل وسرقوني أيضا!!!.. توقفت مشدوها في الحجز.. أنظر حولي وإذا بسجينين من جنسية آسيوية ينظران إلي بلا مبالاة وكأنهما اعتادا على تلك الأمور!!.

دقائق قليلة مضت قبل أن أصرخ مناديا الشرطي المسئول طالبا منه أن أستخدم الهاتف بعد أن أخذوا مني هاتفي النقال بالطبع!!.. يجب أن أتصل بشقيقي ليخرجني من هذه الورطة..

يجب على أحدهم أن يفعل شيئا لصد هؤلاء الأوغاد!!.. ظللت أنادي وأنادي لأكثر من نصف ساعة.. إلى أن جاء أحد أفراد الشرطة.. و.. قبل أن يعرف ما أريد.. قال بكل وقاحة:

ـ ما هو الرقم السري لبطاقة السحب الآلي الخاصة بك؟!..

نظرت إليه غير مصدق.. وقبل أن أرد.. قال بابتسامة قاسية:

ـ أخبرنا بالرقم السري.. وسنذهب لنسحب ما تبقى من أموالك في البنك من جهاز السحب الآلي.. وبعدها سنخرجك من هنا..

قلت له وقد صعد الدم إلى رأسي:

ـ هذه.. هذه عملية سرقة واضحة.. هل أنا في مخفر للشرطة أم وسط عصابة منظمة؟!..

مط شفتيه بلا مبالاة.. وهز كتفيه كناية عن عدم اكتراثه بكلامي!!..

صرخت بعصبية:

ـ لقد قبضتم علي دون وجه حق.. وسرقتم كل ما كان بحوزتي.. فهل تريدون سرقة رصيدي في البنك أيضا؟!.. هل أنتم شرطة؟!.. إنكم مجموعة من اللصوص.. مجموعة من الأوغاد!!..

نظر إلي بصرامة.. ثم قال بقسوة جمدت الدماء في عروقي:

- فلتخرس.. ولتعطيني الرقم السري.. وإلا فسنلفق لك تهمة معاكسة إحدى الفتيات.. أين هي الفتاة؟!.. سنأتي بها وستشهد بكل ما نريد.. لا تظن أننا نعجز عن ذلك!!.

سألته بصوت متحشرج وقد جف حلقي تماما:

- مـ.. مـ.. ماذا تريد؟؟!..

- هل أنت غبي؟!.. لقد أخبرتك.. نريد الرقم السري الخاص ببطاقة السحب الآلي الخاصة بك..

نظرت إليه مقهورا!!.. ثم أخبرته بالرقم في استسلام واضح!!.. تسألونني عن بطاقة السحب الآلي؟!.. لقد أخذوها مني مع محفظتي قبل أن يأخذوني إلى الحجز.. هل نسيتم؟!.

كتب الشرطي الرقم على ورقة صغيرة.. وتركني في الحجز أضرب كفا بكف!!.. ما هذا الذي يحدث؟!.. ظللت أسأل نفسي مرة ثانية وثالثة دون أن أشعر.. هل يعقل أن يتم تجاوز القانون بهذه الصورة؟!.. ومن قبل رجال الشرطة أنفسهم؟!.. هذا المخفر عبارة عن بؤرة فساد كما هو واضح.. إنهم يقبضون على الناس بين فترة وأخرى.. ثم ينهبونهم تحت التهديد.. التهديد بماذا؟!.. إننا نتحدث عن مجموعة من رجال الشرطة.. يستطيعون تلفيق أي تهمة يريدونها.. ألم يهددني ذلك الشرطي الوغد بتلفيق تهمة معاكسة فتاة؟!.

زفرت بقوة وكأنني أخرج كل انفعالاتي.. لا يوجد لدي أي دليل على ما يفعلونه معي.. إنها جريمة كاملة بحق..

والطريف أنها جريمة كاملة تحدث في مخفر للشرطة!!.. يا لسخرية الأحداث!!.

مرت ساعة كاملة وأنا غارق تماما في تلك الخواطر السوداء.. قبل أن يأتي ضابط المخفر مع مجموعة من أفراد الشرطة.. وجميعهم يحملون تلك النظرات الساخرة اللعينة.. ثم قال الضابط بانتصار:

- لقد سحبنا كل ما تملك من مال!!.. تستطيع الخروج الآن!!.. ويمكنك أن تبلغ البنك فيما بعد أن هناك من سرق أموالك..

اتسعت ابتسامته وهو يقول:

- لكنك لا تستطيع إثبات أي شيء ضدنا.. فقد حرص الذي سرق أموالك على إخفاء وجهه عن كاميرات المراقبة في البنك.. هيا.. فلتخرج الآن.. ولا ترينا وجهك مرة أخرى أيها الأحمق.. هيا!!.

فتح أحد أفراد الشرطة باب الحجز.. فأمسك بثيابي وسحبني بقوة إلى الخارج.. مشيت بانكسار أمام أنظار الجميع.. ثم.. توقفت عند باب المخفر وأنا أنتفض غضبا.. أنتفض ذهولا!!!.. ثم التقطت نفسا عميقا.. وخرجت أخيرا من مخفر الشرطة.. خرجت غير مصدق أنني مررت بتجربة كتلك.. لأذهب بعدها إلى حيث تركت سيارتي.

وبعد أن ابتعدت بسيارتي.. ضحكت!!.. نعم.. ضحكت حتى دمعت عيناي!!!.. وأخرجت جهاز التسجيل الصغير

الذي كنت قد خبأته تحت جوربي.. هذا رائع.. لقد تم تسجيل كل شيء.. كل شيء دون استثناء!!.. كيف ومتى وضعت جهاز التسجيل في جوربي؟!!.. المعذرة.. لقد نسيت أن أعرفكم بنفسي!!.. إنني أحد رجال المباحث.. فقد وردت إلينا شكاوى عديدة من المواطنين والمقيمين عن هذا المخفر تحديدا وعما يفعله أفراده.. إذ شكلوا فيما بينهم عصابة منظمة تنهب الناس بصورة شبيهة بما فعلوه معي!!.. لم يكن لدينا أي دليل ضدهم.. ولكن تكرار شكاوى الناس أثار انتباهنا!!.. فطلب مني مسئولي أن أضع في محفظتي مبلغا كبيرا من المال.. مع جهاز تسجيل صغير تحت جوربي.. وأن أجوب شوارع المنطقة التي تقع في نطاق هذا المخفر.

لقد ظللت أجوب شوارع المنطقة أسابيع طويلة إلى أن قبضوا علي أخيرا.. ليحدث ما تمنيته ويبتلعوا الطعم!!.. والآن.. لدينا دليل كاف للإيقاع بهم جميعا.. سأرى وجه هؤلاء الشرطة الأوغاد في صباح الغد!!.. سآتي إلى المخفر غدا مع بعض المسئولين ورجال المباحث لإلقاء القبض عليهم جميعا.. سأضحك كثيرا.. سأضحك كثيرا وأنا أرى الصدمة على وجوههم وهم يستمعون إلى الشريط.. ويعرفون أنني أوقعت بهم.. ويعرفون أن لا أحد.. لا أحد أبدا فوق القانون!!.

خادم الغزاة

ـ (يوسف).. هل تسمعني؟!!.. (يوسف).. لا تخشى شيئا.. نحن نحاول مساعدتك.. (يوسف).. استيقظ بالله عليك!!..

فتحت عيني بصعوبة بالغة.. الرؤية مستحيلة تقريبا بسبب ذلك الضوء المبهر.. ماذا يحدث هنا؟!.. أنا لا أذكر شيئا!!.. ما الذي جاء بي إلى هذا المكان؟!.. ما هو هذا المكان أصلا؟!.. هل.. هل كنت نائما؟!.. هل أنا أحلم؟!.. حاولت أن أنهض لكني وجدت صعوبة بالغة في ذلك.. و :

ـ يوسف.. إنك تستيقظ.. هذا رائع!!.. كما قلت لك.. لا تخشى شيئا.. نحن نحاول مساعدتك.. هل تستطيع أن تتحدث؟!..

رددت بصعوبة بالغة:

ـ نـ.. نعم.. نعم.. مـ.. من أنتم؟!.. ماذا تريدون؟!..

هتف الصوت بارتياح شديد:

ـ أخيرا.. أخيرا استيقظت.. هذا رائع.. دعنا نعطيك بعض الأدوية والعقاقير التي ستعيد إليك حيويتك..

قال هذا ثم شعرت بعدها بلحظات بإبرة تغرز في ساعدي!!.. دقائق قليلة قبل أن أشعر أنني أفضل حالا بالفعل!!.. حتى الرؤية الآن أصبحت أفضل.. التفت حولي لأجد وجها بشوشا لشاب في أواخر العشرينات من العمر.. مع فتاة رقيقة تقف بجانبه!!.. وحولهم مجموعة من الناس يرمقونني في توتر غير مفهوم!!.. إنني.. إنني في غرفة

صغيرة الحجم نسبيا وبالكاد تستوعب هذا العدد من المتواجدين!!.

كان أول سؤال أطرحه بطبيعة الحال هو:

- من أنتم؟!.. ما الذي جاء بي إلى هنا؟!..

نظر الشاب إلى الفتاة التي تقف بجواره.. ثم سألني باهتمام بالغ:

- هل تذكر ما كنت تفعله قبل الغيبوبة التي أصبت بها؟؟!..

سألته بتوتر شديد:

- غيبوبة؟!.. متى أصبت بغيبوبة؟!.. عم تتحدث؟!.. أنا لا أذكر شيئا إطلاقا..

قال بقلق وكأنه سيخبرني بكارثة:

- هل تعرف عمرك؟!..

مططت شفتي.. ثم قلت باستغراب:

- إنني.. في السادسة عشر من العمر..

هز رأسه علامة الفهم وكأنه اعتاد تلك الأمور!!.. أي أمور؟!.. ليتني أعلم!!!.. طلب بعدها الشاب من زميلته أن تأتي بمرآة صغيرة.. وقدمها إلي بهدوء كي أنظر إلى وجهي!!.. لم أفهم سبب طلبه الغريب هذا.. لكني نظرت بشكل آلي في المرآة.. و.. يا للهول.. يا للهول!!!.. يا إلهي الرحيم!!.. لا.. لا يمكن.. ذلك الوجه الذي طالعني في المرآة.. إنه وجه شخص آخر!!.. وجه شخص يتجاوز عمره الثلاثين دون شك.. هل..

هل هذه مساحيق تجميل شبيهة بالتي يستخدمونها في السينما؟!.. رحت بجنون أمسح وجهي بأطراف أصابعي علني أستطيع إزالة هذه المساحيق عنه!!.. ولكن.. لا.. هذا.. هذا وجهي بالفعل!! .. كيف يحدث هذا؟؟.. هل كنت في غيبوبة طوال تلك السنوات؟!.. مستحيل.. لا يمكن.. و.. مهلا.. مهلا.. بدأت أتذكر.. لقد كنت في السادسة عشر من عمري أعيش حياة سعيدة مع والدي ووالدتي وأشقائي!!.. ثم.. ثم؟!.. أحاول أن أتذكر شيئا؟!.. لا أذكر سوى أنني ذهبت إلى الفراش في تلك الليلة لأغرق بعدها في نوم عميق.. هل يعقل أنني نمت طوال تلك السنوات؟!.. هذا مستحيل.. مستحيل تماما!!!.. كيف أقع في غيبوبة كما يقول ذلك الشاب دون أي سبب؟!.. لا يمكن.. نهضت من مكاني كالملسوع.. وسألت الشاب برعب حقيقي:

- ماذا يحدث هنا؟!.. من أنتم أيها الأوغاد؟؟!.. ماذا فعلتم بي؟!.. ماذا..

أمسك بي الشاب بمساعدة بعض من كانوا معه في الغرفة محاولين تهدئتي.. ثم قالت الفتاة بصوت مرتفع وهي تربت على كتفي مطمئنة:

- أرجوك لا تخشى شيئا.. نحن هنا لمساعدتك كما أخبرناك في البداية!!.. أرجوك أن تستمع إلينا.. لن نتحدث قبل أن تهدأ قليلا.. فصراخك لن يقودك إلى شيء.

نظرت إليها بذعر.. ثم تراخى جسدي شيئا فشيئا وجلست

مستسلما.. عندها فقط ابتعد الجميع من حولي.. وبقي الشاب الذي انحنى ناحيتي حتى قارب وجهه أنفي.. وبدأ يخبرني بالقصة كاملة.. القصة التي لا تصدق!!!!.

- لقد حدث هذا منذ سنوات طويلة.. منذ خمسة عشر عاما تقريبا!!.

بدأ الشاب حديثه بهذه الجملة وهو يمط شفتيه وكأنه يطرد ذكرى مريرة!!.. ثم أردف:

- منذ حوالي خمسة عشر عاما.. هبطت مركبة فضائية مجهولة هائلة الحجم على سطح القمر!!!.. لم يتسرب الخبر إلى العامة.. بل لم يجد أحد الوقت كي يقوم بتسريب الخبر.. فبعد هبوط تلك المركبة بساعات قليلة.. أرسلت أشعة مجهولة غريبة اللون إلى الأرض وبغزارة لا تصدق!!.. لم يجد أحد الوقت لدراسة طبيعة تلك الأشعة لأن مفعولها بدأ حال وصولها إلينا.. وهو التأثير على عقول البشر والسيطرة عليها.. لكي نعمل عبيدا لدى الغزاة الفضائيين أصحاب تلك المركبة!!..

- ما هذا الهراء؟!..

قلتها بعصبية واستنكار!!.. لكنه لم يكترث.. بل أكمل كلامه بهدوء:

- منذ أكثر من خمسة عشر عاما وجميع البشر تقريبا على كوكب الأرض يعملون عبيدا لدى تلك المخلوقات الفضائية!!..

لقد عرفنا أنهم جاؤوا إلى كوكبنا بعد أن انهارت حضارتهم لسبب لا نعرفه.. وهم الآن يعيشون بيننا.. وجميع البشر تقريبا يقومون على خدمتهم واقعين تحت سيطرتهم العقلية!!.. لقد كنت أنت يا (يوسف) أحد الذين يعملون عبيدا للغزاة.. لهذا مرت بك السنوات دون أن تعرف أنك تجاوزت الثلاثين من العمر!!.

هل.. هل ما يقوله صحيحا؟!.. قصته غريبة جدا.. لكنها - والحق يقال - منطقية وتفسر كل ما حدث لي!!!.. إن كلامه مخيفا.. مخيفا للغاية!!.. سألته بلهفة:

- وماذا حدث الآن؟!.. هل تحررت من سيطرة الغزاة؟!.. وماذا عنكم أنتم؟؟!.. ألستم عبيدا للغزاة؟!.. ثم.. أين نحن بالضبط؟!..

لوح بكفيه محاولا تهدئتي أمام هذا السيل من الأسئلة.. ثم قال بحزم:

- عندما أرسل الغزاة أشعتهم إلى الأرض.. كان هناك البعض ممن يعملون في المناجم المليئة بالرصاص أو الذين تواجدوا في مصانع تحيط بها أنابيب الرصاص!!.. هؤلاء لم يتأثروا بالأشعة بطبيعة الحال.. فالرصاص مقاوم جيد للأشعة*.. وكان عدد الذين لم يتأثروا بتلك الأشعة المجهولة لا يتجاوز المائتين على أبعد تقدير ومتفرقين في كل أنحاء العالم.. إلا أنهم وصلوا لبعضهم البعض وشكلوا فريقا

* حقيقة.

للمقاومة.. فريق له مهمة واحدة!!.. وهي إعادة الناس إلى وعيهم.. فنقوم بين الحين والآخر بخطف بعضهم من الشارع.. ومن ثم نعيد إليهم سيطرتهم على عقولهم من خلال جهاز خاص صنعه أحد أفراد المقاومة.. وهكذا تكاثر عدد الذين تخلصوا من سيطرة الغزاة العقلية حتى اقترب من الثلاثة آلاف إنسان!!.. لقد قمنا ببناء سرداب هائل تحت الأرض مبطن تماما بالرصاص حتى يحمينا من أشعة الغزاة!!.. وكلما نخرج لأداء أي مهمة.. نعود إلى السرداب بعد أن يتم فحص عقولنا بجهاز خاص للتأكد من أن الغزاة لم يعيدوا سيطرتهم على أحد منا.. لأنهم يطلقون تلك الأشعة على الأرض بين الحين والآخر من خلال مركبتهم الفضائية العملاقة المتمركزة خارج غلافنا الجوي.. إنهم يفعلون هذا كنوع من الاحتياط.. حتى لا يكون أحد خارج نطاق سيطرتهم.. لهذا لا نخرج إلا في أوقات قليلة جدا كي نختطف أحد البشر لنعيد له سيطرته على عقله.

كنت أستمع مشدوها غير مصدق إلى كلام الشاب.. هل.. هل يعقل؟!.. هل يعقل ما يحدث؟!.. ووسط أنفاسي اللاهثة غير المصدقة.. قالت الفتاة بهدوء شديد:

- هناك الكثير من البشر أشبه بالموتى الأحياء متواجدين في الغابات وبين الأزقة.. إنهم يتصرفون بآلية.. بل ولا يأكلون إلا إذا أمرهم الغزاة بذلك.. وبالطبع يولي الغزاة أهمية لا بأس بها بإطعامهم.. إذ يهمهم الإبقاء على أكبر عدد منا لخدمتهم..

لكن حرصهم هذا غير كاف بالطبع.. فالملايين من البشر لقوا حتفهم بسبب موتهم من الجوع خلال السنوات الماضية!!!.. تخيل هذا.. لأن عقولهم مغيبة تماما ولا يتحركون إلا بأمر الغزاة.. لكننا نحقق نجاحات باهرة في مقاومتنا.. بل ونجحنا بإعادتك إلى وعيك يا (يوسف) وإعادة الكثيرين غيرك استعدادا لتحرير الأرض.. نحتاجك معنا لمحاربة الغزاة!!.

قلت بقلق شديد يشوبه بعض الشك:

- لا زلت أجد صعوبة في تصديق هذا الكلام!!!!..

نظروا إلى بعضهم وكأنهم اعتادوا على سماع هذا الكلام من الذين أيقظوهم من قبل!!.. فقام الشاب بتشغيل شاشة كبيرة نسبيا اتضح أنها ليست سوى راصد لما يدور في الخارج!!!.. كان الأمر مذهلا.. مذهلا لا يصدق.. إنني أرى العالم مختلف تماما عما كان عليه كما أذكره.. شكل الغزاة لا يعطي أي مجال للشك.. إنهم بالتأكيد ليسوا بشر.. وليسوا من عالمنا.. فهم طوال القامة.. زرق البشرة.. أعينهم كبيرة جدا.. ورؤوسهم تخلو تماما من الشعر!!!!.. أما عن البشر فأراهم عبر الراصد يقومون بأعمال التنظيف بإخلاص شديد وهم واقعين تحت سيطرة الغزاة العقلية.. أرى أحد الغزاة يقف بجانبهم ويأمرهم أن يقوموا بتنظيف مكانا آخر!!.. الشوارع نظيفة جدا يمشي فيها الغزاة بعنجهية وغرور.. وخلف كل واحد منهم مجموعة من البشر يمشون وراءهم كالعبيد!!!..

عندها فقط أصبت بصدمة شديدة.. ثم تخاذلت تماما بعد أن تبين أن كل ما قيل لي حقيقة!!.. وأمام تخاذلي واستسلامي.. قال الشاب بحزم:

- غدا سنوجه للغزاة ضربة قوية جدا.. لقد وضعنا خطة محكمة لإعادة معظم سكان الأرض إلى وعيهم!!.. وذلك من خلال أجهزة خاصة تم وضعها في أماكن متفرقة.. حيث ستطلق أشعة مضادة لتلك الأشعة التي يطلقها الغزاة من سفينتهم الفضائية.. تلك الأشعة المضادة ستعيد البشر إلى وعيهم.. سيتسبب هذا بموجة هائلة من الفوضى دون شك!!!.. إذ سيصاب البشر بصدمة كبيرة من شكل هؤلاء الغزاة الغريب.. لكننا سنعاونهم لفهم ما يحدث حولهم من خلال مكبرات صوت وضعناها خصيصا في أماكن محددة حتى يسمعنا أكبر عدد ممكن من الناس.. سنخبرهم أن هؤلاء الغزاة قد سيطروا على عقولنا وإدراكنا منذ خمسة عشر عاما لنعمل عبيدا عندهم!!!.. سيعرف الناس الحقيقة دون شك.. أما نحن فسنخرج من مخابئنا لنسحق الغزاة الأوغاد.. فهم ضعاف البنية لا يقدرون على حمل بندقية.. تخيل هذا!!.. ولا يملكون أي أسلحة سوى عقولهم التي صنعوا من خلالها كل التكنولوجيا التي يمتلكونها..

قلت له بقلق:

- وماذا لو أطلق الغزاة أشعتهم مرة أخرى وسيطروا على البشر أثناء قيامكم بالثورة؟!.

ردت الفتاة بسرعة:

- لن يستطيعوا.. فقد أطلقوا أشعتهم بالأمس فحسب.. ولن يتمكنوا من إطلاقها مرة أخرى قبل بضعة أيام من الآن.. أجهزتهم التي تنتج تلك الأشعة تحتاج إلى طاقة هائلة يتطلب الحصول عليها بضعة أيام.

أومأت برأسي متفهما.. ثم.. تذكرت أمرا هاما.. فسألتهم بقلق حقيقي:

- وماذا عن دوري أنا؟!.. ماذا تريدونني أن أفعل؟!.

قال الشاب بحذر:

- سنتعمد تسريب أخبارا للغزاة عن وجود بعض البشر الذين تحرروا من السيطرة العقلية تلك!!.. ستذهب أنت إلى حيث يقطن أحد كبار الضباط من الغزاة.. وستخبره بأنك اكتشفت أن هناك مجموعة من البشر لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة غير خاضعين للسيطرة العقلية.. سيأتي معك الضابط بنفسه مع حرّاسه للتأكد من كلامك.. وعندها سنقبض عليه ونحرر عقول البشر الذين يخدمونه!!.. سنستجوب ذلك الضابط ونعرف منه المزيد عن تمركز الغزاة في كل مكان على كوكب الأرض حتى نغلق أي ثغرات في خطتنا.

قلت لهم بذعر:

- ولكن.. لا أستطيع السيطرة على أعصابي أمامهم..

سأتوتر دون شك وينكشف أمري.. لماذا لا يقوم أحد غيري بتلك المهمة؟!..

ردت الفتاة بصدق:

- لأن شكلك معروفا لديهم.. لا تنسى أنك أحد الخدم التابعين لهم ولذلك الضابط تحديدا.. لذلك لن يشك بشيء.. وتأكد بأنه لن يلحظ توترك لأنهم متغطرسون لا ينظرون إلى عبيدهم البشر على الإطلاق.

لم يكن الكلام مطمئنا بما فيه الكفاية بطبيعة الحال.. لذا فقد رفضت الفكرة تماما في باديء الأمر.. لكنهم واصلوا إلحاحهم بقلق شديد.. خاصة وإن جزء مهم من خطتهم يعتمد علي كما هو واضح!!.. فلم أجد بدا من الموافقة أخيرا.. إنني جزء من هذه المعركة.. معركة تحرير الأرض ولا يجوز أن أتخلى عن واجبي ودوري فيها!!.. نعم.. وافقت أخيرا.. وقررت أن أقدم على هذه الخطوة من أجل عالمي.. ومن أجل البشرية.. عندها فقط.. هتف الجميع بانتصار في ارتياح شديد وواضح!!!.. ثم شرح لي الشاب كيفية الوصول إلى بيت ذلك المخلوق الفضائي الذي يحمل رتبة عسكرية كبيرة بين قومه الأوغاد كما علمنا.. و.. لم يعد هناك ما يقال.

خرجت من القبو السري.. وشعرت أخيرا بأنني أستنشق الهواء النقي كأنني لم أستنشقه من قبل.. فرحت أملأ به رئتي متلذذا بهذا الشعور!!.. ثم أخذت نفسا عميقا.. قبل أن أمشي بهدوء مهيب متجها إلى مقر ذلك الضابط كما وصفه لي أفراد

المقاومة الأرضية.. لا تنسوا أنني كنت أخدمه وأنا مغيب العقل.. لذا لم أكن أذكر أي شيء عن مكانه.. المهم الآن أن تنجح الخطة!!!.. أرجو ذلك.. أرجو ذلك.. أرجو ذلك.. ظللت أردد تلك الجملة إلى أن وصلت إلى بيت الضابط أخيرا.. هناك مجموعة لا بأس بها من البشر العبيد الذين يحرسون بيت ذلك الوغد.. دخلت بشكل تلقائي دون أن أثير شكوك أحد رغم خوفي الشديد والتوتر الذي شعرت به وكأنه يغلي في داخلي!!.. لكنني حاولت السيطرة على نفسي.. وأعتقد أنني نجحت في ذلك!!!.

وصلت إلى صالة الاستقبال.. وإذا بذلك المخلوق الفضائي مستلقيا على الكنبة باسترخاء.. في حين يقوم أربعة أشخاص من بنو جلدتي بتنفيذ طلباته.. هذا مهين.. مهين.. مهين إلى أبعد الحدود!!!.. هذا الوغد.. سيدفع ثمن فعلته غاليا.. تقدمت إلى المخلوق الفضائي.. وقلت له بهدوء شديد:

- سيدي.. لقد رأيت شيئا غريبا في قبو قريب من هنا.. شيئا يجب أن تراه بنفسك!!.

قال دون أن ينظر إلي:

- ماذا هناك أيها البشري؟!..

رددت بنفس الهدوء مبتلعا لهجته التي لا تخلو من إهانة:

- لقد سمعت أن هناك بضعة رجال لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة يعيشون في قبو تحت الأرض!!.. وهم لا

يخضعون لكم يا سيدي.. يقولون أنهم يخططوا للقيام بأعمال تخريبية للقضاء عليكم.. إنهم يطلقون عليكم لقب (الغزاة).. وعلمت منهم أنهم يفكرون في إيجاد طريقة لإعادة البشر إلى وعيهم كما يدّعون!!.

كان من الواضح أنه لم يتوقع هذا الكلام إطلاقا!!.. فقد انتفض بشدة وهب واقفا وهو يقول بغضب هائل:

ـ كيف عرفت كل هذا أيها البشري؟!..

أخبرته ما تم الاتفاق عليه مسبقا مع أفراد المقاومة:

ـ لقد تحدثوا إلي لبضعة ساعات.. وحاولوا ـ كما يدّعون ـ أن يوقظوني من سيطرتكم.. لكني لم أستمع إلى هذا الهراء.. بل هربت منهم وهرعت إليك يا سيدي!!.

نظر إلي طويلا.. وأنا أحاول بجهد خارق أن أسيطر على أعصابي.. قبل أن يفكر قليلا وكأنه يزن الأمر.. ليقول بعدها آمرا:

ـ فلتقدني إليهم الآن!!..

قال هذا.. وصفق بيديه صارخا بالعبيد البشر من حوله:

ـ تعالوا معي الآن.. هناك من يدعي أنه لا يخضع لنا.. هناك من يدعي أننا لسنا سادتكم..

انتصب الجميع وباتوا على أهبة الاستعداد للذهاب مع الضابط.. فخرج بعدها من المنزل يتبعه حوالي ثلاثين بشريا.. منهم أنا بطبيعة الحال!!.. لا أعتقد أنه سيكشف

كذبي.. فهو لا يعرف أصلا بوجود مقاومة بشرية كاملة يفوق عددها تخيله!!.. كما لا يعرف أيضا بوجود أشعة مضادة لتحرير عقول البشر من هيمنة الغزاة.. إذ لا زال يظنني خادم مخلص مطيع مبرمج لطاعته.. لهذا أخذ كلامي مأخذ الجد دون ذرّة شك.. أو هذا ما أتمناه على الأقل!!.

كنت أصف للضابط كيفية الوصول إلى مقر المقاومة كما هي الخطة بالضبط.. لن يكفي البشر الذين برفقته للدفاع عنه دون شك.. فعدد رجال المقاومة أكبر بكثير من عدد حراس ذلك المخلوق اللعين.. ثم أن المقاومة ستعيد لهؤلاء البشر عقولهم.. لذا فسيكون وحيدا وسيجيب على كل أسئلتنا.. يبدو أن الغزو يتداعى شيئا فشيئا.. أتمنى أن تنجح الخطة.. أتمنى أن تنجح الخطة.. أقول هذا الكلام لنفسي وأنا أمشي بجانب ذلك المخلوق الفضائي غير مصدق أنني طوال خمسة عشر عاما كنت في غيبوبة عقلية.. والآن أستيقظ فجأة على واقع مؤلم ويكون لي دور في إنقاذ البشرية!!!.. حقا أن المستقبل غامض ويأتي أحيانا بمفاجآت لا تصدق.. من يدري.. قد تكون حياتنا كلها عبارة عن حلم!!!.. و.. طرحت تلك الخواطر عن ذهني ونحن نقترب من مقر المقاومة.. قبل أن نصل إليه أخيرا!!!.. بالطبع توترت كثيرا!!.. لكني بذلت جهدا هائلا في السيطرة على نفسي.. لا تنسوا أنني أفكر بعقلية فتى في السادسة عشر من العمر رغم أنني في الثلاثين من العمر الآن.. فأنا لم أكتسب أي خبرات منذ خمسة عشر عاما بسبب السيطرة العقلية التي ألغت إرادتي.

في اللحظة التي دخلنا فيها القبو.. سيطر جميع أفراد المقاومة على المكان بسرعة وبشكل مفاجيء ومنظم وسط ذهول المخلوق الفضائي.. وقاموا بالقبض على حراسه.. تماما كما هو متوقع!!.. فهتفت بانتصار غير مصدق:

ـ لم أتوقع أن يكون الأمر بهذه البساطة!!.. هذا رائع.. هؤلاء الأوغاد لا يملكون سوى سيطرتهم على أدمغتنا.. سنقضي عليهم بيوم واحد ونحرر الأرض!!.

قلت هذا الكلام.. قبل أن يخرج أفراد المقاومة مسدساتهم ويطلقونها على الضابط.. وعلى حراسه الشخصيين.. إنهم بشر مثلنا!!.. لماذا قتلوهم؟!.. بل ولماذا قتلوا الضابط؟!.. ألم يكن من المفروض استجوابه أولا كما أخبروني؟!.. و.. و.. قبل أن أنطق بحرف.. خرج من مكان ما في القبو.. مخلوق فضائي آخر وهو يقول لي بهدوء شديد:

ـ برافو!!.. برافو عليك.. لقد قمت بدورك على أكمل وجه!!.

ذهب إليه جميع أفراد المقاومة وانحنوا أمامه في احترام بالغ!!!!!!.. لقد أخرسني الموقف تماما فعجزت عن النطق.. ماذا يحدث؟!.. هل.. هل.. هل هي مكيدة؟!!!.

كسر المخلوق الفضائي الآخر حاجز الصمت عندما قال:

ـ لقد نفذت ما طلبناه منك.. هذا رائع.. الذي قتله قومك البشريين هو زميل لي بطبيعة الحال وأحد مواطني كوكبي.. لقد كان يتنازع معي للحصول على منصب كبير.. لكننا الآن

تخلصنا منه.. وجميع من تظنهم أفراد المقاومة.. ليسوا كذلك!!.. بل هم مبرمجون تماما لخدمتي.. إنهم عبيد لدي.. وقد نفذوا أوامري بدقة متناهية.. لم أطلب منهم أن يقتلوا زميلي لأن هذا سيثير الشبهات حولي أنا بطبيعة الحال.. لذا فقد أردنا أن يقتله أحد عبيده وحراسه الشخصيين.. وهو أنت!!!.. سيتم اتهامك أنت بقتله وقتل أتباعه البشريين.. فأجهزة الرصد لدينا صوّرت كل شيء أثناء دخولك لمنزل الضابط وقيادته إلى مقر المقاومة المزعوم.. وسيظن الجميع أن خللا ما حصل في برمجة عقلك.. مما حررك من سيطرتنا وجعلك تقتل الضابط وأتباعه البشريين.. لذا فسنسيطر على عقلك مرة أخرى الآن ليعود كل شيء كما كان.. وسأخبر قادتي بتفاصيل جريمتك مستندا إلى أجهزة الرصد!!.

انعقد لساني تماما.. وعجزت عن التفوه بحرف.. ليقول بعدها المخلوق الفضائي باعتداد شديد:

ـ أيها البشريون.. أمسكوا بهذا الخائن الذي قتل زميلي الضابط!!..

تحرك من ظننتهم أفراد المقاومة مسرعين نحوي!!.. وأمسكوا بي وسط صراخي.. كنت أصرخ بهم وأرجوهم أن يستيقظوا.. قبل أن يضعوا بعض الأسلاك الغريبة حول رأسي.. حاولت نزعها.. لكنهم أمسكوا بيدي بقوة وأنا أصرخ بهم:

ـ استيقظوا أرجوكم.. استيقظوا أرجوكم.. اســ.. اســ.. اســ..

و.. يجب أن أنهض الآن لأخـدم أسـيـادي ذوو البـشـرة الزرقاء!!!.. سـأخـدم أسيادي الفضـائيـين دون كلل أو ملل!!.. فـهدفي في هذه الحياة هو أن أكون عبدا لهم!!.. هذا أقصى ما أتمناه!!.

الثمن

عنوان قصتي غريب بعض الشيء.. أعرف هذا.. لكني لم أجد عنوانا أفضل.. فكل ما حدث لي كان بسببي أنا.. إذ دفعت (ثمن) خطأي غاليا!!.. ربما لهذا أطلقت على قصتي هذا الاسم!!.

لقد كنت امرأة ناجحة إلى أبعد الحدود.. أشغل منصبا هاما ومرموقا في واحدة من كبرى الشركات.. بل أن راتبي كان مغريا يسيل له لعاب الرجال قبل النساء!!.. لكني فرطت في كل هذا.. بل وفرطت بزوجي أيضا رغم أنه لم يمض على زواجنا سوى سنوات قليلة.

وبالطبع لم نرزق بأي أبناء.. فالإنجاب يعني الابتعاد عن عملي وعن طموحي والانشغال بالتربية!!!.. وهذا مستحيل.. مستحيل تماما.. تعلمون جميعا أن شركات القطاع الخاص لا ترحم وتتطلب التطوير الدائم حتى يكون الموظف عند حسن ظن مسئوليه.. كما أنني أعشق عملي حتى النخاع.. وأقضي أكثر ساعات اليوم في مكتبي.. أذهب إليه في وقت مبكر ولا أخرج إلا في السادسة أو السابعة مساء!!..

وبسبب عشقي لوظيفتي.. أهملت زوجي وحياتي الاجتماعية تماما!!!.. إلا أن هذا لم يغضب زوجي في البداية.. بل تقبل حبي لعملي بكل رحابة صدر وحاول فقط أن يتحدث معي بلطف لأولي حياتنا الزوجية بعض الاهتمام!!.. لكن الحوار دائما ينتهي إلى طريق مسدود!!.. فقد كنت أصر دائما على موقفي.. وأخبره أن عملي هو أهم شيء في العالم

بالنسبة لي!!.. وبالطبع.. لابد وأن تظهر فجوة بيني وبين زوجي مع مرور الأيام بسبب ابتعادنا الدائم وانشغالي عنه.. هذه الفجوة سرعان ما اتسعت شيئا فشيئا مع انغماسي التام في العمل.. حتى بت لا أرى زوجي إلا ساعات قليلة في عطلة نهاية الأسبوع!!!.

لا أنكر أنني كنت أتساءل أحيانا كثيرة بيني وبين نفسي عن سبب زواجي.. لأنني لا أصلح للزواج أصلا!!.. ولا أريد أن يقف أي شيء في وجه طموحي الوظيفي.. ثم أتذكر أن السبب الرئيسي يعود إلى والدتي سامحها الله.. فقد كانت تتوسل إلي طوال الوقت وترجوني أن ألتفت إلى نفسي قليلا وأتزوج لأنها تريد أن ترى أحفادها.. وتريد أن تفرح بي.. إلخ من هذا الهراء الذي تقوله كل أم لابنتها!!!.. لا أعلم لماذا استمعت إلى نصيحتها.. ربما لم أكن أعلم في حينها حجم طموحي.. وأنني خلقت لأعمل.. لقد عرفت هذا في وقت متأخر مع الأسف.. بعد أن تزوجت!!.. حقا أن الخطأ الوحيد الذي لا يمكن إصلاحه هو الزواج.. خاصة في مجتمعنا الشرقي الذكوري.. فلا يمكن أن أقبل بلقب (مطلّقه)!!.. سيسيء هذا كثيرا لمكانتي الاجتماعية في عملي دون شك!!.

المهم أن الفجوة بيني وبين زوجي ظلت تكبر يوما بعد يوم دون أن أنتبه إلى أنني أنثى مهما فعلت.. لدي مشاعر واحتياجات لا بد من تلبيتها بين الحين والآخر.. وستظهر على السطح متى ما توفرت البيئة المثالية.. وهذا ما حدث!!!..

فبسبب قضاء أوقات طويلة في عملي.. وقعت ـ دون أن أشعر ـ في غرام زميلي في العمل!!.. صدقوني لا أعرف كيف ذهب كلامي أدراج الرياح عن حبي لعملي وعدم رغبتي في الارتباط!!.. ربما الأنثى تبقى أنثى بعد كل شيء وتحتاج إلى العاطفة في حياتها بالفعل.. أعترف أن زميلي أكثر وسامة من زوجي بكثير وأصغر سنا.. كما أنه إنسان ناجح بالفعل.. فقد وصل إلى مركز وظيفي مرموق لا يصل إليه أحد في مثل سنه!!.. ولا أنسى أيضا أنه كان رقيقا في تعامله معي ويهتم لأمري كثيرا..

و.. شيئا فشيئا.. بدأت أشعر بأنني أفضل حالا عندما أكون معه!!.. بدأت أشعر بأنني أفتقده عندما لا يكون بقربي!!!.. لكني كتمت مشاعري تلك خوفا أن أفقد احترامه كوني امرأة متزوجة وهو يعرف ذلك.. إلى أن جاء اليوم الذي صارحني فيه هو بمشاعره!!.. كنت أنتظر تلك اللحظة.. أنتظرها بفارغ الصبر.. عندما تنحنح وقال بأدب:

ـ أعرف أنك متزوجة.. لكني لا أستطيع أن أمنع قلبي من الخفقان كلما رأيتك.. إنني.. إنني أحبك!!.. لا أعرف إلى أين سيقودنا كلامي.. ولا أعرف ما ستكون ردة فعلك.. لكني أحبك بالفعل.. هذا كل ما أستطيع قوله!!.

رددت عليه وقلبي يخفق من شدة الفرح:

ـ لا يد لك في ذلك.. فالمرء لا يختار من يحب.. إنما الحب يأتي بنفسه ويقتحم قلوبنا.. وهذا ما حدث معي أيضا رغم

أنني متزوجة كما تعلم.. فأنا أحبك أيضا.. أحبك كما لم أحب أحدا من قبل!!.

وهكذا.. بدأت قصة حبنا هذه التي استمرت شهورا قليلة قبل أن تتخذ الأمور منحنى آخر وبشكل مفاجيء!!!.. كان هذا عندما انفجر زوجي أخيرا.. يبدو أن كثرة الضغط يولد الانفجار بالفعل.. مثل يردده الناس طوال الوقت دون أن يشعروا بمدى دقته.. فقد انفجر زوجي في تلك الليلة عندما عدت من العمل في ساعة متأخرة.. ووجدته بانتظاري في غرفة النوم عازما على الدخول في مشاجرة كما هو واضح!!!.. وبدأ الحوار المكرر الممل الذي نسمعه في الأفلام والمسلسلات العربية:

ـ لقد نسيت أنك متزوجة.. إنك تهملين حياتك الزوجية تماما.. لا أشعر أنني متزوج.. إنك حتى لا تفكرين بالإنجاب.. يجب أن تحاولي التوفيق بين وظيفتك وبين بيتك..

ألم أقل لكم أنه كلام ممل نسمعه طوال الوقت؟!.. المشكلة أنني لم أعر هذا الكلام أي اهتمام.. ولم أحاول أن أمتص غضب زوجي.. فقد رددت عليه بكل برود ودون أدنى اهتمام.. و.. يبدو أن هذا أثار جنونه!!.. فنهض من مكانه غاضبا.. وبات يصرخ ويتوعد.. إلى أن بدأ يستفزني بالفعل ويهين وضعي الاجتماعي ويسخر من عملي ويتهمني بالخيانة بسبب كثرة اتصالات زميلي!!.. وبالطبع.. لأنني أخون زوجي بالفعل.. فقد أثار هذا غضبي أكثر.. ليرتفع صوتي ولأول مرة منذ زواجنا.. و:

ـ من أنت حتى تتهمني بالخيانة.. أنا أشرف وأنجح امرأة عرفتها وستعرفها في حياتك!!.

أنتم تعرفون تلك الخلافات التي لا يمكن أن تعود بعدها الأمور إلى مجاريها.. ولكن.. ليت الأمر انتهى بنا إلى الطلاق.. فقد صفعني زوجي!!!.. لأول مرة في حياتي أتعرض للضرب.. كانت صدمة هائلة لم أتوقعها إطلاقا!!.. إذ ظللت مشدوهة في مكاني غير مصدقة لما حدث.. وزوجي يصرخ ويصرخ.. و.. بالتأكيد تعلمون ما حدث بعدها.. لم أحتمل تلك الإهانة دون أن أردها له!!!.. فأردت أن أضربه بالمقابل.. وبسبب غضبي الشديد.. أمسكت بتلك التحفة اللعينة وهي أقرب ما وصلت إليه يدي وقذفتها بكل قوتي ناحية رأسه.. و.. يظهر أنني ضربته بقوة بالفعل.. فقد تفجر بركان الدم من رأسه بشكل مفاجيء.. واختل توازنه وكف عن الحديث.. ثم وقع على الأرض هامدا ورأسه ينزف بغزارة!!!.. لم أجرؤ حتى على الاقتراب منه.. فمنظر وجهه المليء بالدماء مرعب!!.. مرعب بحق.

ظللت مشدوهة فترة من الزمن بدت لي دهرا.. قبل أن أقرر الاتصال بزميلي.. أو فلنقل.. حبيبي!!.. ذهبت مسرعة إلى هاتفي النقال.. وطلبت رقمه:

ـ أرجوك أن تجيب يا حبيبي.. أرجوك أن تجيب!!.. أرجوك أن تجيب!!!..

ظللت أردد تلك الجملة كالمجنونة قبل أن يرد أخيرا.. و.. لم

أحتمل.. فصرخت باكية.. بكيت كالأطفال ورحت أنتحب.. فكان يسألني صارخا بجزع:

ـ ماذا دهاك يا حبيبتي؟!.. أجيبيني بالله عليك..

تحدثت لاهثة والدموع تملأ وجهي.. وشرحت له ما حدث.. وما فعلته بزوجي.. فقال بذعر هائل:

ـ هل مات؟!..

ـ لا.. لا أعتقد.. لكنه يتنفس بصعوبة بالغة.. أعتقد أنه سيلفظ أنفاسه الأخيرة.. لا أعرف.. لا أعرف ما يجب فعله!!.

قال بتوجس:

ـ هل الخادمة متواجدة في البيت؟!..

قلت له بصوت باك:

ـ لا.. لم تصل خادمتنا الجديدة بعد.. نحن نعتمد على خادمة شقيقتي التي تأتي إلينا مرتين في الأسبوع للتنظيف!!..

سكت لفترة بدت لي دهرا.. قبل أن يفجر قنبلة لم أتوقعها إطلاقا.. حين قال:

ـ حسنا إذا.. اسمعي يا حبيبتي.. ما سأقوله لك قد يبدو جنونا.. ولكنه أفضل الحلول!!.. ضعي الوسادة على وجه زوجك وحاولي إنهاء حياته.. بهذه الطريقة سيموت دون إثارة الشبهات!!..

هتفت غير مصدقة:

ـ ماذا؟!.. ماذا تقول؟!.. تريدني أن أقتل زوجي؟!..

تنهد بعمق.. ثم رد بهدوء شديد محاولا احتواء الموقف:

ـ اسمعيني يا حبيبتي.. أرجوك.. إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة كما تقولين.. لذا فهناك احتمال كبير جدا ألا ينجو.. وهذا سينهي حياتك تماما!!!.. كما أن ما حدث يعني مستقبلا باهرا بالنسبة إلينا.. تخيلي أن نكون مع بعضنا طوال العمر.. إننا نحلم بهذا ولا يعيقنا سوى زوجك!!.. وقد حانت اللحظة الآن لننهي زواجك ونكون معا.. ألا تريدين ذلك؟!!..

ظل يتحدث ويتحدث حتى بدأت أقتنع بفكرته الجهنمية بالفعل.. وبدأت أتخاذل أمام منطقه القوي والواضح.. وأنظر إلى وجه زوجي وأنفاسه اللاهثة وشعره الذي أصبح معجونا بالدم!!.. إلى أن.. إلى أن اقتنعت!!.. فطلبت من حبيبي أن يظل معي على الهاتف كي يشعرني بالاطمئنان.. وألا يتركني!!.. ذهبت بعدها لأحضر الوسادة.. وبيد مرتجفة.. وضعتها على وجه زوجي الذي حاول بتخاذل شديد أن يقاوم.. لكنه كان واهنا جدا.. فاستسلم تماما.. إلى أن خارت قواه.. و.. فارق الحياة أخيرا!!!.. جلست بعدها في غرفة النوم غير مصدقة ما حدث.. لقد ارتكبت جريمة قتل.. جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد.. أخفيت وجهي بين راحتي كفي.. و.. لقد نسيت.. حبيبي ينتظرني على الهاتف.. التقطت الهاتف بسرعة:

ـ ألو..

قلتها بتوتر شديد.. وإذا بحبيبي يرد بذعر حقيقي:

ـ أين كنت يا حبيبتي؟!.. لقد كدت أموت قلقا عليك!!.

عندها فقط انهرت تماما.. وأخبرته بأنني نفذت ما طلبه مني وقتلت زوجي.. رد بصوت متوتر حاول أن يبث فيه بعض الاطمئنان:

ـ أعلم أنه أمرا في غاية الصعوبة.. لكن لم يكن لدينا حلا آخر.. صدقيني.. لم يكن لدينا حلا آخر يا حبيبتي.. سنتجاوز تلك المحنة معا ونكون لبعضنا طوال العمر.. والآن.. انتظري قليلا ولا تخرجي.. سآتي إلى منزلك في الحال ونفكر بالخطوة التالية.. لا تخشي شيئا.. سنخرج من القضية دون أن نثير شكوك أحد.. لدي خطة رائعة لإخفاء الجثة.. وستقولين بعد ذلك للشرطة أن زوجك قد تركك ورحل.. سأخبرك بكل شيء عندما أصل!!.

زفرت بارتياح شديد بعد أن أنهى مكالمته!!.. إن حبيبي رجل حازم قادر على تحمل المسئولية.. كما أنه سريع البديهة.. أنا واثقة أنه سيجد حلا لهذا المأزق.. و.. لم أنتظر طويلا.. نصف ساعة فقط.. قبل أن يقرع حبيبي باب منزلي.. فتحت له الباب بلهفة.. وإذا.. وإذا برجال الشرطة!!!.. كاد قلبي أن يتوقف من هول المفاجأة.. تسمرت في مكاني لفترة بدت لي دهرا.. قبل أن أنطق أخيرا:

ـ مـ.. مـ.. ماذا تريدون؟!..

ـ سيدتي.. هل زوجك موجود في البيت؟!..

ـ.. لـ.. لـ.. لا.. إنه ليس هنا..

قال بحسم:

ـ أليست السيارة من طراز (جيب) الموجودة في الخارج له؟!.. إنها مسجلة بإسمه!!..

لم أجد ما أقول.. بل همهمت بكلمات لم أفهمها أنا نفسي!!.. قبل أن يدفعني الضابط دفعا ويدخل إلى البيت مع رجال الشرطة.. و.. لم يستغرقوا وقتا طويلا ليجدوا زوجي في غرفة النوم وقد فارق الحياة تماما.. عندها أمسك أحد رجال الشرطة بذراعي وقيد يدي.. تماما كما يفعلون في الأفلام.. ليقول الضابط كما يقولون في الأفلام أيضا:

ـ سيدتي.. إننا نلقي القبض عليك لارتكابك جريمة قتل!!.

لم أقل حرفا واحدا.. لقد صعقتني المفاجأة تماما.. دون أن أعلم أن هناك مفاجأة أكبر عندما ألقى الضابط بقنبلة لم أتوقعها على الإطلاق:

ـ لقد اتصل بنا زميلك في العمل وأخبرنا بكل شيء!!.. أنت اتصلت به وقلت له بأنك ستقتلين زوجك ظنا منك بأنه سيساعدك بسبب علاقة الحب التي تربط بينكما.. لكنه لم يقبل بحدوث جريمة قتل دون أن يبلغ عنها.. فاتصل بنا وأخبرنا بكل شيء!!..

عندما قال الضابط هذا الكلام.. لم أرد.. بل سكت تماما.. وراحت عيناي تدوران حول محجريهما في جنون!!!.. قبل أن أتذكر شيئا فشيئا كلمات زميلي التي كان يقولها لي في بداية تعارفنا:

((إنك في مركز وظيفي مرموق.. ولن أحصل على مركزك هذا إلا في حالة تقاعدك أو استقالتك!!))..

أتذكر تلك الكلمات جيدا لكني لم أنتبه إليها في حينها!!.. الوغد!!.. الحقير!!.. لقد أراد إزاحتي عن الطريق ليحصل على مركزي الوظيفي.. إنه طموح.. طموح جدا كما أخبرتكم!!.. ربما يجب أن ألوم نفسي.. ربما يجب أن أعترف بأنني أخطأت منذ البداية عندما أهملت زوجي وأهملت حياتي الاجتماعية.. وليتني اكتفيت بهذا.. بل قمت بما هو أسوأ.. وأقذر!!!.. عندما أقمت علاقة غير مشروعة مع هذا الوغد.. لقد دفعت ثمن خيانتي لزوجي.. دفعت الثمن فادحا!!.. لهذا أطلقت على قصتي هذا الاسم المقتضب.. لهذا أطلقت عليها اسم: الثمن.

الدائرة

كم أحلم أن أكون إنسانا طبيعيا ككل الناس.. لا أريد الثراء.. ولا أريد النفوذ.. أريد أن أكون ككل الناس فحسب!!!.. أقسم أن هذا أقصى ما أتمناه!!!.. وهذا الحلم على الرغم من بساطته.. إلا أنه مستحيل التنفيذ!!!.. وعندما أتنهد بعمق.. ويغيب عقلي عن الناس لأعيش في خلايا ذاكرتي.. أجد نفسي - لا شعوريا - أعود إلى تلك الليلة اللعينة.. إنها بداية كل شيء.. ونهاية كل شيء بنفس الوقت!!.

كنت نائما بأمان في غرفتي في وقت متأخر من تلك الليلة المشئومة.. لأستيقظ فجأة على ضجة قوية ارتج معها البيت بأكمله!!!.. بالطبع شعرت برعب هائل جراء تلك الضجة المخيفة.. خاصة وأنني أقيم وحدي في البيت بعد سفر جميع أفراد الأسرة إلى أوروبا لقضاء إجازة الصيف.

لقد احتاج الأمر لدقيقة أو أكثر حتى ألتقط أنفاسي وأسيطر على نفسي.. قبل أن أنهض من السرير وجسدي يرتجف بأكمله!!!.. ما مصدر هذه الضجة؟!.. كان واضحا أن شيئا ما قد سقط فوق سطح البيت.. هل هو لص مثلا؟!!.. نظرت من شباك غرفتي.. بعض الجيران ينظرون من شبابيك منازلهم لمعرفة مصدر الضجة.. لكن يبدو أنهم لم يجدوا شيئا.. فلا توجد أي آثار لحريق مثلا أو ما شابه!!!.. فهدأت نفوسهم شيئا فشيئا على ما يبدو وانطفأت الأنوار ليعود كل منهم إلى عالم الأحلام.. لم يتبقى أحد مستيقظا سواي بطبيعة الحال.. لأن الضجة خرجت من فوق سطح بيتي أنا.. هذا لا يحتاج إلى شك!!.

خرجت من غرفتي وجسدي كله يرتجف بشكل واضح.. أبحث عن شيء يصلح استخدامه كسلاح لمواجهة.....!!!.. لا أعرف ما سأواجهه.. لكن يجب أن أتسلح بشيء ما حتى أشعر بالاطمئنان على الأقل.. سكين المطبخ؟!.. نعم.. إنه السلاح الوحيد المتوفر في كل بيت.. توجهت إلى المطبخ في الطابق السفلي.. وأخذت أكبر سكين وجدتها.. أمسكتها بيد مرتجفة وخرجت من المطبخ للمواجهة!!.. ولكن.. هذا غباء.. الدوي الهائل الذي سمعته لا يخرج من لص وإلا لغدا أغبى لصوص العالم على الإطلاق!!!.. لا شك أنه شيء آخر لا أعرف ما هو!!!.. هل أتصل بالشرطة؟!.. نعم.. هذا أفضل بكثير..

قررت العودة إلى غرفتي لأقفل الباب على نفسي ثم أتصل بالشرطة.. هذا ما قررت فعله قبل أن.. قبل أن.. قبل أن أفاجا بأبشع وجه رأيته في حياتي!!!.. اقسم لكم بأن قلبي كاد أن يتوقف من شدة الرعب!!!.. من الغريب حقا ما يشعر به الإنسان في أقسى لحظات الرعب.. لم أصرخ.. ولم أتخذ أي رد فعل.. فقط رحت - لا شعوريا - أحدق بهذا الشيء بفم مفتوح وقلب منهك ينبض بصعوبة بالغة!!!.. شيء يبدو بشري الهيئة يقف عند عتبة باب غرفتي!!!!.. لكن وجهه.. لا يوصف.. لا يوصف.. بل ولا أعرف كيف أصفه لكم.. كان يبدو وكأن الأسنان كلها ظاهرة دون أن يغطيها الفم!!!.. ولون الوجه بني تظهر عروقه بوضوح شديد!!.. أو هذا ما بدا لي على الأقل بسبب الظلام الذي يخيم على معظم زوايا البيت!!..

كل مشاعر الرعب التي وصفتها لكم تجسدت في لحظة واحدة!!!.. لحظة واحدة فقط.. قبل أن أتخذ رد فعل لم أتصور أبدا أنه سيصدر مني.. لم أعرف يوما أنني أمتلك تلك الشجاعة.. فقد هجمت على ذلك (المخلوق) بسرعة.. و.. غرست السكين في معدته بكل قوتي.. ليصرخ بألم هائل ويقع على الأرض والدماء تفور من معدته.. عندها فقط رحت كالمجنون أضيء كل أنوار البيت.. وليتني لم أفعل!!.. لأنني كدت أن أتقيأ بسبب بشاعة هذا (المخلوق)!!.. من هو؟!.. أو الأصح أن نقول: (ما هو)؟!.. كان عاريا تماما وجسده مشوه بالكامل.. لكن هيئته تبدو بشرية تماما سوى تلك التشوهات الرهيبة كما وصفتها لكم!!.

قطع حبل أفكاري تأوهات المخلوق الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.. ثم.. كأنني.. كأنني سمعته يردد:

- لا فائدة.. لا فائدة!!.

همدت حركته بعد ذلك وتوقفت أنفاسه تماما.. عندها فقط وضعت كفي على رأسي!!.. ورحت أتنفس بقوة شاعرا بأنني سأفقد الوعي.. لكني تمالكت نفسي وهرعت إلى الهاتف لأطلب الشرطة.. و.. لن أطيل عليكم بإجراءات الشرطة المعتادة بعد وصولهم إلى منزلي.. فلم يكن هناك ما يستحق الذكر سوى الاشمئزاز والاستغراب الهائل الذي علا وجوه الجميع وهم يرون ذلك المخلوق البشري - إن صح التعبير - صريعا!!..

ورغم ما حدث.. إلا أنني لم أنس أن أطلب من رجال الشرطة بصرامة وحزم:

- أرجوكم.. لا أريد تلك القصة أن تصل إلى وسائل الإعلام!!.. لا أريد أي إساءة لسمعة عائلتنا..

لا يوجد أي سبب غريب لطلبي هذا.. فأنا أنتمي لعائلة ثرية جدا ومعروفة في (الكويت).. وربما قصة كتلك ستسيء إلى سمعتنا..

على كل حال.. سيعود والدي مع باقي أفراد الأسرة من السفر بعد أسبوع.. سأخبره بالتفاصيل وسيعرف كيف يتابع القضية مع رجال الشرطة..

بالطبع لم تنتهي القصة عند هذا الحد.. إذ ظلت التساؤلات تلتهم عقلي طوال الأيام التالية وتقتلني فضولا!!.. من هو هذا الدخيل الغامض؟!.. وكيف تشوه وجهه إلى هذا الحد المخيف.. وما سر تلك الضجة والدوي الهائل الذي سبق رؤيتي له؟!.. ولماذا ارتج البيت بالكامل جراء هذا؟!.. ثم لماذا اقتحم منزلي؟؟!!.. ولو كان قد دخل بقصد السرقة.. فلماذا لم يكن يحمل سلاحا؟!.. لا أعرف.. سيل من الأسئلة التي لم أجد لها جوابا على الإطلاق.. حتى بعد عودة جميع أفراد العائلة من السفر.. ومعرفة والدي بما حدث.. إذ ظلت القضية لغز مبهم عجز رجال الشرطة عن كشف لثامه!!.

ومع مرور الوقت.. حصلت على هدية الأيام التي لا تقدر بثمن.. النسيان!!.. حيث أصبحت تلك الحادثة ببشاعتها

وغموضها مجرد ذكرى مريرة غرقت شيئا فشيئا وسط ساعات الدراسة وانشغالاتي الأخرى.. فشعرت أن حياتي تعود إلى الوتيرة المعتادة.

وبالفعل.. تخرجت أخيرا من المرحلة الثانوية وحصلت على تقدير امتياز مع مرتبة الشرف.. مما أهلني للحصول على بعثة دراسية إلى (الولايات المتحدة الأمريكية).. لأسافر إليها أخيرا وإلى عالم جديد بسلبياته وإيجابياته..

لن أطيل عليكم في وصف الثلاث سنوات الأولى من أيام الدراسة الجميلة.. فلا يوجد فيها ما يهمكم.. أما في السنة الرابعة وقبل التخرج بشهور قليلة.. انهارت حياتي فجأة!!!.. وتوقف الزمن بالنسبة لي!!!.. حيث كنت في مختبر الكيمياء في الكلية مع زملائي الطلبة من أجل الإعداد لمشروع التخرج.. عندما أخطأ أحد الطلبة خطأ فادحا في بعض المعادلات الكيميائية.. ليحدث انفجار مروع في المختبر أطاح بجميع زملائي الطلبة تقريبا وأودى بحياتهم!!!!.. من تبقى على قيد الحياة؟!.. إنه أنا بالطبع!!!.. مع زميل آخر توفي في غرفة العناية المركزة.. لقد نجوت بمعجزة حقيقية.. إلا أن نجاتي لم تكن مفرحة كثيرا.. فقد وقعت في غيبوبة طويلة الأمد عرفت فيما بعد أنها استمرت أكثر من ثلاثة شهور.. قبل أن أستيقظ أخيرا وأجد أمامي والدي وعلى وجهه علامات الوجوم.. ووالدتي بجانبه تبكي بحرقة وتنتحب!!!!.. لأعرف بعدها الحقيقة المروعة!!.. نعم.. تشوه كامل ونادر جدا من نوعه!!.. هذا ما قاله لي الطبيب بأسف شديد!!.

لم أكترث لنظرات الأسى بعيون الجميع.. بل طالبتهم بمرآة.. صرخت بالجميع أن يأتوني بمرآة لأرى ما حل بي!!.. لكن والدي قال بقلق:

- ولكن يا ولدي.. ربما يجب أن تتريث قـ..

صرخت بوهن:

- أريد أن أرى نفسي في مرآة الآن.. الآن.. الآن.. الآن.. الآن!!!..

رحت أكرر الكلمة بإصرار وأنا أحاول أن أنهض من مكاني رغم الآلام الحادة التي كانت تسيطر على كل ذرة من جسدي.. و.. أخرس الطبيب الجميع بإعطائي مرآة صغيرة كان يمسكها بيده.. أخذتها منه بوهن.. ونظرت إلى نفسي سريعا.. و.. و.. و.. ماذا أقول؟!.. كيف أصف هذا الوجه البشع؟!.. هل هذا ما حل بي؟!.. يا إلهي.. لقد تشوه وجهي بالكامل إلى حد مخيف.. إنني.. إنني لا أطيق النظر إلى نفسي.. فكيف هو شعور من يرونني الآن؟؟!!.. مهلا.. مهلا.. وجهي المشوه!!!.. إنه.. إنه يعود بي إلى ذكرى مريرة.. ذكرى بشعة.. لا تسعفني الذاكرة كثيرا.. ولكن وجهي يبدو شبيها لوجه ذلك الزائر البشع الذي اقتحم منزلي منذ عدة أعوام!!!.. لم أكن أعرف سر هذا التشابه الكبير.. ظننتها صدفة في البداية.. لكن الأيام أجابت لي على تساؤلاتي تلك!!.

فبعد ثمان سنوات قضيتها مختبئا عن الجميع بسبب بشاعتي وبعد أن تحطمت حياتي تماما وأوقفت قيدي في

الكلية.. بعد سنوات طويلة لم أفعل فيها شيئا سوى قضاء أكثر من 15 ساعات يوميا أبحر فيها في عالم الانترنت أبحث عن علاج لحالتي مع إرسال عشرات الرسائل الإلكترونية إلى المستشفيات والمختصين في كل أنحاء العالم لعل أحدهم يجد حلا لمشكلتي.. وصلني بريد إلكتروني من شخص مجهول يدّعي.. يدّعي أنه يمتلك آلة زمن!!!.. نعم.. لا مزاح في الأمر.. كان يدّعي أنه قام بصنع آلة زمن قادرة على نقلي إلى الماضي لتفادي ما حدث!!!.. لو سمعت هذا الكلام قبل تعرضي لذلك الحادث المشئوم لما صدقت حرفا.. ولسخرت من صاحبه واتهمته بالنصب.. ولكن.. بما أن الغريق يبحث عن أي أمل ويتمسك بحبل الهواء كما يقال.. فقد تواصلت مع مرسل تلك الرسالة الإلكترونية.. واتضح لي أنه عالم روسي يعرف ما يتحدث عنه بالفعل.. بعد أن شرح لي بالتفاصيل الدقيقة كيفية صناعته لتلك الآلة*.. يقول أنه سيعلن للمسئولين في بلده فيما بعد عن اختراعه هذا.. لأنه يريد الاستفادة المادية أولا قبل تسليم اختراعه إلى الحكومة.. فالمبلغ الذي

* في عام 1997 توصل عالم روسي يدعى (شيرنوبروف) إلى صنع أول آلة زمن حقيقية في التاريخ!! وهي بالطبع آلة بدائية - إن صح التعبير - ليست بالصورة التي شاهدناها في الأفلام أو قرأنا عنها في الكتب، والطريف أن (شيرنوبروف) عندما صنع آلته الزمنية، اعتمد على فكرة تخالف تماما نظرية (أينشتين) الخاصة بالسفر عبر الزمن!! حيث كانت فكرته تعتمد على تغيير كثافة المادة المصنوعة منها آلة الزمن، بحيث تختلف داخل الآلة عنها في خارجها، وقام (شيرنوبروف) بعمل تجربة لآلته الجديدة، فقد وضع ساعة عادية داخل الآلة وبدأ يرصد الزمن في الساعة داخل الآلة ومثيلتها في الخارج، فاكتشف وجود فارق زمني بين الساعتين بلغ 30 ثانية!! وكان هذا يعني أنه وضع قدمه على أول الطريق، طريق السفر عبر الزمن، ولكن المشكلة تكمن في السرية التي أحيطت بها تجاربه، إذ لم يعد المسئولين في الحكومة الروسية يسمحون بنشر أي معلومات حول تلك التجربة التي لا شك وأنها قد تطورت كثيرا في وقتنا الحالي.

سيحصل عليه من المسئولين في بلده لا يساوي نصف المجهود الذي بذله في سبيل صناعة آلة الزمن.. وهذا ما يحدث بالفعل في (روسيا) حيث يحصل العلماء عادة على أجور ورواتب ضعيفة للغاية مقارنة مع العالم الغربي*.. لذا فقد اشترط الحصول على 3 ملايين دولار مع كامل مصاريف نقل الآلة إلى (الكويت) على دفعات.. ومصاريف إقامته بالطبع.. واشترط الحصول على نصف المبلغ قبل أن يبدأ بتفكيك الآلة وإرسال قطعها على دفعات.. ثم يحصل على النصف الآخر في (الكويت) بعد أن يقوم بتركيب الآلة مرة أخرى وتجهيزها للعمل.. من أين لي بالمال؟!.. هل نسيتم أنني من أسرة ثرية جدا؟!.. لقد ذكرت لكم هذا في بداية القصة.. وبالطبع.. لم يفتني أن أسأله السؤال الشهير: لو عدت إلى الماضي.. فهل سأتمكن من تغيير الأحداث؟!.. فأجاب بكل صراحة:

- لا أعرف.. لم يسافر أحد إلى الماضي من قبل.. فلا نعرف إن كان بإمكاننا تغيير أحداثه أم لا.. النظريات تقول أنك لن تستطيع ذلك.. ولكن.. منذ متى كانت النظريات كلها صحيحة؟؟!!.. الأمر يستحق المحاولة.. لا أقول هذا من أجل المال.. فالأمر يستحق المحاولة بالفعل!!.

لم يكن نقل الآلة بالأمر السهل.. نحن نتحدث هنا عن تفكيكها وإرسالها إلى (الكويت) وكأنها قطع لأجهزة كهربائية وفنية.. لقد تطلب الأمر أسابيع طويلة من استقبال الآلة على

* حقيقة.

دفعات حتى لا يثير الأمر شكوك أحد.. فلا أعرف ردود فعل المسئولين حيال هذا الأمر ولا أريد أن أعرف!!..

وبعد ذلك.. وصل العالم الروسي إلى (الكويت) أخيرا على أن يبقى أسبوعا واحدا فقط ليقوم بتركيب الآلة وهو عمل شاق جدا سيتطلب 20 ساعة يوميا من العمل المتواصل طوال أسبوع إقامته في (الكويت) كما أخبرني.. وذلك حتى ينتهي من عمله بسرعة ثم يعود إلى بلده.. فما يفعله غير قانوني في مقاييس القانون الروسي بكل تأكيد!!.. الأمر هنا شبيه بتسريب أسرار عسكرية..

كيف سيتحمل هذا الجهد الجبار في تركيب الآلة؟!.. ولماذا يخاطر بحياته نفسها من أجل كل هذا؟؟!.. إنه بريق المال يا أعزائي.. سأدفع لهذا الرجل ثروة.. خاصة في مقاييس عملة بلده.. ولا داعي أن أذكر لكم أنه شعر بالغثيان من شكلي عندما قابلني لأول مرة.. ولا داعي أيضا أن أحدثكم عن اشمئزازه من النظر إلي.. فهذه أمور مفروغ منها.. المهم أنه بدأ بالعمل في ذلك البيت الذي قمت بتأجيره خصيصا لتركيب الآلة.. وكان بالفعل يعمل بجد وإخلاص شديدين طوال فترة إقامته في (الكويت).. حتى انتهى أخيرا من عمله.. وأصبحت آلة الزمن جاهزة للاستعمال بالفعل.. لم تكن تختلف كثيرا عن تلك التي نراها في أفلام الخيال العلمي.. ولكن.. عندما رأيت الآلة جاهزة للعمل.. اصطدمت بوجهي تفاصيل وأسئلة دقيقة لم أنتبه إليها في بادئ الأمر.. إذ كيف سأتفادى ما حدث إذا

عدت للماضي؟؟!.. كيف سأواجه نفسي في الماضي؟!.. هل سيصدق شخصي (في الماضي) شخصي القادم (من المستقبل)؟!.. أسئلة هامة جدا كما ترون!!!.. أسئلة هامة جدا لدرجة أنها كشفت لي الحقيقة المؤلمة؟!.. فقد اتضح لي كل شيء حين أخبرني العالم الروسي أنني سأصل إلى الماضي دون أن أتمكن من حمل أي جسم مادي معي.. ولا حتى رسالة مكتوبة لتحذير شخصي (في الماضي)!!!.. فالآلة لن تنقل سوى جسدي عاريا تماما!!.. خوفا من أن تمتزج جزيئات جسدي مع جزيئات أي جسم مادي آخر!!!.. إن هذا يذكرني بفيلم (المدمر) (Terminator) الشهير!!!.. ويذكرني بموضوع قرأته عن تجربة علمية غريبة من نوعها*!!..

نعم.. بدأت الصورة تتضح شيئا فشيئا.. الكائن المشوه الذي اقتحم منزلي قبل سنوات وأرعبني شكله.. هو أنا!!!.. لقد حاول شخصي (في المستقبل) تحذيري.. لكني لم أعطه الوقت لذلك وقتلته!!!.. لا شك أن معظمكم قد خمن ذلك عند قراءتكم لأحداث القصة.. فهذه أمور من السهل أن نخمنها في الأفلام والروايات.. أما في الواقع فمستحيل تماما.. إذ لم أتصور

* لقد قام العلماء منذ سنوات قليلة بعمل تجربة غريبة تعتبر نقلة نوعية في مسيرة العلم.. عندما نقلوا صندوق صغير من غرفة إلى أخرى تبعد عنها مسافة ستة أمتار، فقد تفككت جزيئات الصندوق وانتقلت من الغرفة التي حدثت فيها التجربة إلى غرفة أخرى حيث تجمعت الجزيئات مرة أخرى بواسطة أجهزة خاصة.. الأمر الذي بدا شبيها بالسحر.. إلا أن التجربة قد واجهت مشكلة غريبة حيرت العلماء، فعندما تمت تجربة جسم مركب من قطعتين أو أكثر، كانت جزيئات ذلك الجسم تمتزج ببعضها بشكل عشوائي عجيب تمنح الجسم في النهاية شكلا غريبا لا يمكن وصفه!! ولم يعرف العلماء سر ذلك حتى الآن، ولكن هذا لم يثبط من إصرارهم على تجاوز تلك المشكلة، فلازالت التجارب قائمة والمحاولات جارية.

للحظة أن ذلك الزائر المخيف المجهول هو أنا (في المستقبل)!!.. ثم أن القصة لم تنتهي عند هذا الحد بكل تأكيد!!!.. فقد قررت اختيار زمن مختلف لتحذير نفسي.. أذكر أن شخصي (في المستقبل) زارني في ساعة متأخرة من تلك الليلة المشئومة حين قتلته.. حسنا إذا!!!.. سأزور شخصي (في الماضي) في فترة الصباح من يوم آخر هذه المرة.. سأظهر لشخصي (في الماضي) من على مسافة كافية كي أجد الوقت لأحذره قبل أن يراني ويصاب بالرعب من هيئتي كما حدث في المرة الأولى.. يجب أن أختار زمنا كان فيه جميع أفراد الأسرة غير متواجدين في البيت سوى شخصي (في الماضي)!!!.. يا له من كلام شديد التعقيد..

هكذا هي الأمور حين نتحدث عن السفر عبر الزمن.. أتمنى ألا تكونوا قد أضعتم الطريق في متابعتكم لهذه القصة العجيبة!!..

دخلت آلة الزمن أخيرا بعد أن دفعت للعالم الروسي باقي المال ومهدت له سبيل العودة إلى بلده.. وقد عرفت منه أن الآلة ستعمل من خلال تفكيك جزيئات جسدي ونقلي إلى الماضي.. وسيسبق ظهوري في الماضي وتجمع جزيئات جسدي فرقعة قوية جدا ستهز البيت هزا.. لهذا ارتج البيت بأكمله قبل سنوات حين ظهر شخصي (في المستقبل) دون أن أعلم أن الزائر هو أنا كما علمتم!!!..

أقفلت على نفسي باب الآلة التي كانت بحجم صندوق كبير

الحجم نسبيا.. ورحت أحدد إحداثيات منزلي ـ بعد أن عثرت عليها من خلال الانترنت ـ كي تنقلني الآلة إلى منزلي تحديدا.. وأردت اختيار سنة محددة ووقت مختلف عن المرة الأولى.. ولكن!!!.. هنا اتضحت لي الحقيقة كاملة.. كاملة.. اتضحت لي الحقيقة فجأة.. هذا رهيب.. رهيب.. رهيب.. لقد حاولت أن أضبط الزمن لزيارة شخصي (في الماضي) في وقت مختلف عن المرة الأولى.. لكني وجدت نفسي عاجزا عن ذلك!!!!.. لماذا؟؟!!.. الجواب سهل جدا ومعقد جدا في نفس الوقت: لا أستطيع حتى وإن أردت ذلك!!!!.. صدقوني لا أستطيع.. فلا أعرف كيف أصف لكم تلك القوة الغريبة التي سيطرت علي!!!.. كنت مجبرا مدفوعا بواسطة قوة مجهولة سلبت إرادتي وأرغمتني على اختيار نفس الزمن الذي اختاره شخصي (في المستقبل) في المرة الأولى!!!!..

وبدأت أفهم شيئا فشيئا!!! .. سيحدث ما حدث في المرة الأولى.. سأتعرض للقتل على يد شخصي (في الماضي) مرة أخرى.. لا يمكن تغيير عجلة الزمن.. لا يمكن!!!!.. وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد.. بل ستتكرر الأحداث مرة أخرى وأخرى.. وأخرى!!!.. كيف؟!.. ستفهمون قصدي جيدا.. فقط تابعوا معي!!..

بدأت الآلة بالعمل.. فشعرت بدغدغة غريبة سيطرت على كل جسدي قبل أن تحيط بي هالة غريبة اللون!!!.. لأسمع بعدها دويا هائلا وأجد نفسي فجأة متجسدا في مكان

مكشوف!!!.. إنه.. إنه سطح بيتنا!!!!.. نزلت من السطح.. ووجدت نفسي مدفوعا بواسطة تلك القوة المجهولة التي سيطرت على عقلي وجعلتني أنزل بهدوء مهيب إلى غرفتي.. أحاول أن أتصرف بصورة مختلفة عما فعلته في المرة الأولى.. لكني عجزت تماما.. أحاول وأحاول.. لكن لا فائدة.. وكأنني مسير بـ (الريموت كنترول)!!!.

توجهت إلى غرفتي.. و.. قبل أن أنطق بحرف.. وجدت شخصي (في الماضي) ينظر إلي بذهول.. كدت أن أتحدث!!!.. كدت أن أخبره وأحذره.. لكني لم أفعل.. فقد شعرت بنشوة قوية وأصبت بذهول لحظي وأنا أرى هيئتي في الماضي سليمة تماما دون تشوهات!!!.. لا تنسوا أنني لم أرى وجهي سليما منذ سنوات!!!.. فكان شعورا لذيذا لا يوصف.. لم يدم هذا الشعور سوى لحظات قليلة جدا.. قبل أن يغرس شخصي (في الماضي) سكينا حادا في معدتي.. فوقعت على الأرض متألما وشعرت بالدماء تفور من جسدي.. وأنا أردد:

ـ لا فائدة.. لا فائدة..

نعم.. كل شيء يتكرر!!!!.. كل شيء!!!!!.. وكأنه شريط فيديو نقوم بإعادته مرة وأخرى.. وأخرى.. لقد قتل شخصي (في الماضي) شخصي (في المستقبل).. وسيعيش شخصي (في الماضي) حياته ويتعرض للاحتراق.. ثم سيعثر على ذلك العالم الروسي ويستخدم آلة الزمن ليعود إلى الماضي ويتعرض للقتل على يد شخصه في الماضي مرة أخرى!!!!!.. هل فهمتم شيئا؟!.. هل فهمتم هذا التعقيد؟!!..

الأحداث تتكرر مرة أخرى وأخرى.. وسأظل أدور في تلك الدائرة طوال العمر!!!!.. والواقع أن كلمة (طوال العمر) ليست دقيقة هنا.. فالأصح أن نقول: طوال الزمن.. وحتى قيام الساعة!!!!.. أي عذاب هذا؟!.. أي جحيم هذا؟؟!.. ليتني أستطيع الانتحار.. ليتني أستطيع الانتحار.. لكني أعجز عن ذلك بالطبع.. تلك القوة المجهولة تسيطر علي وتجبرني على فعل كل ما فعلته في الماضي!!!!.. ستتوقف حياتي كل مرة عندما أستخدم آلة الزمن وأعود إلى الماضي ثم أتعرض للقتل على يد نفسي!!!!.. ستتكرر الأحداث إلى الأبد!!!!.. هذه دائرة الزمن التي تحدث عنها (آينشتين).. فعندما سأله أحدهم ذلك السؤال الشهير: متى بدأ الزمن؟!.. رد قائلا أن الزمن لا يبدأ ولا ينتهي!!!.. بل يدور في حلقة دائمة بلا بداية أو نهاية*!!!!.. لم يفهم أحد ما كان يعنيه في حينها.. لكني الآن فهمت.. ربما أكون الوحيد في العالم الذي فهم النظرية تماما!!!.. فالأحداث تعيد نفسها إلى الأبد.. لهذا تنتشر مقولة: التاريخ يعيد نفسه!!.. هذه المقولة التي يفهمها الناس ظاهريا ولا يعرفون مدى دقتها!!!.. سأعيش دورة حياة مكررة تستمر إلى الأبد بهذه الصورة!!!.. إذ سأصاب في الماضي بهذه التشوهات.. وسأبحث في الانترنت عن علاج لحالتي.. وسألتقي بعالم روسي يمتلك آلة زمن.. وسأكرر كل شيء مدفوعا بتلك القوة الرهيبة التي تسيطر على عقلي!!!.. وفي كل مرة سيقتل شخصي (في الماضي) شخصي (في المستقبل)!!!..

* هذا ما قاله (آينشتين) بالفعل.

سأظل أدور في تلك الدائرة مدى الحياة!!!.. في كل مرة ستمر السنوات لأفعل نفس الأخطاء.. وأحترق في ذات المختبر.. ثم أعود إلى الماضي لأقتل على يد نفسي!!!..

يدور هذا الكلام في ذهني وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة بعد أن طعنت على يد شخصي (في الماضي).. شخصي الذي سيعيش نفس الحياة التي عشتها ويموت بنفس الطريقة مرة أخرى وأخرى!!!.. قصة معقدة جدا كما ترون.. أرجوكم اقرؤوها مرة أخرى.. فجميع قصص السفر عبر الزمن بهذا التعقيد.. خاصة مع الذين انتقلوا إلى الماضي دون أن يعرفوا أنهم سيدورون بعدها في دائرة لن تتوقف فيها الأحداث أبدا.. دائرة الزمن!!..

لقطات..

من الأزمان الغابرة

لا شك أن جميع زملائي في المرحلة الثانوية يتذكرون (محمد).. ذلك الطالب غريب الأطوار الذي كان مادة دسمة للسخرية والمزاح من جميع الطلبة في المدرسة!!.. فقط لأنه يختلف عن الجميع.. والناس تخشى كل شيء مختلف!!.. هذه هي طبيعة الإنسان!!.

لماذا كان (محمد) مختلفا؟!.. لأنه كان يبدو كالمجانين!!.. ثيابه رثة وكأنها ثياب متسول.. شعره منكوش.. يرتدي نظارة سميكة جدا لا تتناسب مع سنه.. أظافره غير مقلمة مليئة بالخطوط السوداء.. وكأنه يتقاضى راتبا ليكون أقذر تلاميذ المدرسة!!!.. ولكن رغم ذلك.. ورغم سخرية الجميع المتواصلة منه.. إلا أنه كان متفوقا إلى درجة مخيفة.. مخيفة جدا!!!.. فكم مرة أحرج فيها مدرس الفيزياء ومدرس الأحياء في إجاباته على أسئلة عجزوا أنفسهم عن الإجابة عليها!!!.. وكم مرة أحرج مدرس اللغة الإنجليزية بسبب الرصيد الهائل من المصطلحات الإنجليزية الذي يمتلكه!!.. حقيقة كان (محمد) نابغة.. يقرأ طوال الوقت.. حتى في أوقات الفراغ في المدرسة.. ويمتلك عقلية جبارة يتذكر من خلالها كل شيء يقرأه.. ولا أنسى بكل تأكيد مثله الأعلى.. العالم العظيم (آينشتين)!!!.. ربما لهذا كان شعره منكوشا دائما.. تيمنا بـ (آينشتين)!!.

لقد كان لـ (محمد) صديق واحد فقط أيام الدراسة.. أنا!!.. نعم.. كنت الوحيد الذي يسأل عنه ويقف إلى جانبه.. الوحيد الذي يزوره أحيانا في منزله المتهالك في منطقة (بيان).. حتى

عرفت عنه كل شيء تقريبا.. عرفت أن والده توفي منذ سنوات قليلة وهو مثقل بالديون.. فتحملت والدته المسئولية وأصبحت تعيل (محمد) مع أخوته الخمسة!!.. ربما هذا يفسر ثيابه الرثة ومظهره المزري!!!.

كنت أشعر بالأسف الشديد تجاهه وبالشفقة على حاله.. لكنه بكل تأكيد لم يكن بحاجة إلى شفقة أحد.. بل وعلى العكس تماما.. إذ لم يكن يكترث إطلاقا للإهانات المتواصلة من زملائنا في المدرسة.. بل كان هدفه هو التخرج من المرحلة الثانوية بتفوق.. ومن ثم الحصول على بعثة دراسية في (الولايات المتحدة الأمريكية)..

وبالفعل.. فقد مرت الأيام والشهور.. وتخرجنا أخيرا من المرحلة الثانوية.. ليحقق بعدها حلمه ويسافر إلى (الولايات المتحدة الأمريكية).. فانقطعت أخباره تماما منذ ذلك الحين.. ونسيت كل ما يتعلق بأمره.. خاصة بعد التحاقي بكلية الهندسة في (الكويت) ودخولي الحرم الجامعي الذي أنساني شيئا فشيئا مراحل الدراسة السابقة وكل ما يتعلق بها.. بما في ذلك.. زملاء الدراسة!!.

مرت سنوات طويلة لا يوجد فيها ما يستحق الذكر.. إلى أن شاءت الظروف أن ألتقي بـ(محمد) بعد أكثر من أربعين عاما!!.. تخيلوا هذا!!.. عندما أصبحت في الستين من العمر.. وبعد أن تزوجت وأنجبت.. بل وبعد أن أصبح لي أحفادا!!.. كيف التقيت به؟؟!.. كان هذا أثناء تواجدي مع زوجتي في مجمع (الأفنيوز)

التجاري.. عندما سمعت من يناديني بصوت يشوبه بعض الخجل.. التفت إلى الوراء.. وإذا برجل حليق الوجه يرتدي نظارة أنيقة ويبدو في مثل سني تقريبا.. ليقول بلهفة:

ـ لا أصدق أنه أنت.. بعد كل هذه السنوات!!!..

نظرت إليه باستغراب.. ثم هززت رأسي بحرج لأقول:

ـ أعتقد أنك مخطيء يا أخي.. أنا لا أعرفك..

ضحك في تهالك وهو يكح.. ويقول:

ـ من المؤكد أنك لا تذكر ملامحي.. إنه أنا.. (محمد).. زميلك في مرحلة الثانوية.. الطالب الفقير غريب الأطوار!!.. هل تذكرني الآن؟!..

هل.. هل هذا معقول؟!.. و:

ـ أهلاااااااااااااااان..

تعرفون تلك اللحظات الحميمة.. احتضان.. وقبلات.. ووعود وقسم.. لقد تغير (محمد) كثيرا دون شك.. ويستحيل أن أعرفه لو لم يعرفني بنفسه!!!.. عرّفته بزوجتي فألقى عليها تحية يشوبها بعض الخجل.. قبل أن أسأله باستغراب:

ـ كيف عرفتني؟!..

رد بابتسامة عريضة:

ـ لدي ذاكرة حديدية لم تصدأ أبدا رغم مرور السنوات.. هل تنكر هذا؟!..

قلت له مبتسما:

ـ بالطبع لا.. لا زلت أذكر تفوقك الدراسي ونبوغك.. أين وصلت في حياتك؟!..

رد بفخر:

ـ بعد تخرجي من المرحلة الثانوية.. حصلت على بعثة دراسية في (الولايات المتحدة الأمريكية).. وقد تخرجت من هناك بامتياز مع مرتبة الشرف.. ثم حصلت على بعثة دراسية أخرى من إحدى الجامعات الأمريكية.. فحصلت أيضا على الماجستير والدكتوراه في تخصص الجيولوجيا.. لقد قضيت ثلاثون عاما من عمري في (الولايات المتحدة الأمريكية).. قبل أن أقرر العودة إلى (الكويت) أخيرا..

قلت له وأنا أضحك:

ـ لم تتغير إذا.. لا زلت عاشقا للعلم.. ولا شيء سواه.. ماذا عن وضع عائلتك المادي؟!..

رد ممتعضا وكأنه يستعيد ذكرى مريرة:

ـ أيام مضت وانتهت بفضل الله.. فقد تغيرت حياتنا تماما.. وكل من أخوتي يعيش حياته المستقلة الآن.. أما والدتي فتوفيت منذ سنوات طويلة!!!.

كان هذا أول لقاء لنا بعد كل تلك السنوات.. وبالطبع تبادلنا أرقام هواتفنا على أن نلتقي فيما بعد.. وإن كنت عالما أننا لن نتواصل.. فلكل منا حياته الخاصة وارتباطاته الآن.. لكني كنت مخطئا دون شك.. كنت مخطئا تماما في ظني هذا!!!!.

هناك مقولة شهيرة نرددها دائما: حقا أن (الكويت) صغيرة!!.. هذه المقولة نرددها عندما تكتشف فجأة أن زوج شقيقتك هو ابن عم أعز أصدقائك!!.. أو عندما تكتشف بالصدفة أن والد صديقك.. هو في الحقيقة صديق حميم جدا لوالدك أيضا!!.. هذه الأمور تحدث طوال الوقت في (الكويت).. فتجدنا نردد جميعا تلك المقولة مرارا: حقا أن هذا البلد صغير!!..

لماذا هذه المقدمة الطويلة؟!.. لأن شقيقي الطبيب النفسي كان يتحدث إلي في ذلك اليوم وبعد لقائي بـ (محمد) ببضعة شهور.. فأخبرني أن مستشفى الطب النفسي قد استقبل مريضا جديدا هو بكل تأكيد أغرب المرضى الموجودين في المستشفى على الإطلاق!!.. يقول شقيقي أن هذا المريض يحمل شهادة الدكتوراه في الجيولوجيا!!.. وأنه قضى معظم حياته في (الولايات المتحدة الأمريكية)!!!..

بالطبع لم أكن بحاجة إلى الكثير من الذكاء لأعرف من هو المريض.. فسألت شقيقي بحذر يشوبه استغراب واضح:

ـ هل هو الدكتور (محمد الـ...)..

رد شقيقي مندهشا:

ـ هو بالفعل!!.. كيف عرفت اسمه؟؟!.

قلت مذهولا:

ـ إنه زميل دراسة قديم شديد الذكاء والنبوغ.. ولكن.. ماذا جرى له؟!.. ما الذي أوصله إلى مستشفى الطب النفسي؟؟!..

رد شقيقي بأسف:

ـ كما يقال دائما.. بين العبقرية والجنون شعره!!.. يبدو أن صديقك هذا قد فقد عقله بالفعل.. إذ يدعي أنه وجد صور فوتوغرافية حقيقية لديناصورات!!!!!.. وصور أخرى حقيقية للحياة على كوكب الأرض منذ ملايين السنين!!!.. بل ويدّعي أنه شاهد تلك الصور من خلال المجهر!!!!!.. لقد التقى بالعديد من المسئولين.. واتصل بأحد زملائه في (الولايات المتحدة الأمريكية) ليأتي ويشاهد هذا الاكتشاف العظيم بنفسه حتى لا يتهمه أحد بفبركة الصور لو بعثها عبر البريد الإلكتروني!!.. وفي النهاية.. اتضح أن هذه الصور غير موجودة سوى في خياله!!.. فراح يتهم الجميع بالكذب.. ويقسم أنه يرى تلك الصور بالفعل عبر المجهر!!!..

مططت شفتي كناية عن عدم الفهم.. ثم سألته باستغراب:

ـ لا أفهم!!.. كيف يرى صور لديناصورات من خلال المجهر؟؟!!..

قال شقيقي وهو يمط شفتيه:

ـ يدّعي الدكتور (محمد) أنه اكتشف طريقة لمشاهدة صور كاملة لماضي كوكب الأرض السحيق!!!.. يقول أن بعض الصخور تصور أحداثا عاصرتها من خلال الكريستالات المتواجدة فيها!!!.. فإذا تعرضت تلك الصخور لنور قوي جدا.. فمن الممكن أن تنعكس على كريستالاتها صور الأشياء المحيطة

بها وتظل مطبوعة عليها.. تماما كما يحدث لأفلام التصوير!!.. ويقول الدكتور (محمد) أن بعض الصخور في الأزمان الغابرة كانت تتعرض لنور قوي جدا أحيانا كثيرة بسبب تفجر البراكين وارتطام النيازك بالأرض في فترات متقاربة.. وبسبب هذا النور.. تنطبع على كريستالات بعض الصخور صور لكل ما يحيط بها من جبال وغابات و.. ديناصورات!!.. أي أنه ـ باختصار شديد ـ يدعي أن الطبيعة تلتقط صورا لنفسها!!!!!!.. نظرية طريفة كما ترى.. لكن لا يوجد إثبات على كلامه كما أخبرتك!!.. بل لقد قام المسكين بطباعة تلك الصور المزعومة عن طريق آلة طابعة تم إيصالها إلى المجهر.. لكن لم يظهر أي شيء.. لم يظهر سوى صور عادية مجهريه دقيقة للكريستالات المتواجدة داخل الصخور بطبيعة الحال!!.. فحاول وضع عينة الكريستال تحت مجهر آخر.. وآخر.. لكن دون جدوى!!.. لم يظهر شيء مما يقول!!..

راح بعدها يتهم الجميع بأنهم يحيكون مؤامرة ضده.. عقدة البارانويا في أعلى صورها كما ترى!!.. عندها اقترح أحد أشقاءه أن يتم عرضه على طبيب نفسي.. وكان هذا الطبيب النفسي هو أنا!!!.. فطلبت بقائه في المستشفى لبضعة أسابيع.. وهذا ما حدث!!.

انتهى شقيقي من كلامه.. ولم ينتبه استغرابي!!!.. هل.. هل حقا بين الجنون والعبقرية شعرة دقيقة كما يقولون؟؟!!.. هل جن الدكتور (محمد) بالفعل؟!.. بصراحة أجد قصته محبوكة

بشكل رائع ومن الصعب اختلاقها.. إنني أعرف شخصيته جيدا ولا أعتقد أنها تغيرت بعد كل تلك السنين.. خاصة عندما التقيت به مؤخرا.. هناك شيء يحتاج إلى توضيح أكثر في تلك القصة.. يجب.. يجب أن ألتقي بالدكتور (محمد) بنفسي.. و.. وجدت نفسي أسأل شقيقي بغموض:

ـ هل هناك مجالا لزيارته؟!..

رد باستغراب:

ـ بالطبع.. نحن لا نتحدث عن مجنون يقتل الناس.. إنه منكسرا تماما.. ولا زال يظن أننا نخدعه!!..

في صباح اليوم التالي.. كنت في مستشفى الطب النفسي بالفعل.. عندما رأيت الدكتور (محمد) منهارا ينظر إلى أبعاد أخرى.. وقد نمت لحيته وأهمل مظهره حتى ذكرني بشكله في أيام الدراسة!!!.. ما أن رآني.. حتى احتضنني بقوة.. و:

ـ هناك شيء لا أفهمه.. أقسم لك أنني رأيت صورا لديناصورات حقيقية خلال المجهر.. وصورا أخرى للجبال والغابات والنباتات الموجودة على كوكب الأرض في تلك الحقبة من التاريخ!!.. نحن نستطيع بهذا الاكتشاف أن نوثق تاريخ كوكبنا بالكامل وبالصور.. من خلال بعض الصخور الأثرية.. لقد اكتشفت أن الطبيعة تلتقط صورا لنفسها متى ما توفرت إضاءة قوية!!.. إنه أعظم اكتشاف في التاريخ.. سنعرف كل شيء عن تاريخ كوكب الأرض!!.. سنعرف كل...

قاطعته بإشفاق وأنا أربت على كتفه:

ـ أعرف.. أعرف.. لقد أخبرني شقيقي بكل شيء!!.. ولكن.. لماذا تستطيع أنت فقط رؤية تلك الصور من خلال المجهر؟!.. لم يشاهد أحد شيئا مما تقوله!!.. وعندما أوصلت المجهر بآلة طابعة وقمت بطباعة الصور.. لم تجد شيئا.. أليس كذلك؟!.. ألا تظن أنك واهم مثلا؟!.. كل الدلائل تقول هذا.. جميع الصور التي قمت بطباعتها لم تظهر سوى تكوين مجهري لكريستالات الصخور!!.. هل لك أن تفسر لي كيف رأيت تلك الصور من خلال المجهر.. وعندما قمت بطباعتها لم يظهر شيء مما تقول؟؟!..

هز رأسه بمعنى أنه عاجز عن تفسير ما يحدث!!.. و.. لم أجد ما يقال سوى أنني تمنيت له الخروج من هذا المكان في أقرب وقت ووعدته بزيارة لاحقة قريبا.. دون أن أعلم أن هذه هي المرة الأخيرة التي سأراه فيها!!!!.. فبعدها بيومين تقريبا أبلغني شقيقي أن الدكتور (محمد) انتحر بعد أن رأى أن حياته قد انتهت تماما بسبب إيداعه في مستشفى الأمراض العقلية.. خاصة وأنه نفسه بدأ يشك في قدراته العقلية!!!..

لا يمكن أن أصف لكم مدى الحزن الذي سيطر علي.. لم أبك في حياتي على رحيل أحد.. لكني هذه المرة فوجئت بدموعي تنهمر!!!.. بكيت كثيرا على نهاية حياة هذا الرجل بتلك الصورة المؤلمة!!!.. وظننت أن القصة انتهت بهذه الصورة الحزينة.. لكن تبين أنني مخطيء في ظني هذا.. عندما أخبرني أخي أن الدكتور (محمد) قد أوصى لي قبل انتحاره المفاجيء بكل ما يملكه في المختبر من معدات!!!.. لماذا؟!.. لا أعلم.. إنه

لغز لازلت عاجزا عن فهمه!!.. ربما لأنني قمت بزيارته في المستشفى وشعر بتعاطفي معه.. ربما لأنه وجد في عيني الرغبة في مساعدته.. صدقوني لا أعلم.. ماذا سأفعل بهذه المعدات؟!.. لا أعلم أيضا!!.. المهم أنها كانت لحظات حزينة.. حزينة بحق!!.

بعدها ببضعة أيام ذهبت إلى بيته تنفيذا لوصيته.. و.. كان المختبر يدل حقا على عشق هذا الرجل للعلم.. وللجيولوجيا تحديدا!!!.. عشرات العينات من الصخور الأثرية التي تنتمي إلى الأزمان الغابرة كما يقول.. وأوراق عديدة موجودة على مكتبه.. لم يكن هناك ما يثير الاهتمام.. نظرة سريعة على الأوراق.. إنها مجرد ملاحظات علمية لم أفهم منها حرفا.. ثم.. لا أعلم لماذا نظرت عبر المجهر!!.. ربما.. ربما بسبب وجود تلك الشريحة التي تحوي عينة دقيقة من الكريستال.. ربما هذا ما أثار فضولي.. نظرت عبر المجهر.. ولم أصدق في البداية ما وقعت عليه عيني!!!!.. ثم.. هل ما أراه حقيقي؟!.. إنها صورة.. صورة واضحة إلى حد ما لـ.. لديناصورات تحيط بها بعض الأشجار الغريبة التي لم أرى مثلها في حياتي!!!!!!.. لا مزاح في الأمر!!!.. هذا ما رأيته عبر المجهر!!.. بدلت العينة بعينة أثرية أخرى من مجموعة الدكتور.. ونظرت.. وإذا بصورة أخرى لديناصور في وضعية توحي بأنه كان يتحرك لحظة التقاط الصورة!!!.. دعك من أن خلفيات الصورة كانت عبارة عن براكين وأشجار عملاقة غريبة!!.. قد يتهمني أحدكم بالجنون!!!.. لكني أقسم لكم أن

هذه الصور حقيقية وقد ظهرت لي في المجهر!!!.. نعم.. كل شيء فيها يبدو حقيقي تماما.. هل.. هل اكتشاف الدكتور حقيقي؟؟!!.. ولكن كيف؟!.. كيف رأيت الصور في حين لم يراها بقية الناس!!.. كيف؟!.. كيف؟!.. لقد أثار الأمر جنوني.. فرحت أفكر وأدور حول نفسي في الغرفة كالمجنون وقلبي يخفق بشدة.. فكرت بسؤال أحد المختصين.. هذا جميل.. ولكن.. من هم هؤلاء المختصين وأين أجدهم؟؟!!!!.. لسنا في بلد يمتلىء بالعلماء حتى أجد واحدا قادر على مساعدتي!!!.. يجب أن أجد الحل بنفسي.. ولكن كيف؟!.. كيف؟!.. خلعت نظارتي لأمسح عيني من فرط الإرهاق.. ثم.. نعم.. نعم.. تذكرت شيئا هاما عندما خلعت النظارة!!!.. لماذا لم يرى تلك الصور سوى الدكتور (محمد) وأنا؟؟!.. لأن هناك قاسم مشترك بيني وبينه.. بالطبع.. نحن الاثنين نرى العالم عبر نظارة!!!!.. هل.. هل النظارة هي السبب؟!.. خلعت النظارة بسرعة.. ونظرت عبر المجهر.. و.. خفق قلبي بقوة.. لا توجد أي صورة!!!!.. هذا يكشف اللغز!!.. اكتشاف الدكتور (محمد) صحيح إذا!!!!.. الطبيعة تلتقط صورا لنفسها بالفعل.. صخور الكريستال الدقيقة تنطبع عليها صور المكان المحيط بها في حالة وجود إضاءة قوية.. تماما كما قال الدكتور!!!!.. لكنك تحتاج إلى نظارة لمشاهدة تلك الصور!!!!.. فالنظارات تعمل كـ(فلتر) للضوء.. نعم.. الإضاءة الموجودة في الغرفة تنعكس على الكريستال وتجعلك عاجزا عن النظر إلى قلب الكريستال بوضوح عبر المجهر!!!.. أما عند ارتداء النظارة..

فإنها تلعب دور الـ (فلتر) للضوء وتسمح لك بالنظر إلى قلب الكريستال بصورة أوضح!!!!.. بهذا الاكتشاف المذهل.. نستطيع أن نكشف الكثير من أسرار تاريخنا الغامض.. ربما نستطيع أن نعرف كيفية انقراض الديناصورات!!!.. تماما كما قال الدكتور.. يا له من اكتشاف.. يا له من اكتشاف.. لقد انتحر المسكين دون أن يعلم أنه توصل إلى أحد أهم اكتشافات الجنس البشري!!..

ومن دون أن أشعر.. انحدرت من عيني دمعة حزينة على نهاية أحداث هذه القصة!!!.. لقد شعرت أن الدكتور (محمد) كان مظلوما إلى حد لا يوصف!!.. و.. جلست أفكر بكيفية تخليد اسمه بعد هذا الاكتشاف العظيم!!!.. فكرت بالسفر إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) لإبلاغ السلطات العلمية بالأمر.. لا شك أن هذا الاكتشاف سيثير اهتمام العلماء إلى أبعد الحدود.

رحت بعدها ألملم بكل عناية ما يملكه الدكتور (محمد) في مكتبه من أوراق وأبحاث وعينات صخور.. عازما على السفر في أقرب فرصة ممكنة إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) لأبلغ أهل الاختصاص عن هذا الاكتشاف العظيم والنقلة الهائلة في رحلة البحث عن أسرار تاريخ كوكب الأرض.. هذا أقل ما يجب فعله من أجل البشرية.. ومن أجل الدكتور (محمد) الذي سيخلد التاريخ اسمه دون شك كونه أول من شاهد لقطات حقيقية لتاريخ كوكبنا.. لقطات.. من الأزمان الغابرة.

جمعية عشاق الغموض

لقد كان لي الشرف أن أكون أحد مؤسسي (جمعية عشاق الغموض) منذ حوالي سنتين مع مجموعة من الأصدقاء لهدف واضح كم يبدو من الاسم.. وهو دراسة الظواهر الغريبة والغامضة في العالم.. ومحاولة الإجابة على السؤال الأزلي: هل توجد مخلوقات عاقلة تعيش على كواكب أخرى في هذا الكون؟!.. أعلم أن هناك عشرات العلماء الذين حاولوا الإجابة على ذلك السؤال دون جدوى!!.. ولكن هذا لا يعني الاستسلام إطلاقا.. كما أن وجود جمعية كتلك لهي فكرة جيدة لتبادل المعلومات بين أعضاءها دون شك.. خاصة وأننا كنا نتحدث في لقاءاتنا عن العديد من الظواهر الغامضة الأخرى أيضا.. كالأشباح وغيرها.

وبالطبع.. لم تعترف بنا الحكومة كجمعية نفع عام.. رغم أن جمعيتنا تعتبر الأولى من نوعها في (الكويت) دون شك وربما في العالم العربي.. وحتى الأثرياء ورجال الأعمال الذين لجأنا إليهم.. سخروا منا وطردونا!!!.. فالحديث عن مثل هذه الجمعيات أمر غير مألوف في مجتمعنا ويراه الكثيرون مجرد عبث وضياع وقت!!!.. لهذا نعمل بدون ميزانية مع الأسف.. ونعتمد بشكل أساسي على تبرعات الأعضاء الذين لا يتجاوز عددهم الخمسين!!..

لقد قمنا باستئجار بيت متهالك في منطقة (كيفان) من أجل اجتماعاتنا ولقاءاتنا.. وقمنا كذلك بملء مكتبة الجمعية بكتبنا الخاصة والمتعلقة بالظواهر الغامضة والغريبة.. حتى تكون مكتبة متكاملة لعشاق الغموض رغم الإمكانيات المادية المتواضعة..

و.. بدأنا العمل بحماس شديد.. إذ كنا نلتقي في اجتماعات دورية وندوات وحلقات نقاشية.. كل منا يروي حكايات سمعها هنا أو هناك أو قرأها في كتب متخصصة عن علوم ما وراء الطبيعة.. وهو ما يفعله عشاق الغموض في أي جمعية في العالم.

وقد تقدمنا خطوة هائلة للأمام عندما تمكنا بإمكانياتنا المتواضعة أن نعد العدة لاستضافة مؤتمر مصغر في فندق (ساس) في (الكويت) حول موضوع الأطباق الطائرة.. نعم.. إنجاز عظيم بالنسبة لمجموعة صغيرة من الشباب الكويتي أليس كذلك؟!!.. حيث وجهنا دعوة للعديد من الجمعيات المهتمة بهذا الأمر والموجودة في جميع أنحاء العالم تقريبا*.. ونشرنا الإعلانات في بعض مواقع الانترنت عن المؤتمر باللغة العربية والإنجليزية.. كان الغرض هو بالتأكيد تبادل المعلومات والخبرات وكسب أصدقاء جدد لهم نفس الهوايات.. و.. بالطبع الربح المادي لتمويل جمعيتنا الصغيرة من خلال الرسوم الرمزية التي ستدفعها الوفود التي وافقت على المشاركة.. ولا تدعوا كلمة (وفود) تخدعكم.. فعددهم لم يتجاوز أصابع اليد الواحدة.. وعدد أعضاء كل وفد لا يتجاوز الخمسة أشخاص في أفضل الأحوال..

كنا نتحدث بحماس أثناء اجتماعنا في مقر الجمعية لوضع

* تنتشر تلك الجمعيات بصورة كبيرة في الدول التالية (الولايات المتحدة الأمريكية ، الأرجنتين، استراليا، بلجيكا، كندا، استونيا، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، هنغاريا، الهند، أيرلندا، إيطاليا، اليابان، مالطا، المكسيك، هولندا، نيوزلندا، النرويج، روسيا، سلوفاكيا، جنوب افريقيا، أسبانيا، السويد، أوكرانيا، وبريطانيا).

التصور الأخير للمؤتمر.. خاصة بعد استقبالنا للوفود في المطار وأخذهم إلى الفندق بالفعل.. مما جعلنا نشعر أننا حققنا إنجازا جبارا وفريدا من نوعه.. فرحنا بعدها نضع الجدول الكامل للمؤتمر الذي سيبدأ في اليوم التالي ويستمر لثلاثة أيام.. كانت السعادة واضحة على ملامح الجميع مسيطرا عليهم شعورا واحدا فقط.. الفخر مما حققناه حتى الآن!!.. الأمر الذي جعل عيناي تدمعان تأثرا دون أي مبالغة..

وأمام هذا الحماس وهذه الفرحة.. اقتحم غرفة الاجتماعات فجأة شخص مجهول يبدو الارتباك واضحا على ملامحه!!!.. كان شابا في منتصف العشرينات من العمر.. كحال معظم أعضاء الجمعية.. في البداية ظنناه أحد زملائنا الأعضاء.. فنحن لا نحفظ جميع وجوه أعضائنا.. خاصة هؤلاء الذين لا يحضرون لقاءاتنا بشكل متواصل.. التفتنا إليه جميعا.. مما زاد ارتباكه.. فتنحنح بحرج.. ثم قال:

ـ أعتذر منكم بشدة.. لكني هنا لموضوع هام جدا.. إنني أحمل سرا خطيرا.. أرجوكم أن تستمعوا إلي..

التفتنا جميعا إلى رئيس الجمعية الذي مط شفتيه باستغراب ثم قال مجاملا:

ـ بالطبع.. تستطيع أن تخبرنا بما تشاء يا أخي العزيز.. هات ما عندك!!..

راح الضيف المجهول ينظر إلى وجوهنا بقلق.. وكأنه يختبر مدى جديتنا في الاستماع إليه.. ثم قال بارتباك شديد:

- لقد فوجئت في البداية عندما عرفت من مواقع الانترنت عن وجود جمعية كهذه في (الكويت).. حيث قرأت إعلانكم عن إقامة المؤتمر ووجدت أنها فرصة رائعة كي أطلب منكم المساعدة.. و.. و..

زفر بقوة وكأنه يخجل من الاسترسال.. لكنه حسم أمره.. وقال بتوتر:

- لن أدخل في أي مقدمات.. سأقول لكم ما عندي.. لقد كشفت وجود مخلوقات فضائية تعيش بيننا على كوكب الأرض!!!.. إنهم هنا منذ عشرات السنين.. ستظنون أنني مجنون أو كاذب.. لكني أقول لكم الحقيقة.. وأستطيع أن أثبت ذلك!!..

خرجت من الجميع تقريبا همهمات الاعتراض بشكل غير لائق والحق يقال.. وكأنهم اعتادوا على تلك الادعاءات والأكاذيب.. فكوننا أعضاء (جمعية عشاق الغموض) لا يعني أننا سنصدق كل شيء!!.. لكني رغم ذلك حاولت أن أحتوي الموقف كي لا يشعر الضيف بالإهانة..

فقلت مبتسما:

- هناك أكثر من 50 مليون حالة مسجلة لمشاهدات الأطباق الطائرة*.. وحده الله يعلم كم عدد الحالات الحقيقية إن وجدت!!.. الكل يكذب.. الكل يزور!!.. الكل يفبرك الصور عبر برامج الكمبيوتر!!.. وحتى الصادقين قد يكونوا مخدوعين..

* إحصائية حقيقية على الرغم من الرقم الذي يبدو وكأنه مبالغ به بشدة!!.

هذا حق يجب الاعتراف به.. نحن لا نتهمك بالكذب يا أخي العزيز.. ولكن.. ربما تكون مخدوعا!!!..

قال الضيف بحنق:

- لست مخدوعا.. ولا أكذب عليكم!!!.. بل صادق في كل كلمة أقولها!!.. والقضية لا تقتصر على مشاهدة جسم في السماء فاعتقدت أنه طبق طائر كما تقول.. بل الأمر أكبر من ذلك بكثير!!!.. لقد كشفت وجود مخلوقات فضائية تعيش بيننا وفي أماكن متفرقة من العالم!!!.. حيث هاجروا إلى كوكب الأرض منذ عشرات السنين لأسباب لم أعرفها حتى الآن.. وهم يتواصلون فيما بينهم بشكل مستمر من خلال وسائل الاتصال المعتادة.. وخاصة شبكة الانترنت!!!.. فقد عثرت بالصدفة البحتة على موقعهم الإلكتروني الذي يحوي أخبار تجمعاتهم وكل ما يتعلق بهم وبحضارتهم!!.. إن موقعهم يحوي كلمة سر شديدة التعقيد حتى لا يخترقه أحد.. لكني تمكنت من الدخول إليه واختراقه بواسطة مهارتي في اختراق المواقع مع شيء من الحظ*!!..

إلا أنهم سرعان ما تداركوا الموقف وعرفوا أن هناك من دخل موقعهم.. فغيروا كل شيء في زمن قياسي وزادوا من قوة أمن الموقع.. حاولت أن أفك شفرتهم الجديدة بعد ذلك وأخترق موقعهم مرة أخرى.. لكني فشلت مع الأسف!!!.

* على سبيل التحذلق أقول أن هناك حادثة حقيقية وقعت في (الولايات المتحدة الأمريكية) منذ بضعة سنوات عندما تمكن طفل لا يتجاوز عمره اثني عشر عاما من اختراق موقع جهاز المخابرات الأمريكية والاطلاع على أسرار عسكرية بالغة الخطورة .. مما أثار تساؤلات لا حصر لها حول استحالة تأمين مواقع الانترنت بشكل كامل من الاختراقات.

سكت قليلا.. ثم أردف بذهول:

ـ لحسن الحظ أنني استخدمت الآلة الطابعة (printer) وتمكنت من طباعة بعض الصفحات المهمة من موقعهم قبل أن يحجبوه مرة أخرى ويغيروا شفرته السرية!!!.. وجميع تلك الصفحات تشير إلى وجود تلك المخلوقات الفضائية بيننا بالفعل.. بالإضافة إلى معلومات كثيرة عن كوكبهم!!.. لا يمكن اختلاق كل هذا بتلك الصورة الدقيقة.. أقولها لكم بكل صراحة.. القصة مريبة جدا.. ولها ما يدعمها!!..

سكت أخيرا.. ورحنا نحدق به جميعا وعلامات الذهول بدأت تغزو ملامحنا.. فسأله رئيس جمعيتنا بشك:

ـ وأين هي الأوراق التي طبعتها من موقعهم؟؟!.. دعنا نطّلع عليها!!..

قال بسرعة:

ـ سآتي بها إليكم غدا في المؤتمر.. المعذرة.. لكني لم أكن أعرف مدى جدية جمعيتكم.. فكان لا بد من لقائكم أولا.. خاصة بعد أن وصلني ذلك التهديد الذي جعل البارانويا تلقي ظلالها على حياتي في الأيام القليلة الماضية.. بل وجعلني أشك في جمعيتكم نفسها من أنها مدسوسة من قبل تلك المخلوقات!!!..

نظرنا إليه بذهول ورحنا نسأله عن ذلك التهديد المزعوم!!!.. فأردف:

ـ لقد وصلني تهديد منهم من خلال البريد الإلكتروني بأنني سأموت قريبا بسبب افتضاحي لأمرهم!!!.. لا تسألوني كيف عرفوا بريدي الإلكتروني.. صدقوني لا أعرف!!!.. المخيف أنهم تمكنوا من الدخول إلى قائمة بريدي الإلكتروني وحذف الرسالة بعد أن قرأتها!!!!.. واضح أن قدراتهم جبارة!!!.. وهذا ما أكد لي صدق كل المعلومات التي كشفتها عنهم!!!.. المهم الآن.. أرجوكم أن تكشفوا الأمر على الجميع في المؤتمر بعد أن أعطيكم الأوراق.. واطلبوا العون من الوفود الأوروبية تحديدا.. فإمكانات هؤلاء القوم هائلة.. وسيجدون من يستمع إليهم في بلدانهم!!.

انتهى من كلامه.. وبالطبع لا داعي لذكر وقع المفاجئة علينا!!!!.. كان أكثرنا غير مصدق لما يحدث.. وهي مفارقة طريفة بالفعل.. متابعي قضايا الأطباق الطائرة لا يصدقون قصة محكمة كهذه!!!!.. ربما لأننا تعودنا دائما على القصص المفبركة.. أو لأننا اعتدنا الحديث عن ظواهر الأطباق الطائرة على أنها حدثت في مكان ما بعيد عنا ولا يمكن أن تحدث بيننا!!!!.. وهذه المفارقة موجودة منذ قديم الزمان.. عندما كان الناس يشيرون دائما إلى حدوث قصص الجن والأشباح في القرى المجاورة.. والقرى المجاورة تشير إلى القرى المجاورة الأخرى على حدوث تلك القصص فيها.. وهكذا!!.

ساد المكان صمت مهيب.. و.. لم يجد الزائر ما يضيفه.. فخرج أخيرا بعد أن وعدنا بأنه سيقوم بتسليم تلك الأوراق لرئيس جمعيتنا غدا صباحا قبل بدء المؤتمر.. وشيئا فشيئا..

نسينا الموضوع.. وبدأنا نتحدث عن جدول وقائع المؤتمر.. إلى أن انتهينا أخيرا في وقت متأخر من الليل.

في اليوم التالي.. في اليوم الموعود.. تواجدت الوفود مع جميع أفراد الجمعية تقريبا ليصل عددنا إلى أكثر من 80 شخص.. فاقمنا لهم في البداية حفل شاي مصغر للتعارف ولتسجيل أسماء الحضور مع عناوينهم حتى يتم التواصل فيما بعد.. كانت الأمور تسير على خير ما يرام.. عندما رن الهاتف النقال.. وهو الهاتف الرسمي للجمعية والذي نبعث من خلاله أخبارنا ومواعيد أنشطتنا إلى الأعضاء.. لقد كان الهاتف بحوزتي بطبيعة الحال كوني المنسق الإعلامي للجمعية.. و:

ـ آلو..

صوت يسأل بتوتر شديد:

ـ هل هذا رقم (جمعية عشاق الغموض)؟!..

ـ نعم.. إنه هو.. تفضل..

قال بعدها بذعر وبصوت مرتجف:

ـ لقد نقلت جميع الأوراق التي أخبرتكم عنها في الأمس إلى جهاز الكمبيوتر من خلال الـ (scanner) وأرسلتها لكم بالبريد الإلكتروني الخاص بالجمعية.. أرجوك أخبر رفاقك بالأمر.. لأنني لا أستطيع المجيء إلى المؤتمر.. فالتهديدات تصلني من كل مكان.. إنني مختبيء الآن في مكان لا أستطيع أن أفصح عنه.. ولا أعرف ما أفعل!!!.. لا أستطيع حتى الذهاب

إلى الشرطة.. لأنني لا أثق بأحد.. التهديدات التي وصلتني كانت تطالب بتسليم كل الأوراق التي لدي وإلا تعرضت للقتل حتى وإن لجأت إلى الشرطة!!!.. لكني أرغب حقا بكشف هؤلاء الأوغاد إن وجدوا.. أرجوك أخبر رفاقك أن يكشفوا الأمر في المؤتمر.. أرجوك.. يجب أن...

سكت بعدها فجأة.. لكني ظللت أسمع صوت أنفاسه اللاهثة!!!.. فشعرت بتوتر شديد.. ورحت أسأله بقلق:

ـ هل أنت بخير؟!.. أجبني بالله عليك!!..

قال هامسا:

ـ انتظر أرجوك.. لقد سمعت صوتا مريبا.. أعتقد أن أحدهم هنا.. يا إلهي.. ربما وصلوا إلي لينفذوا تهديدهم بقتلي.. إنني.. إنني..

لم يكمل جملته.. بل سمعته يصرخ فجأة وهو يحدث شخصا ما:

ـ دعوني وشأني.. لا تقتربوا مني.. لا........

ثم تكّة مريبة شبيهة بتلك التي تصدر من المسدسات الكاتمة للصوت!!!..

عندها شعرت بأنني سأفقد عقلي.. حقيقة لا مجازا.. لقد حدثت جريمة قتل على مسمعي!!!.. يا إلهي.. وضعت الهاتف النقال في جيبي.. ثم دخلت إلى قاعة المؤتمر.. وإذا بأحد أعضاء الجمعية يسألني بقلق:

- ماذا جرى بك؟؟!.. العرق يملأ وجهك.. هل أنت بخير؟؟!..

التفت إليه مذهولا دون أن أرد.. ثم.. توجهت إلى رئيس الجمعية الذي كان يتحدث مع رئيس أحد الوفود.. وسحبته من بذلته بشكل غير لائق أبدا.. وقبل أن يعترض.. أخبرته بسرعة بما حدث!!.. كنت أرتجف بقوة وأنا أخبره بالتفاصيل حتى أن بعض أعضاء الجمعية التفوا حولنا وقد شعروا أن أمرا مريبا يحدث..

كانت المفاجأة كبيرة بحق عندما عرفوا مني تفاصيل تلك المكالمة.. فاقترح أحد الأعضاء أن نتصل بالشرطة.. ولكن.. أشار لنا رئيس الجمعية أن نتريث قليلا.. فقد يكون الأمر بأكمله خدعة.. وقال بتوتر:

- حسنا.. أعدوا العدة لبدء المؤتمر.. ودعوني أذهب إلى مركز رجال الأعمال التابع للفندق لأتحقق من بريد الجمعية الإلكتروني..

لم أوافق على هذا.. بل كنت مصرا على الذهاب معه للتحقق من البريد الإلكتروني.. وكذلك أصر بعض الأعضاء الذين التفوا حولنا.. كان الفضول يقتلنا قتلا.. نريد أن نعرف مدى صحة هذه القصة العجيبة.. نحن نتحدث هنا عن قضية ستهز العالم بأكمله إن كانت حقيقية.. لا يمكن أن ننتظر.. نريد أن نذهب معه الآن.. خاصة وأنه لا زال لدينا بعض الوقت قبل الكلمة الافتتاحية للمؤتمر.. نظر إلينا رئيس الجمعية في توتر شديد.. وإمام إصرارنا.. قال وهو يزفر بقوة مفرغا كل انفعالاته:

- حسنا إذا.. تعالوا معي..

خرجنا جميعا بحماس وتوتر من قاعة المؤتمر إلى مركز رجال الأعمال التابع للفندق كي نتحقق من البريد الإلكتروني.. تاركين خلفنا باقي أعضاء الجمعية الذين لم ينتبهوا لكل ما حدث.. و.. فتح رئيس الجمعية البريد الإلكتروني أخيرا وهو محاطا بأربعة من أعضاء الجمعية.. منهم أنا بطبيعة الحال.. هناك رسالة جديدة بالفعل!!!.. وإذا بها.. وإذا بها تحوي كل ما قاله ذلك الفتى دون أي مبالغة!!!!.. معلومات غزيرة عن كوكب آخر وعن مخلوقات فضائية يقدر عددها بالمئات تعيش بيننا كما هو مذكور.. لا يمكن أن يكون كل هذا خدعة..

قطع رئيس الجمعية حاجز الصمت والذهول.. ليقول بتوتر:

- لا وقت لدينا لقراءة كل هذا الآن.. سنطبع الأوراق ونذهب إلى قاعة المؤتمر لنعلن عن الأمر بعد الكلمة الافتتاحية..

نظرنا إلى بعضنا ثم رحنا بسرعة نطبع جميع المعلومات الموجودة في الرسالة الإلكترونية.. أعددنا الأوراق بشكل جيد.. ثم خرجنا كالمجانين عائدين إلى قاعة المؤتمر والتوتر بلغ ذروته.. إذ سيبدأ كل شيء بعد دقائق قليلة..

توجه الجميع إلى كراسيهم بعد حفل الشاي.. ثم ذهب رئيس الجمعية إلى المنصّة.. وهو يحمل الأوراق التي ستكشف وجود تلك المخلوقات بيننا.. فقابلته موجة تصفيق

من الحضور.. واقترب من الميكروفون ليلقي كلمة الترحيب والتوتر واضح على ملامحه.. قبل أن.. قبل أن أشهد ولأول مرة في حياتي جريمة قتل!!!!.. نعم.. لقد نهض فجأة أحد الحضور.. وأطلق النار على رئيس جمعيتنا وأرداه قتيلا!!!.. لم يتحرك أحد على الإطلاق.. بل أصبنا جميعا بصدمة رهيبة مروعة ونحن نرى رئيس الجمعية يتعرض للقتل وأمام تلك الوفود!!!..

بالطبع سادت حالة هائلة من الفوضى بعد هروب القاتل المجهول الذي لم أره في حياتي ولم أعرف إن كان من الوفود المشاركة أم شخص مدسوس بينهم!!!.. و.. تعرفون كيف تسير تلك الأمور.. صراخ.. عويل.. خاصة من الفتيات!!!.. والاتصال بالشرطة.. وحضور سيارة إسعاف لحمل القتيل!!!.. وهكذا اصطدمت القصة بنهاية مفاجئة غير متوقعة وبشكل سريع لم نجد فيه الوقت لاستيعاب ما حدث!!..

بالطبع حصلت تحقيقات هائلة معنا حول أبعاد الجريمة وحول تشكيل جمعيتنا بصورة غير قانونية دون موافقة الجهات المسئولة!!.. وبالطبع أيضا.. سارت النهاية إلى طريق مغلق وحزين.. فقد صدر قرار رسمي بإغلاق الجمعية وتغريم كل مؤسسيها مبالغ مادية محددة.. جرى كل هذا تحت تعتيم إعلامي كامل حول القضية.. حتى لا يتهم الناس الحكومة بالتقصير كالعادة بسماحها لجمعية كهذه أن تعمل وتقيم مؤتمر وهي لا تملك ترخيص!!!..

لقد حاولنا في البداية كشف الغموض المحيط بتلك الحادثة.. لكن لا شيء بالطبع.. فتلك المؤامرات المحكمة لا يمكن أن تكشفها بسهولة والتاريخ مليء بحوادث مشابهة.. أما الرسالة الإلكترونية التي بعثها إلينا ذلك الشاب.. فقد تم محوها من قبل مجهول قبل أن نقرأها مرة أخرى ونطّلع على محتواها بشيء من الدقة!!!!!.. الأوراق؟؟!.. لقد سرقها أحدهم بعد حالة الهرج والمرج التي عمّت المكان بعد ارتكاب الجريمة أمام أعين الجميع.. ولم يتم العثور على جثة الشاب الذي بدأ هذه القصة.. بل ولا نعلم إن كان قد قتل بالفعل أم لا!!!!.

كانت قصة مذهلة رهيبة فجرت كل علامات الاستفهام.. لكنها كشفت أمامنا حقيقة واضحة.. أن هناك مؤامرة ما.. وأن هناك مخلوقات فضائية تعيش بيننا بالفعل!!.. كل شيء يقودنا إلى هذا الاستنتاج.. ولكن.. الخوف على حياتنا جعلنا نبتعد تماما عن القضية.. وعن أي محاولة لسبل أغوارها.. وهكذا انتهت قصتنا واندثرت جمعيتنا إلى الأبد.. وإن لم ينته فضولي أبدا من معرفة تفاصيل ما حدث.. أعلم أن نهاية القصة مفتوحة على مصراعيها.. والنهايات المفتوحة تثير غضب الكثيرين.. منهم أنا.. ولكن ليس الأمر بيدي.. فهذا ما حدث بالفعل!!!.. وها قد نقلت لكم الأحداث بكل صدق وأمانة.

ما بعد الحادث

من المؤكد أن الانطباع الأول لكل من يتعرف علي.. هو أنني شاب متعجرف!!.. ولا أعتقد أن الناس مخطئين في انطباعهم عني.. فأنا كذلك بالفعل!!.. ربما بسبب التدليل الزائد الذي تمنحني إياه الحياة.. كالقامة الفارعة.. والبنية الرياضية.. والوسامة.. وحتى التفوق الدراسي في كلية الهندسة.

لقد قمت باستغلال تلك المزايا خير استغلال للإيقاع بالفتيات.. فكم فتاة حطمت قلبها بعد علاقة لم تستمر أكثر من بضعة شهور.. وكم فتاة تركتها تلهث ورائي دون أن أعيرها أي اهتمام مستمتعا بمعاناتها أيما استمتاع!!.. كنت أشعر أن شابا مثلي وبهذه الوسامة يستحق أن يمر بأكبر عدد ممكن من التجارب والعلاقات العاطفية.. لماذا؟!.. كي أستمتع بالتدليل الذي تمنحني إياه الحياة بكل تأكيد!!.

وبالطبع.. لكل شيء ثمن!!!.. فهذه الحياة الجميلة التي أحياها كان لابد وأن تنتهي يوما ما.. الغريب أنها انتهت مرتين.. و.. بدأت أيضا بنفس الوقت!!!.. هل فهمتم شيء؟!.. لا أعتقد.. ولا ألومكم على هذا.. فقصتي معقدة وشائكة جدا.. ولا يمكن أن يصدقها أحد.. فلنتابع!!!..

بدأ كل شيء في مجمع (المارينا) التجاري وفي ليلة جمعة حيث يتكدس الناس هناك عادة في عطل نهاية الأسبوع.. عندما كنت أمشي متبخترا كعادتي مع أحد الأصدقاء.. فمرت بجانبي فتاة رائعة الجمال خلبت لبي ولب صديقي!!..

عندما رأيتها.. تحرك الشيطان في رأسي.. ورحت ألاحقها لأقترب منها شيئا فشيئا حتى أصبحت بجانبها كما أفعل عادة

عندما أعاكس الفتيات!!.. ثم.. بعض التعليقات الطريفة كي أضحكها وأوقعها في حبائلي.. تماما كما يفعل معظم الشباب.. لم أكن أعرف ما سيحل بي بسبب فعلتي هذه!!!.. فقد تصادف وجود أحد أقاربها لسوء الحظ والذي كان برفقة مجموعة من أصدقائه!!!.. تعرفون كيف تحدث تلك الأمور..

كانوا خمسة.. التفوا حولي وحول صديقي وراحوا يضربوننا من كل جهة في معركة غير متكافئة إطلاقا!!!..

لقد كان صديقي ذكيا دون شك.. فعندما رأى عدم تكافؤ المعركة.. سقط أرضا وكأنه تعرض للإغماء!!!.. فكفوا عن ضربه وتوجهوا ناحيتي أنا.. خاصة وأنني كنت متحمسا جدا في شجاري معهم ولم أستسلم أبدا!!!.. التف الناس حولنا وراحوا يصرخون منادين رجال الأمن في المجمع أن يفعلوا شيئا.. لكن رجال الأمن تأخروا قليلا.. أو هذا ما بدا لي.. فبدأت أتخاذل وأشعر بحماقتي لاستمراري في تلك المعركة الغير متكافئة.. وبدأ رأسي يدور من شدة ما تعرضت له من ضرب!!!.. ثم.. ضربة قوية جدا على جانب رأسي لتخور قواي وأفقد الوعي بعدها تماما!!!!.

شعور غريب لم أعرفه من قبل ولم أسمع أن أحدا تعرض له أثناء فترة فقدان الوعي.. فقد شعرت أن قلبي يتوقف شيئا فشيئا.. وعقلي يعيد شريط حياتي كله أمامي بأدق التفاصيل.. هل هذا ما يحدث مع كل من يلفظون أنفاسهم الأخيرة؟!.. لا أعلم.. لكني واثق أنني أموت بالفعل وأن الحياة

تنسحب من جسدي بهدوء شديد!!!.. كل شيء كان يوحي بأنني أحتضر وأعيش لحظاتي الأخيرة في هذه الحياة!!.. ولكن.. ما حدث بعد ذلك لم يكن بالحسبان إطلاقا.. عندما سيطر على عقلي وبشكل مفاجيء عامل محفّز مجهول أعطاني دافعا قويا لمقاومة الاحتضار!!.. ما هو هذا العامل؟!.. ليتني أعلم.. لقد شعرت فقط بوجود شيئا ما في عقلي يدفعني دفعا إلى البقاء حيا!!.

كان لهذا العامل المحفز مفعول السحر!!.. فقد أصبحت إرادتي فجأة أقوى مما كانت عليه.. وأصبح هناك شيئا يجرني جرا إلى الحياة وينقذني من الموت!!.. لا أعرف الوقت الذي حدث فيه كل هذا.. فالزمن لا وجود له في العقل الباطن كما تعلمون.. لكني في النهاية شعرت أنني أعود إلى الحياة.. وأن هناك تحسن كبير جدا يطرأ علي.. و.. استيقظت أخيرا من الغيبوبة.. لأعرف المفاجأة.. بل الصدمة!!.

لقد وقعت في غيبوبة بسبب ضربة عنيفة تعرضت لها في رأسي أثناء الشجار كما علمتم.. وأصبت بنزيف داخلي حاد.. وقد حاول الأطباء إنقاذي لكن الوقت لم يسعفهم!!!.. كانوا بحاجة ماسة إلى عامل الوقت للعملية الجراحية التي ستحد من النزيف.. لكني كنت أحتضر!!.. فظنوا أنني ميت لا محالة.. إلا أنني فاجأت الجميع.. بل وفاجأت نفسي أيضا عندما وفرت للأطباء عامل الوقت الذي كانوا بحاجة إليه!!!!.. وفرته لهم دون أن أعرف كيف!!.. من خلال ذلك العامل المجهول الذي جعلني أقوى بشكل مفاجيء وجرّني جرا إلى الحياة.. وهذا

بالطبع أعطى الأطباء الوقت الكافي لإجراء العملية التي تكللت بالنجاح لحسن حظي!!!!..

لم يكن الأمر واضحا لأحد كما ترون.. فقد أثار ما حدث استغراب الأطباء الذين أشرفوا على حالتي.. بل وأكدوا أن ما جرى لي لم يحدث أبدا في تاريخ الطب!!!.. لقد كنت أحتضر.. وفجأة أصبحت قويا مستعدا للبقاء حيا بضعة ساعات أنقذت حياتي وسمحت لهم بإجراء العملية!!!..

لقد أخبرت الأطباء عن العامل المجهول الذي أعطاني القوة اللازمة وأبقاني حيا.. لكنهم عجزوا عن تفسيره.. هل هي إرادة الله؟؟!!.. لا شك في ذلك.. لكن هذا لا يجيب على كل شيء.. إرادة الله تمثلت في شيء ما لإنقاذي.. شيئا يجهله الجميع!!.

ظلت قضية إنقاذي من الموت حديث الساعة في محيط أفراد عائلتي وفي المستشفى أيضا!!.. أما والدتي فلم تكترث بكل هذا.. كان يكفيها نجاتي وعودتي إلى الحياة.. وهي محقة في ذلك دون شك!!.. ولكن.. لم تنتهي قصتنا عند هذا الحد بالطبع.. بل هي البداية.. البداية فحسب!!.

حيث زادت الأمور غرابة بعد ذلك.. وبدأت الألغاز تحوم حول حياتي!!.. إذ بدأت أتغير شيئا فشيئا إلى شخص أفضل رغما عني!!!!.. نعم.. هو ما قلته تماما!!.. أحيانا كثيرة أرغب في التصرف بتكبر أو غرور يعكس شخصيتي المتعجرفة المعروفة.. لكني أجد نفسي لا شعوريا ودون وعي أتصرف بطريقة مهذبة للغاية!!!!.. ثم أنتبه إلى أنني كنت أتصرف

دون وعي.. وكأنني مبرمج آليا!!!.. وكأن هناك من يتحكم في سلوكي!!!.. أحاول أن أعود إلى طبيعتي المتعجرفة مرة أخرى.. لكني أعود مرة أخرى أيضا ـ لا شعوريا ـ وأتصرف بشكل مهذب مع الجميع..

خذوا هذا الموقف مثلا.. والذي حدث في قاعة المحاضرات في الكلية.. عندما جاءني أحد زملائي ليقول بتردد شديد:

ـ هل تسمح أن تشرح لي تلك المسألة في مادة الفيزياء؟!.. المعذرة لكن لم أجد أحدا من الزملاء قادرا على شرحها.. وكونك ـ ما شاء الله ـ متفوقا إلى درجة تثير الإعجاب.. فهل لك أن تساعدني؟!..

كان يحدثني بقلق وتردد لأنه يعرف تماما كيفية تعاملي مع الجميع.. ولولا حاجته الماسة للمساعدة لما طلب مني شيئا كهذا.. فعادة ما يكون ردي في تلك المواقف:

ـ لست وصيا عليك كي أقوم بمساعدتك..

أو:

ـ كم أكره الغباء.. ماذا تفعل هنا إن كنت تعجز عن حل مسألة بسيطة كهذه؟!!

لكني لم أقل الجملة الأولى.. ولا حتى الثانية.. بل قلت بأدب شديد وبابتسامة عريضة:

ـ بالطبع يا أخي.. سأشرح لك المسألة وأعيد شرحها إلى أن تستوعب الحل!!!..

بالطبع سلوكي هذا أثار تساؤلات كل من يتعامل معي!!.. بل وأثار استغرابي أنا بالدرجة الأولى!!.. إذ لم أكن أنتبه إلى تصرفاتي المهذبة تلك.. إلا عندما أرى نظرة الاستغراب في عيون زملائي!!.

بدأ القلق مع مرور الوقت يسيطر على مشاعري.. كيف أتصرف بطريقة مخالفة تماما لطبيعتي!!.. إنني أفعل هذا دون شعور.. كيف يحدث هذا؟!.. أين يذهب تفكيري في اللحظات التي أتصرف فيها بصورة مهذبة.. لا أعلم.. ليتني أعلم!!.. تخيل أن تكون عاجزا عن التحكم بسلوكك.. إنه لأمر مخيف دون شك!!..

أشعر.. أشعر أن هناك من يتحكم في عقلي.. فمن يفعل هذا؟!.. وكيف يحدث هذا؟!.. هل أنا مصاب بازدواج أو فصام في الشخصية؟؟!.. وهل ما يحدث لي هو أعراض هذا المرض؟!.. حقيقة لا أعلم!!.. المصيبة أن ما حدث لم يكن الأسوأ.. بل هناك المزيد!!.. إذ بدأت الأمور تتخذ منحنى آخر.. منحنى مخيف للغاية!!.. فمع مرور الأيام.. بدأت أفقد الوعي دون أن أفقد الوعي!!!!!.. أعلم أنني أقول كلاما معقدا غير مفهوم.. ولكن هذا ما كان يحدث.. كيف؟!.. كيف أفقد الوعي دون أن أفقد الوعي؟!.. هناك أشياء يدعي الجميع أنني فعلتها.. رغم أنني لا أذكر أنني فعلتها ولا أذكر شيئا عنها أصلا!!!.. بدأ هذا التطور الجديد والمخيف عندما كنت جالسا في غرفتي في ذلك اليوم بعد الحادث بأسابيع قليلة أقرأ

إحدى المجلات الرياضية.. قبل أن أسمع صوت والدتي تناديني لتناول العشاء.. فخرجت من الغرفة متثاقلا.. لأجد شقيقتي الصغيرة تشكرني كثيرا على اللعبة التي اشتريتها لها!!!.. حتى أنها قبلتني برقة.. لتقول:

ـ أشكرك كثيرا على اللعبة يا أخي العزيز.. هذا لطف منك.. إنها المرة الأولى التي تفعل فيها شيئا كهذا!!!!.

وقالت والدتي بحنان:

ـ لقد أصبحت إنسانا أفضل يا ولدي بعد ذلك الحادث.. بارك الله فيك.. إنني فخورة بك..

فكنت أنظر إليهما مشدوها!!.. أنا.. أنا لا أذكر أنني اشتريت لعبة لشقيقتي أصلا!!.... كيف ومتى فعلت هذا؟؟!.. متى؟!.. نعم.. متى؟!.. خطر إلى ذهني خاطر مفزع.. فنظرت بذعر إلى الساعة المعلقة على الحائط.. يا إلهي.. هو ما توقعته تماما!!!.. أذكر أنني عدت إلى البيت في السادسة مساء.. جلست في غرفتي دقائق قليلة أتصفح إحدى المجلات.. والآن أفاجأ بالساعة تقترب من التاسعة!!!!!!.. هناك حوالي ثلاث ساعات من الزمن لا أذكر منها شيئا!!.. كيف ومتى خرجت من البيت واشتريت هدية لشقيقتي؟!.. أنا لا أذكر شيئا من هذا!!!!.

كنت أشعر بخوف شديد!!.. فرغم أنني أتصرف بطريقة سوية وجاذبة للناس أثناء غياب إدراكي ووعيي!!.. إلا أن هذا يقلقني دون شك.. فلا يمكن لأحد منا أن يقبل بالتصرف دون وعي أو إدراك!!!..

و.. مع مرور الأيام.. تحول القلق والخوف إلى هلع!!!.. فقد بدأت الفجوات الزمنية في حياتي تزداد شيئا فشيئا!!.. حتى بلغت الساعات التي أفقد فيها إدراكي تتجاوز العشر ساعات يوميا!!.. تخيلوا هذا!!!!.. فأحيانا أذهب إلى الكلية.. وأعود بعدها إلى البيت دون أن أعلم أنني فعلت هذا كله!!.. تخيلوا أنني أقود السيارة دون وعي!!!.. ثم أجد نفسي فجأة في البيت.. أو في الكلية!!.. إنني أعيش بعقل مغيب.. وكأن هناك شخصية أخرى تريد أن تلتهم شخصيتي!!.. كيف يحدث هذا؟!.. كيف؟؟!.. إنني أتحول إلى إنسان آلي في فترات طويلة من اليوم.. فأقوم بأعمال وتصرفات كثيرة لا أذكر منها شيئا حين أعود إلى إدراكي..

فقد بدأت شقيقتي الصغرى تحبني كثيرا بعد أن أصبحت أقضي معها أوقات طويلة لا أذكر منها شيئا.. ووالدتي بدأت تعتمد علي بعد أن كنت سببا لصداع مزمن لها بسبب إهمالي وتعنتي في تعاملي مع الجميع رغم أنني الولد الوحيد في البيت بعد وفاة والدي منذ بضعة سنوات..

باختصار شديد.. شخصيتي الأخرى أفضل.. هذا حق.. ولكن هذا لا يريحني على الإطلاق.. إنني أفقد ذاتي.. أفقد كياني.. أفقد حياتي نفسها!!.

لم يكن هناك بدا من زيارة طبيب نفسي.. كنت أكره هذا بشدة.. لأنني سأكسر بهذه الطريقة كل ذرة كبرياء عندي!!!.. لكن لم يكن هناك حلا آخر!!!.. ذهبت إلى ذلك

الطبيب النفسي الشهير وجسدي كله يرتجف من شدة التوتر والقلق على ما يحدث لي.. وقد تحدث الطبيب كثيرا.. وقال الكثير من الهراء.. قبل أن أفهم أخيرا أنه يظن أن الحادث الذي تعرضت له قد أثر في حالتي النفسية.. فلأنني رأيت الموت بعيني - كما يقول - ونجوت.. لذا فإن عقلي الباطن يريدني أن أعوض ما ارتكبته في حياتي من أخطاء بحق الناس!!!.. حيث أن هناك دائما بذرة خير داخل كل إنسان إلا أنها تختفي تحت أطنان المسؤوليات والضغوط وزحمة الحياة.. و.. طلب مني السفر لفترة من الزمن للراحة والاستجمام لعل هذا يعيدني إلى حالتي الطبيعية!!!.

وعلى كل حال.. لم أتحمس كثيرا لنصيحته تلك.. فالسفر قد لا يكون علاجا ناجحا.. لأنني ربما سأتصرف دون وعي لساعات طويلة قد تمتد لفترة السفر كلها!!.. نعم.. فقد بدأت أفقد أربعة عشر ساعة من وعيي يوميا!!!.. ولو أضفنا إلى ذلك ساعات النوم.. فما الذي سيتبقى من حياتي الفعلية؟؟!!.

وهكذا عدت إلى البيت والخواطر تلتهم ما تبقى من عقلي التهاما.. كلام الطبيب النفسي يحوي شيئا من الصحة دون شك.. فكل التغييرات المريبة في حياتي بدأت بعد ذلك الشجار اللعين الذي كاد أن يودي بحياتي.. لكن لا أحد يفهم لماذا تحدث لي تلك التغييرات.. أشعر أن ما يحدث يفوق إدراك الطب.. إذ لم أسمع أو أقرأ عن حالة شبيهة بحالتي!!.

كنت مهموما حزينا رغم أن معاملة الجميع قد تحسنت كثيرا معي.. فقد انهار كبريائي فجأة أمام الناس.. وظنوا أنني تغيرت إلى إنسان أفضل لأنني واجهت الموت وندمت على أفعالي السابقة!!.. فبدأ يشكرني الكثير من الأقارب والأصدقاء على مساعدتي لهم في أمور معينة لا أذكر أنني فعلتها أصلا!!!.. أذكر جيدا عندما اتصلت عمتي طالبة مني أن أزورها للأهمية.. وعندما ذهبت إليها.. احتضنتني كثيرا.. وأعطتني مبلغا لا بأس به من المال مكافأة لي لأنني ذهبت بها إلى المستشفى لإجراء فحوصاتها الروتينية أكثر من مرة في الأسابيع الماضية!!.. هذا جميل.. لكني لا أذكر أنني فعلته.. وهذا يخالف طبيعتي كما علمتم جميعا!!..

وهكذا بدأت أفقد حياتي شيئا فشيئا وبصورة سريعة جدا!!!!.. فقد بدأت الأيام تمر علي ولا أذكر منها سوى ساعة أو ساعتين من كل يوم!!!.. ماذا سيحدث بعد هذا.. إنني أفقد وجودي.. أفقد كينونتي.. أفقد إحساسي.

الآن وبعد مرور ثلاثة شهور على ذلك الشجار اللعين.. أصبح يومي لا يزيد على نصف الساعة!!.. فباقي الوقت يمر دون أن أشعر به!!!.. وفي اللحظات التي أسيطر فيها على وعيي.. أفاجأ.. بل وأصدم تماما.. لأنني أكتشف أن حياتي تتحسن بكل النواحي.. بل أن درجاتي في الكلية أصبحت أفضل من السابق.. رغم أنني كنت متفوقا أصلا.. إلا أن درجاتي الآن أصبحت جميعها A+!!!.. وأقلعت عن التدخين الذي كنت أمارسه سرا دون علم والدتي!!!..

لقد تضاءلت شخصيتي الحقيقية مع مرور الأيام حتى أنني لم أجد الوقت الكافي لبحث أسباب ما يحدث لي!!!.. شعرت بأن شخصيتي الحقيقية تنكمش حتى تكاد أن تتلاشى دون أن أستطيع فعل شيء!!.. لقد بحثت كثيرا وقرأت في عشرات الكتب والمواقع الإلكترونية المتعلقة في علم النفس عندما بدأت ألحظ تلك التغييرات المريبة في حياتي.. ولم أجد حالة واحدة شبيهة بحالتي..

حتى الكتاب الشهير (The Man Who Mistook His Wife for A Hat)* لم أجد فيه شيئا شبيها بما يحدث لي!!!.. لا أعلم إلى أين سينتهي بي الأمر.. ليتني أعلم.. ليتني أعلم.. ليتني أعلم!!!!.

وهكذا عزيزي القارئ اختفى بطل قصتنا من الوجود!!!.. أو فلنقل أن وعيه وإدراكه اختفيا من الوجود وسيطرت شخصية أخرى على شخصيته القديمة المتعجرفة.. ولم يعرف بطل قصتنا ما أصابه.. إنه لا يعلم بالسر الذي أخفته عنه والدته دون سبب يذكر.. هذا السر ربما كان المفتاح لكشف الغموض المحيط بالأمر قبل فوات الأوان!!.. ولكن قد يكون من حسن حظنا وحظه أن هذا لم يحدث.. لأن بطل قصتنا تحول إلى إنسان آخر.. إنسان أفضل كما رأينا جميعا.. فما هو السر وراء ما حدث له؟!.. كيف مسحت تلك الشخصية الجديدة شخصيته القديمة تماما رغما عنه؟!..

لم يكن بطل قصتنا يعلم أنه عندما كان جنينا في بطن

* كتاب طريف وغريب في نفس الوقت يتحدث عن بعض الأعراض المرضية النادرة وغير المألوفة في عالم الطب.

والدته كان له توأما سياميا* ملتصقا به من ناحية الرأس.. ولكن بطل قصتنا احتكر النمو كله.. فتضاءل التوأم الآخر شيئا فشيئا ليتحول إلى مجرد نقطة أو جزء صغير جدا** ظل خاملا في مخ بطل قصتنا لسنوات طويلة قبل أن يتعرض لذلك الشجار المشئوم الذي أصابه في رأسه وهدد حياته!!!.. عندها فقط تحرك ذلك الجزء الخامل في مخه لإنقاذ حياته.. كان هذا الجزء الخامل الذي ينتمي إلى توأمه السيامي هو ما أنقذ بطل قصتنا وجرّه جرا إلى الحياة وأعطى وقتا للأطباء لإجراء العملية.. وعندما استيقظ ذلك الجزء الخامل.. بدأ يسيطر شيئا فشيئا على مخ بطل قصتنا حتى استحوذ عليه تماما!!!.. ويبدو أن شخصية التوأم السيامي كانت رائعة وأفضل بكثير من شخصية بطل قصتنا.. لهذا أصبح محبوبا من زملائه ووالدته وشقيقته.. لتنتهي تلك الشخصية المتعجرفة إلى الأبد.. وتبدأ شخصية جديدة.. وحياة جديدة لشخص آخر لكنه يعيش في نفس الجسد!!!!.

---

* المقصود بالتوائم السيامية هو أي طفلين متصلين أو ملتصقين أو ملتحمين ببعضهما، وقد أطلق هذا المصطلح على ذلك النوع من التوائم نسبة إلى التوأمين السياميين بمدينة (سيام) في جنوب شرق آسيا عام 1811 الذين ولدا لأبوين صينيين.. وكانا ملتصقين من جهة الصدر إلى السرّة.. وقد جالا كثيرًا من الأماكن بعد أن كبرا وراحا يعرضان نفسيهما في السيرك إلى أن استقرا في ولاية (كارولينا الشمالية).. وقد توفيا عام 1874م عن عمر يناهز ثلاثة وستين عاما.. ولم يكن زمن الوفاة بينهما كبيرًا حيث توفي أحدهما بحوالي ساعتين قبل الآخر.. هذا ما يقوله التاريخ.. لكن العجيب أن كتاب (جامع التواريخ) لمؤلفه (القاضي التوخي) المتوفى قبل أكثر من ألف عام قد ذكر خبرًا وتوثيقًا علميا لحالة توأمين ملتصقين عاشا في مدينة (الموصل) في (العراق).. وتعتبر بالتالي هذه أول حالة لتوأمين ملتصقين أشارت إليها المصادر في التاريخ الإنساني.. ولو أتيح لهذه الحالة الانتشار إعلاميا لأطلق على هذا النوع من التوائم اسم: (التوائم الموصلية) نسبة إلى مدينة (الموصل) التي سجلت وعرفت فيها هذه الحالة من حالات التوائم.. بدلا من مصطلح (التوائم السيامية).

** هذا ما يحدث بالفعل في بعض الأحيان مع التوائم السيامية.

أويجا

نحن نتحدث هنا عن لوح تحضير الأرواح الشهير والذي يطلق عليه اسم (أويجا).. وهو لوح معروف يعتقد أنه أحد الوسائل الناجحة لتحضير الأرواح أو الجن*.. لا شك أن معظمكم يعرف هذا!!.. حسنا.. إن لي مع هذا اللوح قصة غريبة جدا ومخيفة في نفس الوقت.. سأحكيها لكم بشيء من التفصيل!!.

أنتم تعرفون ما قد يفعله المراهق لقضاء وقت الفراغ.. إنه يفعل كل شيء.. كل شيء تقريبا دون استثناء!!!.. خاصة مع ولعه وحبه لحياة المغامرة التي يتمنى أن يحياها .. لهذا السبب تحديدا اقترحت على أصدقائي أن نجرب تلك اللعبة عندما كنا جالسين في صالة المنزل.. فقد اشتريتها من (جمهورية التشيك) في الصيف الماضي ووضعتها تحت السرير منذ ذلك الحين.. ونسيت كل ما يتعلق بشأنها مع مرور الأيام!!.. لكني تذكرتها الآن حين تحدث عنها أصدقائي.. نعم..

---

*(أويجا) كلمة ليس لها أصل معروف.. ولكن يقال انها كلمة فرعونية تعني (الحظ الحسن).. وقد انتشر لوح (أويجا) بشكل كبير في نهاية القرن العشرين، ليصبح مع مرور الوقت لعبة تباع في محال الألعاب العادية بأسعار في متناول الجميع، حيث يحتل هذا اللوح ثاني أعلى مبيعات ألعاب الألواح في العالم بعد لعبة (مونوبولي) الشهيرة.. وتتراص في منتصف هذا اللوح حروف الهجاء اللاتينية في صفين مقوسين متوازيين، ويوجد أسفلهما مستطيل تتراص فوقه الأرقام من صفر إلى تسعة، أما في الطرفين العلويين للوح فهناك كلمتين (نعم) و(لا)، وفي القاع توجد كلمة (إلى اللقاء)، ولا ننسى بالطبع جزء هام جدا من اللعبة وهو المؤشر، والمؤشر هذا عبارة عن لوحة خشبية أو معدنية صغيرة قائمة على عجلتين، حيث تستخدم الروح التي يتم تحضيرها الحروف والأرقام الموجودة على اللوح للتحاور والإجابة على الأسئلة التي توجه إليها من خلال المؤشر، ومن أكثر أسباب انتشار هذا اللوح هو تكرار ظهوره في العديد من الأفلام الأجنبية، منها الفيلم الأجنبي الشهير (طارد الأرواح)، أما عن مدى مصداقية تلك اللعبة فهذا ما لا يعرفه أحد، فنجد أن هناك من يؤمن بها ويتحمس لها وهناك من يرفضها جملة وتفصيلا.

كان معظمنا يعرف تلك اللعبة.. ومن لا يعرف أخبرناه على عجالة بكل ما يتعلق بها..

هنا اقترحت عليهم أن نلعبها!!!.. فالتفتوا إلي متسائلين.. لأخبرهم بخبث أنني أملك اللعبة بالفعل لكني لم أجربها من قبل.. نظرنا إلى بعضنا بغموض.. ثم وافق الجميع على تجربتها.. إذ لم نكن نشعر بأي رهبة أو خوف تجاهها.. بل أن معظمنا لم يكن يصدق ما يتردد حول لوح (أويجا) أصلا!!.

لحسن الحظ لم يكن هناك أحد في البيت.. فالجميع منشغلين في حفل زفاف شقيقتي الذي سيتم بعد أيام قليلة.. أي أننا نملك المكان بأكمله.. لذا نهضنا بحماس شديد وفعلنا ـ على عجالة ـ كل ما يمكن فعله من أجل الاستعداد لجلسة تحضير أرواح شبيهة بالتي نراها في الأفلام الأجنبية!!!.. أنتم تعرفون تلك التفاصيل الصغيرة التي لا تفوت أي مخرج رعب مبتدىء.. إطفاء الأنوار في جميع غرف البيت.. إشعال بعض الشموع الحمراء التي أخذتها من دولاب والدتي.. مع بعض التعاويذ التي بحثنا عنها على عجالة في شبكة الانترنت.

كما ترون.. أجواء شيطانية مخيفة تنذر بالويل دون شك.. أو هذا ما حاولنا إقناع أنفسنا به!!!.. أحضرت اللعبة بعد ذلك من غرفتي ووضعتها على الأرض.. ليلتف عليها الجميع وكأننا في وليمة!!!.. فبدأت نظراتنا تتحفز بسبب الإضاءة الخافتة الناتجة عن الشموع.. بعضنا يبتسم بخبث..

والبعض الآخر تبدو على وجهه ملامح القلق لكنه لا يجرؤ على الاعتراف.. و.. بدأنا اللعب.. فوضع كل منا إصبعه على المؤشر.. لم نكن ننوي تحضير روح شخص معين.. كل ما كان يهمنا هو أن تنجح تجربتنا ونخاطب أي روح.. فتلونا التعويذات بهدوء مهيب أعطاه الظلام رهبة لا ينكرها أحد.. ثم قلت ببطء شديد وبصوت خافت:

ـ إننا ندعوك أن تتجسد أمامنا!!.. أيا كنت.. نحن ندعوك أن تتجسد أمامنا إن كانت روحك هنا!!.. إننا لا ننادي روحا محددة.. بل نخاطب جميع الأرواح في الأثير.. جميع الأرواح الموجودة في هذا البيت!!.

لا أنكر أن الكلام قد سبب لي رهبة كبيرة رغم أنني قائله!!!.. بل وشعرت بأن الجو توتر فجأة رغم أن صديقي (فواز) أطلق ضحكة قصيرة مستهترة.. لكننا أخرسناه بنظرات صارمة.

بالمناسبة.. صديقي (فواز) يسخر من كل شيء تقريبا.. ولا يمكن أن يتعامل مع أي أمر بجدية!!!.. وهذا يضايقنا كثيرا.. لكنه صديقنا منذ خمسة سنوات.. ولا يمكن أن نتنازل عنه لسبب كهذا.. فكل منا لديه عيوب.. أليس كذلك؟!.

الغريب أننا وبعد دقائق قليلة من بدء اللعبة.. وبعد تلك الضحكة القصيرة التي خرجت من (فواز).. وجدناه ينظر فجأة إلى الزاوية القريبة من المطبخ.. ويحدق بشيء ما وكأنه يريد أن يتأكد أولا مما يراه!!.. قبل أن.. قبل أن ينهض برعب هائل.. ويتراجع ليلتصق بالحائط!!!.. لم ينطق

بحرف.. بل كان يحدق بذهول وذعر في تلك الزاوية.. رحنا ننظر تلقائيا إلى ما ينظر إليه.. لكننا لم نجد شيء!!.. فنهضنا جميعا من مقاعدنا واندفعنا نحوه بقلق.. أقسم لكم بأنني لم أرى (فواز) أبدا بوجه كهذا!!.. هذا الأحمق الذي يضحك على كل شيء ومن أي شيء ويسخر من الجميع طوال الوقت لا يمكن أن تحمل ملامحه كل هذا الرعب.. ما الذي دهاه؟!.. رحنا نسأله بقلق عما أصابه.. لكنه لم ينطق بحرف!!.. بل.. بل أشار بيده إلى المكان الذي يحدق به!!.. نظرنا مرة أخرى إلى حيث أشار.. ولكن.. لا شيء.. لا شيء على الإطلاق!!.. أعتقد أنه فهم أخيرا أننا جميعا لا نرى شيئا.. فقال بصوت متحشرج وبرعب هائل:

-ألا.. ألا.. ألا ترون؟!.. هناك.. في.. في الزاوية.. ألا ترون هذا الرجل الواقف هناك يحدق بنا؟!.. رجل أسود البشرة عيناه حمراوان كالدم!!.. إنه.. إنه يرتدي ثيابا ممزقة ملوثة بالدماء!!.. ألا ترون كل هذا؟!..

أصبنا بذعر هائل وسرت في جسدي قشعريرة واضحة عجزت عن إخفائها!!.. إنه لا يخدعنا.. لا يمكن أن يجيد (فواز) التمثيل إلى هذا الحد!!.. ولكن.. لماذا يرى وحده ذلك الرجل المخيف؟؟!!.. تراجعنا جميعا بقلق والتصقنا به.. ونحن ننظر إلى جميع أركان البيت بعيون قلقة مترقبة دون أن نرى شيئا.. قبل أن نشعر فجأة أن (فواز) أراد أن يصرخ لكنه عجز عن ذلك!!!.. إذ احتبست أنفاسه تماما.. وقال وهو يلهث ويكاد أن يصاب بنوبة قلبية.. أو هذا ما بدا لنا على الأقل:

-إنه.. إنه يقترب منا!!.. إنه يقترب منا.. أيها الحمقى.. إنه يقترب منا.. سينال منا..

صرخنا جميعا مهدئين وأقسمنا له بأننا لا نرى شيئا مما يقول.. لكنه أطلق بالمقابل صرخة رعب هائلة وهو يقسم أن ذلك (الشيء) على بعد خطوات منا!!!.. لم ينتظر منا أن نصدقه.. بل دفعنا بقوة وأطلق ساقيه للريح ليخرج من المنزل.. تعالت أصواتنا نرجوه أن يعود!!.. لكنه ظل يركض بجنون وهو يصرخ بهلع فقد على إثره صوابه تماما.. وشعرنا باستحالة اللحاق به وهو يركض بهذا الذعر.. فأسرع الناس هو من يركض مذعورا من شيء ما.. أليس كذلك؟!..

وما أن خرج!!!.. حتى ضحكنا جميعا!!!.. ضحكنا كثيرا.. لقد كان هذا مقلبا أعددناه بعناية لصديقنا (فواز)!!!.. فقد مللنا جميعا سخريته من كل شيء وأي شيء.. وها هو الآن يشرب المقلب الذي أعددناه له بكل براعة!!!.. حيث اتفقنا مع صديقنا (يوسف) أن يتنكر بزي مخيف ويدخل البيت من الباب الخلفي ليختبيء في المطبخ.. وعندما يخرج بعد دقائق من بدء اللعبة.. ندعي جميعا أننا لا نراه.. مما سيصيب (فواز) برعب حقيقي!!.. وهذا ما حدث بالفعل.. إذ رأيتم كيف خرج (فواز) مذعورا من المنزل كالأطفال!!.. وكيف أدى (يوسف) دوره ببراعة منقطعة النظير.. وكأنه ممثل محترف.. ثياب مليئة بالحبر الأحمر.. والصبغ الأسود الذي طلا به وجهه.. وذلك الشعر المستعار الذي جعله يبدو مخيفا بحق!!.. ولا ننسى العدسات الحمراء.. لقد طلبت منه أن يبدع في تنكره.. فوعدني بأنه سيفاجئني.. وقد فعل!!!.. كان يبدو رائعا بالفعل!!!.

وفي غمرة ضحكنا ومرحنا.. نسينا أن نسأل عن صديقنا (يوسف) الذي رأيناه جميعا متنكرا.. أين ذهب؟؟!.. وأين اختفى؟!.. لم نجد الوقت لنتذكره.. لأننا سمعنا من يطرق باب المنزل!!!..

فتحت الباب وإذا بـ(يوسف) يحمل كيسا بيده!!!.. فدخل وهو يشعر بالحرج الشديد وعلامات الاعتذار تبدو عليه:

- المعذرة يا رفاق.. لقد تأخرت عليكم.. فقد نسيت الكيس الذي وضعت به أدواتي التنكرية.. واضطررت للعودة إلى البيت لأجلبه معي.. آمل ألا تكونوا قد بدأتم اللعبة!!!!!!!!..

اتسعت أعيننا بدهشة وذعر بالغين!!!!!.. وحدقنا به غير مصدقين.. بل وعجزنا أن ننطق بحرف!!!!!!.. لم.. لم يفهم (يوسف) ما يحدث.. بل سألنا بقلق:

- هل أنتم بخير؟!.. ثم.. أين (فواز)؟!.. أليست تلك الأمسية من أجل إيقاعه في هذا المقلب الذي اتفقنا عليه؟!..

لكننا لم نرد أيضا!!.. بل راح كل منا يحدق بالآخر في رعب حقيقي.. هل.. هل كان الذي رآه (فواز) شبحا حقيقيا؟؟؟!!!!!!.. نعم.. نعم.. الأمر واضح لا يحتاج إلى تفسير!!.. يا للهول.. يا إلهي!!.. يا إلهي!!.. لقد تعاملنا جميعا مع ذلك الشيء الذي ظهر لنا كمزحة على اعتبار أنه صديقنا (يوسف) متنكرا.. لكن.. لكن اتضح أن ما رأيناه جميعا حقيقي تماما!!!!!!..

وبنفس اللحظة.. نظرنا حولنا برعب هائل.. وشعرت بأن

الدنيا تضيق بي إلى أبعد الحدود.. سيعود جميع الأصدقاء إلى بيوتهم.. لكني سأبقى هنا.. ولن يصدق والداي حرفا مما رأيناه عندما يعودان من الخارج.. لن يصدقا أبدا.. كيف سأعيش في بيتنا بعد هذه الحادثة الرهيبة؟!!!.. كيف سأذهب إلى غرفتي وأنام فيها وحيدا بعد أن رأيت ذلك الشبح أو الجني؟!.. كيف؟!.. كيف؟!.. ظل السؤال يتردد في ذهني.. دون أن أستطيع الإجابة عليه!!.. وبالطبع راح كل من أصدقائي يلتمس العذر.. ليخرجوا من منزلي واحدا تلو الآخر.. ويتركوني وحيدا تماما!!!!.. ألتفت يمينا ويسارا بذعر.. ثم أنادي الخادمة من الطابق العلوي كي تأتي وتجلس معي في الصالة حتى أشعر بدفء الصحبة الآدمية ويزول عني بعض الخوف!!!.. لكن هذا حل مؤقت دون شك.. كيف سأعيش في بيت رأيت فيه شبحا مخيفا كهذا؟؟!!.. كيف سأنام في غرفتي؟؟!.. كيف سأكون في الحمام وحيدا؟!!!.. ظلت الأسئلة تسيطر على عقلي وتلتهمه التهاما.. ورحت - من شدة الخوف - أنكمش.. وأنكمش.. عارفا أي مأزق وقعت فيه عندما لعبت تلك اللعبة البغيضة.. فلا شك أن ذلك الشبح المخيف قد خرج منها.. هل سيظل في بيتنا؟!.. هل سأراه مرة أخرى؟!.. لا أعرف.. إنني أرتجف رعبا من مجرد التفكير في هذا الأمر!!.. علي أن أنتظر وأرى.. حقا أن هناك أسوأ من المصائب.. وهو انتظار وقوعها!!!.. سأحترق ليل نهار وألتفت حولي طوال الوقت وأنا أترقب ظهور ذلك الشيء المخيف مرة أخرى!!!.. كل هذا بسبب حماقتي وبسبب ذلك اللوح اللعين.. لوح (أويجا)!!!.

المحفظة

كنت أسير وحيدا في الواجهة البحرية القريبة من منطقة (الشويخ) في وقت متأخر من تلك الليلة.. وهذا ما قمت أفعله منذ بضعة أسابيع بعد أن نصحتني زوجتي بممارسة الرياضة.. وبعد أن لاحظت وزني الآخذ بالازدياد في الآونة الأخيرة لقلة الحركة بالطبع وانغماسي التام في عملي.. لذا فقد استمعت إلى نصيحتها وبدأت بممارسة رياضة المشي ولكن في وقت متأخر من الليل.. وهو الوقت الوحيد المتاح لي بسبب ظروف العمل وباقي التزامات الأسرة..

كانت ليلة هادئة تبدو ككل الليالي.. أمشي وأملأ رئتي بالهواء الذي يمتزج بملوحة البحر.. فأشعر بانتعاش ما بعده انتعاش.. وبالطبع.. أطنان من الخواطر تجول في عقلي كما هو الحال مع كل من يمشي وحيدا في وقت كهذا.. لحظات قليلة قبل أن يصطدم بي أحدهم بقوة من الخلف ليختل توازني وأقع على الأرض و:

- أعتذر بشدة!!!!.. أرجوك تقبل اعتذاري.. لقد كنت أعبث بموجات الراديو الموجود في هاتفي أثناء ممارستي للهرولة.. لم أنتبه.. لم أقصد الاصطدام بك!!!..

كان يقول هذا متلعثما وهو يلهث.. وينفض الغبار من على ثيابه الرياضية الخفيفة.. أما أنا فقد نهضت من مكاني وهممت بكلمات غاضبة لم أفهمها أنا نفسي.. ثم تقبلت اعتذاره بشيء من الامتعاض.. و.. لم أجد ما أقول بعدها.. فتركته في حاله ورحت أكمل رياضتي وأنا ألعن غباء الناس في سري!!!..

دقائق قليلة.. قبل أن أصل إلى أحد الأكشاك الكثيرة التي تبيع العصائر والمثلجات.. فأمسكت بعلبة المشروب الغازي

الباردة.. ووضعتها على رأسي مستمتعا بملمسها البارد بعد أن ملأ العرق جبيني.. ولكن.. مهلا!!!.. أين محفظتي؟؟!!.. تركت العلبة في مكانها ورحت أبحث في جيبي.. إنها ليست معي.. أين ذهبت؟؟!.. يا إلهي!!!.. ذلك الوغد الذي اصطدم بي قد سرق محفظتي!!!.. يبدو أنه تعمد الاصطدام بي كي يسرق محفظتي!!!.. رحت فجأة أجري كالمجنون محاولا اللحاق بهذا النشال!!!.. كنت ألهث بشدة ورئتي تكاد أن تنفجر.. إلى أن لمحته من بعيد لحسن الحظ!!!.. الوغد.. لقد ظن أنني لن أنتبه!!!.. جريت مرة أخرى إلى أن اقتربت منه.. و.. قبل أن يلتفت إلي.. أمسكت به من رقبته بقوة.. ورحت أصرخ:

ـ أعطني المحفظة أيها اللعين!!!..

وضعت يدي في جيبه محاولا أخذ محفظتي.. لكنه أمسك بيدي بقوة.. ثم صرخ قائلا:

ـ على جثتي!!!..

ورحنا بعدها نتصارع في قتال عنيف.. فوقعنا على الأرض واختلطت ثيابنا بالتراب.. هل من أحد ليتدخل؟؟!.. لم يكن هناك أحد مع الأسف.. فالساعة كانت تقترب من منتصف الليل!!!.. و.. في غمرة الشجار.. قال الرجل وهو يصرخ:

ـ قلت لك.. لن تأخذ المحفظة إلا على جثتي!!!..

فوضع يده في جيبه ثم أخرج المحفظة ليقذفها بعيدا!!!.. تابعتها بعيني وإذا بها تسقط بين صخور الواجهة البحرية.. مما يعني استحالة العثور عليها كما نعلم جميعا!!!.

عندها صرخت بجنون:

ـ أيها اللعين.. سأقتلك!!!..

قلت هذا رغم أنه كان الطرف الأقوى بسبب بنيته الرياضية!!!.. لكني كنت غاضبا محتدا مما جعلني خصما متكافئا إلى حد ما.. فرحت أوجه له الضربات بكل قوتي.. فوضع يده على عنقي محاولا خنقي.. لكني لم أستسلم.. بل راحت يدي تبحث بجنون عن أي شيء أضربه به.. وإذا بها تصطدم بحجر صغير!!.. أمسكت به.. وهويت به على رأس الرجل بكل قوتي!!!!.. ليتوقف كل شيء فجأة!!!.. إذ ترنح الوغد في مكانه ونظر إلي بذهول.. قبل أن يسقط فوقي والدماء تسيل من رأسه!!!.

دفعته بعيدا في ذعر واضح بعد أن خارت قواه.. ورحت ألهث من شدة التعب!!!.. حاولت الوقوف.. لكني لم أستطع.. فالإرهاق بلغ مني مبلغا.. نظرة سريعة إلى ما حل بالنشال.. وإذا بالدماء تملأ رأسه ووجهه.. هل.. هل قتلته؟!.. يا إلهي.. هل قتلته؟؟!..

ـ النجدا!!!!!.. النجدا!!!!!!..

رحت أصرخ وألتفت حولي مستنجدا.. ولكن.. كانت تلك الناحية من الواجهة البحرية خالية تماما من المارة في ذلك الوقت!!!.. والسيارات وأكشاك البيع بعيدة نسبيا فلا يمكن أن ينتبه إلينا أحد كما هو واضح!!!.. شعرت بشفقة حادة تجاه الرجل رغم كل ما حدث!!!.. فقد كان وجهه المليء بالدماء يثير الشفقة بالفعل!!!.. حملته بما تبقى لي من قوة.. ورحت أمشي

مترنحا إلى السيارة.. نعم.. سآخذه إلى المستشفى.. لا أستطيع أن أتركه هنا رغم أنه سرق محفظتي ورماها وسط الصخور..

رحت أقود السيارة كالمجنون إلى أقرب مستشفى.. المستشفى (الأميري) بالطبع.. وهناك.. ذهبوا به بسرعة إلى غرفة العناية المركزة.. أما أنا.. فقد خضعت للعلاج بسبب بعض الرضوض والجروح التي أصبت بها أثناء الشجار.. لأذهب بعدها إلى غرفة المحقق في المستشفى.. فهذا هو الإجراء المعتاد.. لكني لم أكن أخشى شيئا.. هذا الرجل سرق محفظتي.. وقد مارست حقي الطبيعي بالدفاع عن مالي رغم كل ما حدث.. هذا ما يقوله القانون.

لم يكن هناك الكثير ليقال في غرفة المحقق.. إذ أخبرته بكل التفاصيل.. وقام بدوره بأخذ جميع بياناتي الرسمية.. وطلب مني بعدها الذهاب إلى البيت على أن يتصلوا بي في القريب العاجل لاستكمال التحقيق..

ولكن.. قبل العودة إلى البيت.. ذهبت أولا إلى الواجهة البحرية حيث حدث الشجار.. ورحت أبحث عن المحفظة.. لكني لم أجدها بالطبع.. تماما كما توقعت!!!.. يستحيل العثور عليها وسط تلك الصخور الضخمة الموجودة على الشاطئ.. ذلك اللعين.. لو أعطاني محفظتي عندما قبضت عليه.. لانتهى الأمر بسلام دون متاعب!!!..

عدت إلى البيت أخيرا بثياب ملوثة بالدم والألم يسيطر تماما على جسدي بسبب تلك الكدمات التي سببها ذلك الوغد.. وحين

رآتني زوجتي.. أصيبت بذعر شديد وراحت تسألني بصوت باك عما حدث.. بل وراحت تبكي بالفعل.. لم يهن عليها أبدا رؤيتي بثياب ممزقة وكدمات وجروح بسبب الشجار..

أخبرتها بما حدث بصوت مرهق.. فراحت تلوم المسئولين في البلد على تركهم اللصوص يسرحون ويمرحون دون أن يوقفوهم عند حدهم على حد قولها!!!.. وراحت تدعو الله أن يخسف بذلك النشال وأن يوقعه في شر أعماله..

وهكذا انتهت الليلة على خير.. لأذهب أخيرا إلى الفراش وجفوني تزن أطنانا.. عازما على الاستيقاظ غدا والبدء باستخراج جميع البطاقات الشخصية والبنكية التي ضاعت مع المحفظة..

في الصباح.. استيقظت على وقع مفاجأة مدوية!!!!.. مفاجئة هائلة أشعرتني بالذهول والغباء بنفس الوقت!!!.. فعندما نزلت إلى الطابق الأرضي لتناول الإفطار.. فوجئت بالخادمة الآسيوية تقول:

ـ سيدي.. لقد وجدت محفظتك تحت مقعد السيارة أثناء قيامي بتنظيفها!!!!!!..

ـ ماذا؟؟؟؟!!!!..

قلتها كالملسوع والتفت إليها بحدة!!!.. وإذا.. وإذا بالمحفظة بالفعل!!!!.. يا إلهي.. يا إلهي الرحيم!!!!!.. رحت أحدق بالمحفظة بغباء واضح.. قبل أن التقط أنفاسي شيئا فشيئا.. وراح ذهني

يعمل بسرعة البرق.. نعم.. لقد كان الظلام حالك في الأمس.. فلم أرى المحفظة التي أخرجها ذلك الرجل من جيبه ورماها بعيدا!!!.. لقد كانت محفظته هو!!!!.. أخرجها المسكين من جيبه وقذف بها بعيدا حتى لا أحصل عليها ظنا منه أنني سأسرقه.. في حين ظننته هو السارق!!!.. سوء فهم بسيط كهذا كاد أن يؤدي إلى كارثة!!!.. شعرت بذنب كبير جراء ما حدث.. لقد تشاجرت مع هذا المسكين باستماتة ظنا مني أنه نشل محفظتي!!!.. في حين ترقد محفظتي بأمان تحت مقعد القيادة في السيارة!!!.. لقد شعرت بأنني أحمق إلى حد لا يوصف.. يا لها من صدفة غريبة أن يصطدم بي هذا الشخص في اليوم الذي وقعت فيه محفظتي تحت مقعد السيارة ونسيتها هناك!!!.. أسمع كثيرا عن صدف مذهلة.. لكني لم أتوقع أبدا أن يحدث هذا معي!!!..

وبالطبع.. ذهبت بعدها إلى المستشفى مسرعا.. وإذا بالرجل الذي تشاجرت معه وقد تحسنت حالته كثيرا لحسن الحظ.. فاعتذرت له عن كل ما بدر مني!!!.. بالطبع لم يقبل اعتذاري في البداية.. بل استقبلني هو وأفراد أسرته بغضب هائل!!!!.. لكني اعتذرت.. واعتذرت.. وقبّلت رأسه بأسف شديد!!!!.. إلى أن قبل اعتذاري أخيرا.. وأصبح هذا الرجل الذي عرفت أن اسمه (خالد) من أقرب أصدقائي مع مرور الأيام.

هذه قصتي باختصار شديد.. قصة بسيطة كما ترون.. لكنها لا تخلو من الطرافة والغرابة في نفس الوقت.. وكلما أتذكرها مع صديقي (خالد).. نضحك حتى تدمع أعيننا!!..

الفهرس:



"من الصعوبه ان تكتب قصة قصيره تملأها بالاثارة والمعلومات ، وتجعل فيها القارئ يفكر في نهاية مختلفة تماماً ، وهذا ما استطاع الكاتب م. عبدالوهاب السيد ان يحققه في هذه المجموعة القصصية الرائعة .."

م. سند راشد

17 قصة قصيرة ستخلق لك عالما متكاملا من الاثارة والتشويق .. لأنها تلعب على وتر دقيق للغاية داخل كل منا .. وتر الإحساس بالغموض !! .. فالغموض هو أعظم عاطفة يشعر بها الانسان كما قال العالم والفيزيائي الشهير (آينشتين) ..

ستجد في تلك القصص كل ما تبحث عنه .. فإن كنت تبحث عن المتعة .. أو عن خبرات ربما لا يمكنك المرور بها بنفسك !! .. أو عن كلمات تعبر عما في داخلك .. أو عن دفقات من المشاعر والرومانسية .. أو حتى عن معلومات علمية غريبة لم تقرأ عنها من قبل .. فستجد كل هذا هنا .. ولا ننسى أبدا النهايات المفاجئة التي تحويها معظم قصص هذا الكتاب ..

لقد شعرت أن تلك القصص - رغم اختلاف أفكارها وتنوعها – تشكل جميعها كيانا واحدا .. ربما لهذا حمل اسم الكتاب عدد تلك القصص .. لهذا حمل اسم 17

الكويت
2008